جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل/ كلية العلوم الإسلامية
قسم لغة القرآن/ الدراسات العليا

احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) (دراسة أسلوبية)

رسالة تقدّم بها الطالب

محمد حسن كيطان

إلى مجلس قسم لغة القرآن في كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بابل، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في لغة القرآن وإعجازه.

بإشراف

الأُستاذ المساعد الدكتور

علي حسوني شلاكه الشريفي

ربيع الأول ١٤٤٤هـ

تشرين الأول ٢٠٢٢م

الآيـــة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١﴾

صدق الله العلي العظيم

[سورة آل عمران الآية:٦١]

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ ((**احتجاجات الإمام الرضا** (عليه السلام) **دراسة أسلوبية**))، والمقدمة مِنَ الطالب (محمد حسن كيطان) قد جرت تحت إشرافي في كلية العلوم الإسلامية/ قسم لغة القرآن/ جامعة بابل، وهي جزء مِنْ متطلبات نيل درجة الماجستيرفي لغة القرآن وإعجازه.

الإمضاء:

الاسم: أ.م.د. علي حسوني شلاكه الشريفي

التأريخ: / / ٢٠٢٢م

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

الإمضاء:

الاسم: أ.د.م. حسين علي هادي المحنا

(رئيس قسم لغة القرآن)

التأريخ: / / ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

"قرار لجنة المناقشة"

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة التقويم والمناقشة أطلعنا على رسالة الماجستير الموسومة بـ (احتجاجات الإمام الرضا(عليه السلام) دراسة أسلوبية) وقد ناقشنا الطالب (محمد حسن كيطان) في محتوياتها وفيما له علاقة بها، ونعتقد بأنّها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في لغة القرآن وإعجازه وبتقدير (جيد جدًا عالٍ).

رئيساً

أ.د. مسلم مالك الأسدي

الإمضاء:

عضواً

أ.م.د. مهدي عبد الأمير مقتن

الإمضاء:

عضواً

أ.م.د. إيمان عبد الحسن علي

الإمضاء:

٢/ ١١ /٢٠٢٢

عضواً ومشرفاً

أ.م.د. علي حسوني الشريفي

الإمضاء:

مصادقة عمادة كلية العلوم الإسلامية

العميد: أ.د. عامر عمران الخفاجي

الإمضاء

٣/ ١١/ ٢٠٢٢م

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى:

ـ مَنْ تفجرت أثمار الطبيعة كلها من أجله فأثمرت .. المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ـ مَنْ بنور علمهم أضاءت خفايا الأرض المنطفئة ..... آل البيت (عليهم السلام).

ـ مَنْ نزفوا دماً في رفع راية العراق عالياً .. شهداء العراق رحمهم الله.

ـ من رافقني طوال دربي و هو مثلي الأعلى طول عمري و أقرب إنسان إلى قلبي... والدي حفظه الله وأطال في عمره.

ـ مَنْ سهرت من أجلي الليالي ووهبت حياتها من أجلي ولازمني دعاؤها باستمرار فتراني أحيا وأواصل المشوار...أمي الغالية حفظها الله وأطال في عمرها.

ـ ينبوع الحنان الدائم ورفيقة المشوار الصعب التي شاركتني متاعب الحياة وكانت خير سند لي ... زوجتي.

ـ النجوم التي تلألأت في سماء حياتي...أولادي.

ـ أستاذي المشرف، الذي لم يبخل علينا بنصائحه و توجيهاته، والذي كان نعم المشرف، ونعم الموجه، أستاذي ... "أ.د.م. علي حسوني الشريفي".

ـ كل من عرفتهم، و يعرفون اسمي، أهديهم عملي هذا المتواضع، وثمرة جهدي.

الباحث

محمد حسن كيطان

شكر وتقدير

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعد الانتهاء من موضوع احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) دراسة أسلوبية وبعد أنْ مَنَّ الله عليّ بفضله في تسهيل أمر إتمام بحثي.

أتقدم بخالص الشكر والعرفان بالجميل، لِمَنْ اختصني بالنصح وتفضّل عليّ بقبول الإشراف على رسالتي، الشكر الجزيل لأستاذي المشرف الأستاذ المساعد الدكتور علي حسوني الشريفي المحترم، على ما قدمه لي من إرشاد ونصح وتوجيه أثناء إعداد هذه الرسالة، فقد كان قبس الضياء في عتمة البحث، ولقد كان لي نعم الأخ الناصح الأمين، أفاض عليّ بعلمه فغرس في نفسي- قوة العزيمة ، وأظهر لي تواضع العلماء، ولم يبخل عليّ من وقته الثمين، أبقاه الله ذخرًا لطلبة العلم وجعل ذلك في ميزان حسناته بحق محمد وال محمد.

ويطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور مهدي عبد الأمير مفتن الذي ساعدني بمتابعته لرسالتي ونصحه وتوجيهه فجزاه الله عن طلاب العلم وأهله خير الجزاء، وأقدم شكري للدكتورة الفاضلة كريمة نوماس من جامعة كربلاء المقدسة على نصائحها وتوجيهاتها، وكما أشكر رفيق دربي صديقي وأخي الأستاذ منجد عبد العباس المحترم.

كما أتقدم بالشكر والتقدير الى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الكرام لتفضلهم بمناقشة هذه الرسالة، جزاهم الله على كل خير، وشكري وتقديري الكبير الى رئاسة قسم لغة القرآن للجهود المبذولة في خدمة العلم، ولجميع أعضاء الهيئة التدريسية والإدارية وموظفي المكتبة لما قدموه لي من دعم مما كان له الأثر الكبير لإنجاز هذا العمل، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر أيضاً الى مَنْ قدّم ليّ العون مِنْ أصدقائي وزملائي وزميلاتي، وفق الله الجميع لِما يحبُه ويرضاه.

الباحث

محمد حسن كيطان

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	أ - ج
التمهيد: مقارباتٌ تأصيلية. أولاً: الأسلوب والأسلوبية. ثانياً: الاحتجاج. ثالثاً: الإمام الرضا (عليه السلام) ونتاجه الفكريّ.	٣ـ٢٧ ٣ـ ١٤ ١٥ـ ٢٠ ٢١ـ ٢٧
الفصل الأول: المستوى الصوتي.	٢٨ـ ٨٨
المستوى الصوتي: مدخلٌ نظريّ.	٢٩ـ ٣٢
المبحث الأول: ظاهرة النّبر الصوتي.	٣٣ـ ٤٨
المبحث الثاني:المزدوجات الصوتية التّسجيعية.	٤٩ـ ٦١
المبحث الثالث: المزدوجات الصوتية التّجنيسية.	٦٢ـ٧٣
المبحث الرابع: ظاهرة التكرار الصوتي.	٧٤ ـ ٨٨
الفصل الثاني: المستوى التركيبي.	٩٠ ـ ١٧٧
مستوى التركيبي: مدخلٌ نظريّ.	٩٠ـ ٩١
المبحث الأول: الأسلوب الخبري. المطلب الأول: أسلوب النفي. المطلب الثاني: أسلوب التوكيد.	٩٢ ـ ١٣٦ ٩٢ـ ١١٥ ١١٥ـ ١٣٦
المبحث الثاني: الأسلوب الإنشائي المطلب الأول: أسلوب الاستفهام. المطلب الثاني: أسلوب النداء. المطلب الثالث: أسلوب الأمر.	١٣٧ـ ١٦١ ١٣٧ـ ١٤٧ ١٤٧ـ ١٥٦ ١٥٧ـ ١٦١
المبحث الثالث: أسلوبية العدول التركيبي. المطلب الأول: أسلوب التعريف والتنكير. المطلب الثاني: أسلوب الالتفات.	١٦٢ـ ١٧٧ ١٦٥ـ ١٧١ ١٧١ـ ١٧٧
الفصل الثالث: المستوى الدلالي.	١٨٠ـ ٢٤٦

المستوى الدلالي: مدخلٌ نظريّ.	١٧٩ـ ١٨٠
المبحث الأول: التكثيف الإيحائي. المطلب الأول: المطلب الثاني: المطلب الثالث:	١٨١ـ ٢٠٢ ١٨٤ـ ١٩٠ ١٩٠-١٩٦
المبحث الثاني: المرجعيات الدّينية. المطلب الأول: المطلب الثاني: المطلب الثالث: المطلب الرابع:	٢٠٣ـ ٢٢٦ ٢٠٥ـ ٢١٩ ٢١٩-٢٢٢ ٢٢٢-٢٢٤ ٢٢٤-٢٢٦
المبحث الثالث: أسلوبية الحوار.	٢٢٧ـ ٢٤٦
الخاتمة.	٢٤٧ـ ٢٥٣
المصادر والمراجع.	٢٥٤ـ ٢٨١
ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية.	A-D

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي علَّمَ بالقلم، علَّمَ الإنسانَ ما لَمْ يعلَم، والصلاة والسَّلام على النبيِّ الأعظَم والهادي إلى صراط الله المُسْتقيم، والمبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آل بيتهِ الحُجج الطاهرين والحقُّ المُبِين.

أمَّا بعدُ:

إنّ لأهل البيت (عليهم السلام) تراثاً مهمًا وكبيرًا على الأصعدةِ كافة، وقد غُيِبَ ذلك التراث قسراً لمدتٍ ليست بالقصيرة؛ لذلك توفرت رغبة مشتركة مع أُستاذي المشرف الدكتور علي الشريفي المحترم؛ لتسليط الضوءِ على جانبٍ من تراثهم (عليهم السلام) عبر هذه الدراسة التي سعينا فيها إلى إظهار القِيَم الفنية والجمالية في نتاجهم، وكشفها فضلًا عن أهداف دينية وعقائدية.

وقد حاولنا في هذه الدراسة تسليط الضوء على النّص الاحتجاجيّ عند الإمام الرضا (عليه السلام)؛ للوقوف على دلالاتهِ المعنوية والجمالية، وكيفية استعمال العناصر اللغوية في إنشاء علاقات تخاطبية في أعلى درجات الوعي الفكري والجمالي التي منحت نصوص الإمام (عليه السلام) تميُّزًا وتفرُّدًا.

و اتخذنا في دراستنا مِنْ الأسلوبية سبيلاً للكشف عن مزايا احتجاجات الإمام (عليه السلام)، وسعينا لخلق حالة مِنْ الاتصال والاندماج بين التراث والحداثةِ، فكانت نصوص الإمام (عليه السلام) منارةً لتلك الدراسة.

وبعد استكشاف مادة البحثِ واستقرائها، توكلتُ على الله و وضعتُ خطةً، انتظمت في ثلاثة فصول سبقها تمهيد وتلتها خاتمة ثم قائمة بالمصادر والمراجع وملخص باللغة الإنكليزية.

تناولتُ في الفصل الأول (المستوى الصوتي) و تكوّن مِنْ مدخلٍ نظريّ، وأربعة مباحث، درستُ في المبحث الأول (ظاهرة النّبر الصوتي)، المتجلي في (النّبر الكلمي والنبر الجملي)، وتناولتُ في المبحث الثاني (المزدوجات الصوتية التّسجيعية)، وفي المبحث الثالث درستُ (المزدوجات الصوتية التّجنيسية)، أمّا المبحث الرابع فتوقفتُ فيه على (ظاهرة التكرار الصوتي).

ووسمتُ الفصل الثاني بـ (المستوى التركيبي) وابتدأته بمدخلٍ نظريّ، وثلاثة مباحث، درستُ في المبحث الأول (الأسلوب الخبري) وتجلى بأسلوبي (النفي والتوكيد) أمّا المبحث الثاني فكان (الأسلوب الإنشائي) وتجلى بأساليب الطلب (الاستفهام، والنداء، والأمر)، وتناولتُ في المبحث الثالث (أسلوبية العدول التركيبي) وتجلى بـ (التعريف والتنكير و ظاهرة الالتفات).

ووسمتُ الفصل الثالث بـ (المستوى الدلالي) وابتدأته بمدخلٍ نظريّ، وثلاثة مباحث، توقفتُ في المبحث الأول على (المرجعيات الدّينية)، والتي اشتملت على (التوظيف القرآني، والحديث النبوي الشريف، وأقوال الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وكذلك دراسة توظيف الكتب السّماوية وأقوال الأنبياء (عليهم السلام))، ووسمتُ المبحث الثاني بـ (التكثيف الإيحائي) و درستُ فيه (الإيحاء التشبيهي، والإيحاء الكنائي، والإيحاء المجازي العقلي واللغوي)، ووسمتُ المبحث الثالث بـ (أسلوبية الحوار).

ولابدّ للباحث الذي يتخذ مِنْ الأسلوبية منهجًا في بحثهِ من تحديد المسارات الأسلوبية التي تقوم عليها دراسته، فاعتمدتُ في دراستي على المزاوجة بين أسلوبيات عدة بحسب طبيعة المادة؛ للخروج بنتائج واقعية، فسار الفصل الأول (المستوى الصوتي) على منهج الأسلوبية الصوتية التعبيرية التي عُنيت بكشفِ الظواهر الصوتية والتي تكشف عن الدلالات المقصودة لتلك الظواهر الصوتية.

واعتمدت في الفصل الثاني (المستوى التركيبي) الأسلوبية الإحصائية التي اهتمت بجرد الأدوات التركيبية كأدوات وإحصائها الاستفهام وغيرها لتحديد هدف تكرارها، ومِنْ ثُمّ استعملت الأسلوبية التعبيرية للكشف عن التأثير الانفعالي والدلالي لتلك التراكيب وأدواتها.

أمّا في الفصل الثالث (المستوى الدلالي)، فاعتمدت الأسلوبية التكوينية التي تبحث في المعاني الجمالية المجازية والإشارية الخفية كالتشبيه وغيره، وتقفوها الأسلوبية التعبيرية للكشف عن تأثير تلك الجمالية في عملية الإقناع والتواصل الخطابيّ.

أمّا الدراسات السابقة فلم أجد دراسة (أسلوبية أدبية) تناولت احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام)، فكانت دراستي البِكر في هذا المجال، لكني وجدت بعض الدراسات التي درست بعض نتاج الإمام (عليه السلام) في تخصص اللغة العربية/ اللغة وهي:

- الحجاج في الخطاب الديني مقاربةٌ في مناظرات الإمام الرضا (عليه السلام)، للباحثة زهرة علاوي ناجي، جمعية العميد العلمية والفكرية- العراق- كربلاء المقدسة،٢٠٢١م.
- خطاب الإمام الرضا(عليه السلام) دراسة في الإقناع حسين جويد منخي،(رسالة ماجستير) كلية الآداب- جامعة ذي قار، ٢٠١٨م.
- بنية الخبر في عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق(**ت ٣٨١هـ**)،أسيل سالم كاظم،(رسالة ماجستير) كلية الآداب- جامعة ذي قار، ٢٠١٩م.

- مناظرات الإمام الرضا (عليه السلام) وحواراته، السيد حسن السيد أحمد الغريفي، مجلة سالة قلم، العدد: ٥٩، ٢٠١٩م.
- الخطاب الحجاجي لأهل البيت (عليه السلام) في كتاب الاحتجاج دراسة تداولية، عبد الحسن علي حبيب،(أطروحة دكتوراه) كلية الآداب– جامعة البصرة، ٢٠١٧م.
- الحجاج في نهج البلاغة، رائد مجيد جبار،(أطروحة دكتوراه) كلية الآداب جامعة البصرة، ٢٠١٣م.

وأيضاً هنالك عدد كامل(المجلد: ١٥، العدد: ٤، ٢٠١٢م) في مجلة كلية الآداب/ جامعة القادسية قد اهتم بدراسة جوانب عديدة مِنْ حياة الإمام الرضا (عليه السلام).

وفي آخر الأمر وبعد حمد الله تعالى الذي مَنّ عليّ بدراسة كلام ابن خير خلقه محمدٍ المصطفى وابن عليٍ المرتضى الإمام الرضا (عليهم السلام)، أتقدم بالشكر الجزيل إلى أُستاذي ومعلمي الدكتور**علي حسوني الشريفي المحترم؛** لإشرافه على إعداد رسالتي فإنّه لم يتأخر عني بتقديم النصائح والإرشادات العلمية، وتيسير وتوضيح المصادر والمراجع المهمة، فجزاه الله عني خيراً ووفقه لعمل كلّ خير وأعلى الله شأنه وجعله في أعلى المراتب أنه سميعٌ مجيب.

الباحث

محمد حسن كيطان

التمهيد مقارباتٌ تأصيلية

- أولاً:الأسلوب والأسلوبية:
- ثانياً:الاحتجاج:
- ثالثاً:الإمام الرضا(عليه السلام) ونتاجه الفكريّ:

التمهيد مقارباتٌ تأصيلية

أولاً:الأسلوب والأسلوبية:

لابدّ مِن تحديد مفهوم الأسلوب الذي تداخل مفهومه قديمًا مع الأدب والنّقد والبلاغة التي استولت على مضمونهِ حتّى نُظر له على أنّه هو البلاغة، وسنعمد إلى تحديد معناه اللغوي والاصطلاحي عند العرب القدامى والمحدَثين ومِنْ ثُمّ مقارنته مع الغربيّين.

وعند النَّظر في معاجم اللغة العربية للمتقدّمين كالخليل (ت:١٧٠هـ) وجدنا أنّه لم يستعمل لفظة (الأسلوب) وإنما توقف على معنى (سلب) وأشار إلى أنّها بمعنى الأخذ[١].

وأمّا عند الزّمخشريّ (ت:٥٣٨هـ): فذكر الأسلوب صراحةً، ويدور عنده في معنيين الأوّل سلب الشيء والآخر طريقة الكلام فيقول: "سلبه ثوبه، وهو سليب، وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى، ولبست الثّكلى السّلاّب وهو الحدّاد، وتسلبت

(١) كتاب العين،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د.مهدي المخزومي/ د.إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي- بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٨م: ٢٦١/٧.

وسلبت على ميتها فهي مسلب، والإحداد على الزّوج، والتسليب عام، وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة"[١].

وأمّا ابن منظور(ت:٧١١هـ) فقد نضجت فكرة الأسلوب عنده إذ أشار إلى لفظ أسلوب مع الفن، وقد ربطه بالكلام وحَسِنَهُ أضافةً للمعاني الأخرى إذ قال:"ويُقَالُ للسَّطْر مِنَ النَّخِيلِ: أُسْلوبٌ، وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ، فَهُوَ أُسلوبٌ، قَالَ: والأُسْلوبُ الطَّرِيقُ، والوجهُ، والمَذْهَبُ، يُقَالُ: أَنتم فِي أُسْلُوبِ سُوءٍ ويُجمَعُ أَسالِيبَ، والأُسْلُوبُ: الطريقُ تأْخذ فِيهِ، والأُسْلوبُ، بِالضَّمِّ: الفَنُّ؛ يُقَالُ: أَخَذ فلانٌ فِي أَسالِيبَ مِنَ الْقَوْلِ أَي أَفانِينَ مِنْهُ؛وإِنَّ أَنْفَه لَفِي أُسْلُوبٍ إِذاكَانَ مُتكبِّراً"[٢].

وبالنَّظر إلى التّحديد اللغوي لكلمة الأسلوب يمكن أن نتبيّن أمرين:

الأول – البعد الحسي المنظور كامتداد الطريق أو سطرُ النخيل.

الثاني– البعد العقلي الفني المرتبط بالقول وأفانينه.

أمّا مفهوم الأسلوب بالمعنى الاصطلاحي فنجده عند البلاغيين والنقاد العرب القدماء الذين كانت غايتهم إظهار القيّم الجمالية داخل النّصوص، وقد شغل حيزاً

(١) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٨م: ١/ ٢٢٣.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ١/ ٤٧٣. ويُنظر.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي أبو العباس، المكتبة العلمية - بيروت – لبنان ، د.ط، د.ت: ٢٨٤/١

مهمًا عندهم، ولا يكاد يبتعد كثيرًا عن المفهوم اللغوي ولربّما يطابقه، وهنالك تعاريف اصطلاحية كثيرة نحاول أنْ نتطرق لبعضٍ مِنها:

ومِنْ أقدم الإشارات التي وصلت إلينا التي تُبيّن مفهوم الأسلوب وإن لم تكن صريحةً بل كانت ضمنية ما قاله ابن قتيبة (ت:٢٢٦هـ) عندما كان يعقد مفاضلة بين الشعراء قال: "فالشاعر المُجيد مَنْ سلك هذه الأساليب، وعدلّ بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدًا مِنْها أغلب على الشعر، ولم يطل فيملّ السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد"[١].

ويرى الباقلانيّ (ت:٤٠٣هـ) أنّ الأسلوب يكون في الغاية والغرض الذي يبتغيه المتكلم و أنّ الأسلوب في القرآن الكريم يكون بالنَّظْم والترتيب[٢].

وقام الآمديّ(ت:٣٧٠هـ) بعملية استقراء للشعر العربي فاستنبط أهم مبادئه وأصوله الأسلوبية[٣]

وحاز الأسلوب موقعًا عند عبد القاهر الجرجانيّ (ت:٤٧١هـ) في ضوء نظرية النَّظْم التي اعتنت بتركيب الألفاظ ونظمها ونجد ذلك في بياناته في كتابه دلائل الإعجاز وإسرار البلاغة، قال: "واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر

(١) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف- القاهرة– مصر، د.ط، د.ت: ٧٥،٧٦/١.
(٢) يُنظر إعجاز القرآن للباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر، ط٥ ،١٩٩٧م: ٢١٦.
(٣) يُنظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمديّ، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف- بيروت- لبنان، ط٤، د.ت:٣١/١- ٨.

وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً والأسلوب: الضّرب مِنْ النَّظْم والطريقة فيه فيعمد شاعرٌ آخر إلى ذلك الأسلوب، فيجيء به في شعره فيشبه بمَنْ يقطع مِنْ أديمه نعلًا على مثال نعل قد قطعها صاحبها، فيقال: قد احتذى على مثاله"[١].

ونلمح في نص الجرجانيّ أنّ الأسلوب هو ضربٌ مِن النَّظْم وطريقةٌ خاصةٌ فيه يمكن أن تستشرف وتحتذى.

والأسلوب عند حازم القرطاجنيّ(ت:٦٨٤هـ) هو "هيأة تحصل عن التأليفات المعنوية، والنَّظْم هيأة تحصل عن التأليفات اللفظية"[٢]، وقد قام بعملية توليف بين التيار النقدي العربي الموروث والتراث النقدي اليوناني، فشكّل الأسلوب لديه منهجاً نقديًاواضحًا[٣].

وعند التوقف على حديث أهل الصناعة الكتابية في بيانات ابن خلدون(ت:٨٠٨هـ) نجد اقتراباً واضحاً لمفهوم الأسلوب مِنْ مفهوم الأسلوبية عند المحدَثين، قال: "الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم، فاعلم

(١) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني،تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٢م: ١/ ٤٦٨، ٤٦٩.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد بن حسن ابن حازم القرطاجني أبو الحسن ، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب- تونس، ط٣، ٢٠٠٨م: ١١٦.

(٣) يُنظر: التفكير الأسلوبي، سامي محمد عبابنة، عالم الكتب الحيث للنشر والتوزيع، إربد– عمان، ط٢ ،٢٠١٠م: ٤.

أنّها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التّراكيب أو القالب الذي يفرغ به"[1]، إذ حصر ابن خلدون الأسلوب في أمرين الأول: شبهه بنسج القماش ويقصد فيه النَّظْم والتركيب، والثاني: شبّه الأسلوب بقالب الصانع الذي تصبّ فيه المعادن فيكون له شكلًا محدّدًا كذلك تركيب الكلام ونظمه وإخراجه بشكلٍ جديد.

ومِنْ هنا يتبيّن لنا أن الأسلوب هو شريكٌ أساسيٌ للبلاغة بل هو طريقها؛لبلوغ الغرض ولا يمكن تهميشه حتّى لو طغت عليه البلاغة.

وأمّا مفهوم الأسلوب عند الأسلوبيين والنقاد العرب المحدَثين تجلّى فيه التنوّع والتلوّن تبعًا لتباين الأفكار واختلاف الأنظار وتنوّع الثقافات وتلوّن المرجعيات إنْ عربيةً وإنْ غربيةً ومنه.

الأسلوب: هو "طريقة وضع الأفكار في كلمات."[2]، وأيضاً "نمط له خصوصيّته في الصياغة والتعبير في لغة الكتابة أو لغة الحديث."[3]

(1) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومِنْ عاصرهم مِنْ ذوي الشأن الأكبر،عبد الرحمن بن محمد بن محمد،ابن خلدون أبو زيد،ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تح: خليل شحادة، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٨م: ٧٨٦/١. .

(2) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، التعاضدية العالمية للطباعة والنشر – صفاقس - تونس،ط١، ١٩٨٦م: ٢٨.

(3) المصدر نفسه: ٢٨.

وكذلك هو "الخصائص المميّزة لنَّص أدبي والمتعلقة بشكل التعبير أكثر مِنْ الفكرة التي يقوم النّص الأدبي بتوصيلها."[١]

ومِنْ تعاريف الأسلوب:"شكل التعبير عن الفكر أو الحديث باختيار الألفاظ والتراكيب وترتيبها مع الأخذ بالاعتبار الخيال والتصوير والعاطفة لبلوغ الحد الأسمى مِنْ التأثير في القارئ أو السامع أو المُشاهد، بحيث يصبح ذلك كلّه سمات مميّزة لشخصٍ أو جماعة أو عصرٍ."[٢]

ويصف الدكتور صلاح فضل الأسلوب بأنّه "هو الرّوح التي تبتدع اللغة فيقول: "أنّ المبنى ليس مجرّد كومة مِنْ الطّوب والخشب والاسمنت والحديد، بل هو تصميم مِنْ خلق الرّوح التي إرادته وتصورته ونفذته وكذلك اللغة."[٣]

ويقول الدكتور شكري محمد عيّاد: "ينبغي ألّا ينظر إلى (علم الأسلوب) كما لو كان غريباً كلّ الغرابة عن بيئة الثقافة العربية، بل إنَّ تتبع النّصوص التي ترجع إلى القرنين الثالث والرابع يدلّ على أنّ مفهوم (الأسلوب) اقترب مِن الوضع

(١) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي: ٢٨.

(٢) معجم المصطلحات الأدبية، نواف نصار، دار المعتز للنشر والتوزيع- عمان- الاردن، ط١، ٢٠١١م: ٢٦.

(٣) علم ألاسلوب مبادئه وإجراءته، د.صلاح فضل، دار الشروق - القاهرة– مصر، ط١، ١٩٩٨م:١٤.

الاصطلاحيّ، وربّما أكثر مِنْ كلمة (البلاغة) نفسها التي ظلّت مقصورة على وصف الكلام أو المتكلم ببلوغ الغاية في إصابة الغرض."[١]

ويرى أحمد الشايب أن الأسلوب بقوله: "إنّ الأسلوب معانٍ مرتبة قبل أنْ يكون ألفاظًا منسّقةً، وهو يتكوّن في العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم."[٢]

ولا يخفى أنّ الشايب قد أشار إلى الصور الذهنية والعمليات الداخلية العقلية بدء قبل صبّها في تراكيب منظّمة وأنساق مرتّبة وهو في هذا الفهم يقارب ابن خلدون في تصوّره لمفهوم الأسلوب.

ويفطن الشايب لأمرٍ مهم وهو أن كلمة(أسلوب) "تكاد ترادف كلمة الشخصية في المعنى."[٣]، ثُمّ استعرض صور الأسلوب بوصفه فنًّاً مِنْ الكلام، قال: "فن مِنْ الكلام يكون قصصاً أو حوارًا، تشبيهاً أو مجازاً أو كنايةً، تقريرًا أو حكمًا و أمثالًا، فإذا صح هذا الاستنباط كان للأسلوب معنى أوسع إذ يتجاوز هذا العنصر اللفظي فيشمل الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلةً للإقناع أو التّأثير."[٤]، ومِنْ هنا يتجه الشايب إلى عدِّ الأسلوب فنًّا مِنْ فنون الأدب بمعاينة انسراب الفنون البلاغية فيه.

---

(١) اللغة والابداع، مبادئ علم ألاسلوب العربي، د.شكري محمد عياد، دار انترناشيونال- القاهرة- مصر ، ط١، ١٩٨٨م:١٥.

(٢) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لاصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ط٨، ١٩٩١م:٤٠.

(٣) يُنظر: الأسلوب، أحمد الشايب:٤١.

(٤) المصدر نفسه: ٤١.

ونبصر النَّظر اللساني الحديث في تعريف سعد مصلوح للأسلوب فهو: "مفارقة أو انحراف عن أنموذج آخر مِنْ القول ينظر إليه على أنّه معيار."[١]

وينطلق مفهوم الأسلوب عند الغربيين مِنْ منطلق اللسانيات الحديثة وكلاً تبعاً لمدرسته الفكرية، وإن بقى مفهوم الأسلوب عندهم متصلٌ بالفكر القديم، فيقول (بيفون): "الأسلوب هو الرجل."[٢]، وهنالك تعاريف أخرى له مِنهاالأسلوب هو "طريق في الكتابة."[٣]،ومِنْه "هو طريقٌ في الكتابة لكاتبٍ مِنْ الكُتَاب."[٤]

وقد رد (بالي) على مقولة (بيفون) "الأسلوب هو الرجل" إذ يقول: "إننا لا نعترض على هذه الحقيقة، ولكنّها تستطيع أن تجعلنا نعتقد أنّنا إذا درسنا أسلوب بلزاك– مثلاً – فإنّنا ندرس الأسلوبية الفردية لبلزاك، وسيكون هذا الأمر خطأً عظيمًا."[٥]

(١) كتاب في النّص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، د.سعد مصلوح، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية- القاهرة- مصر، ط١، ١٩٩٣م: ٢٢.
(٢) الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي، مركز انماء الحضاري- حلب- سوريا، ط١، ٢٠٠٢م: ٣٣
(٣) المصدر نفسه: ٣٣.
(٤) المصدر نفسه: ٣٣.
(٥) الأسلوبة وتحليل الخطاب، منذر عياشي: ٣٢.

ويرى (بييرجيرو)"أَنّ كلمة أسلوب تتجاوز معناها التقليدي، والأسلوب لم يعد هو فنّ الكاتب فقط، ولكنه كلّ العنصر الخلّاق للغة والذي يعدّ خاصةً مِنْ خواص الفرد، ويعكس أصالته: "الأسلوب هو الرجل."[1]

فنلاحظ مِنْ خلال التعاريف السابقة أن الأسلوب هو أداة فنية تربط بين القول وبين مدى تأثير ذلك القول.

وبعد التعرض لمفهوم الأسلوب في المعاجم اللغويّة والاصطلاحيّة و عند النقاد والبلاغيين العرب لم أجد الأسلوبية عندهم، بل وجدت مفهوم الأسلوب الذي ارتبط ارتباطًا وشيجًا بالبلاغة حتّى قيل: إنّ الأسلوب هو وريث البلاغة، ولكن وجدت مفهوم الأسلوبية عند العلماء المحدَثين الغربيّين وكذلك العرب، فأَخَذَت الأسلوبية حيزاً كبيراً مِنْ دراساتهم حتّى أصبحت عندهم أداةً معياريةً في أغلب الدراسات المعيارية ، وهي جزء لا يتجزأ عندهم مِن الدراسات الألسنية الحديثة، ومِنْ هنافيجب التمييز بين الأسلوب بوصفه لفظ لها معانٍ معجمية لا تتجاوز مفهوم الطريق الممتد، وكذلك طريقة الكاتبة، أو فنّ القول، وبين الأسلوبية بالمفهوم الحديث التي تعدّ نظرية لها أُسسها وقواعدها، إذ أصبحت مِنْ المفاهيم النقدية الحديثة وارتبطت بالدراسات اللسانية، التي ظهرت وتطوّرت عند الغربيّين.

([1]) الأسلوبية، بييرجيرو، تر: منذرعياشي، دار الحاسوب للطباعة – حلب، مركز الإنماء الحضاري، ط٢، ١٩٩٤م: ٤٢.

الأسلوبية في النقد الأدبي الحديث:

قد شهد الأدب والنقد الغربي في القرنيين السالِفَيْنِ، تطوّرًا ملحوظًا على مستوى التنظير والتطبيق، مِنْ ذلك ظهور مدارس وتيارات، فظهرت الواقعية والبنيوية واللسانيات والتفكيكية والشكلانية الروسية وكذلك الأسلوبية (البلاغة الجديدة) وعلاقتها بالأسلوب بعد تحوّله إلى نظرية تهتم باللغة ومستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبة والدلالية وأيضًا اهتمت بالمرسل والمتلقي والنّص، وبيان تلك العلاقة الثلاثية ؛لإظهار القيّم الجمالية والفنية والتركيبية والمعنوية لديمومة اللغة.

مِنْ هنا فإنّ الأسلوبية هي نظرية نقدية وأدبية قامت على جمالية البلاغة القديمة وحلّت محلّها البلاغة الجديدة .

إنّ البذرة الأولى للأسلوبية كانت عند السويسري (فرديناند دي سوسير)، الذي أسّس علم اللغة الحديث، وفتح المجال أَمام أحد تلاميذه ليؤسس هذا المنهج، وهو (شارل بالي) إذ جعل الأسلوبية إحدى أدوات اللسانيات الحديثة.[1]وقد تعرّضت الأسلوبية إلى وهنٍ أصابها؛ لأنّ الذين تبنوا وصايا بالي في التحليل الأسلوبي سرعان ما نبذوا العلمانية الإنسانية ووظفوا العمل الأسلوبي بشحنات التيار الوضعي فقتلوا وليد بالي في مهده، ومِنْ أبرز هؤلاء في المدرسة الفرنسية (ج. ماروزو)، ثُمّ عادت الأسلوبية وأستنشقت أنفاسها عام ١٩٦٠م بعد انعقاد ندوة عالمية بجامعة

(١) يُنظر: الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب- تونس،ط٣، د.ت: ٢٠،٢١.

إنديانا بأمريكا عن الأسلوب ألقى فيها (رومان. جاكبسون) محاضرته حول الألسنية والإنشائية فبشّر يومها بسلامة بناء الجسر الواصل بين الألسنية والأدب.[١]

أنواع الأسلوبية: [٢]

١-**الأسلوبية التعبيريّة:** ويُقصد بها الكلام الذي يطلقه المتكلم مستعملًا ما لديه مِنْ ملكة دلالية بهدف التّأثير في المتلقي واستمالته.

٢-**الأسلوبية البنائيّة:** ويُقصد بها الاهتمام بتركيب النّص الكلامي بوصفه جسدًا واحدًا متكاملًا.

٣- **الأسلوبية الإحصائيّة:** ويُقصد به إحصاء الظواهر اللغوية والأسلوبية داخل النّصوص الكلامية فيكون كميًّا للوصول إلى نتائج تصدر على وفقها الأحكام النّقديّة.[٣]

٤- **الأسلوبية الصوتيّة:** ويُقصد بها الاهتمام بدراسة الأصوات المجردة وعلاقتها ببعضها وانسجامها وبيان إيقاعها وتأثيرها الجمالي، وكذلك بيان العلاقة بين الصوت

(١) يُنظر: الأسلوبية والأسلوب: ٢٣.
(٢) يُنظر: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النّص، هنريش بليث، تر : محمد العمري، أفريقيا الشرق- بيروت - لبنان ، د ط، ١٩٩٩م: ١٣- ١٦.
(٣) يُنظر: في النّص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، د.سعد مصلوح: ١٧- ٢٠.

والمعنى، فتدرس الظواهر الصوتية كجرس الألفاظ والحروف كالنّبر والتنغيم والتكرار الصوتي وغيرها مِنْ الظواهر الصوتية الأخرى.[١]

٥- **الأسلوبية النحويّة:** ويُقصد بها الأهتمام بدراسة النسيج التركيبي الداخلي للنصوص وإظهار القيم المعنوية للأسيقة البنائية، كدراسة الروابط اللغوية والظواهر التركيبية النحوية كالجملة الخبرية والإنشائية، وكذلك الإنزياحات التركيبية كالتقديم والتأخير والحذف والألتفات وغيرها مِنْ الظواهر الأخرى.[٢]

٦- **الأسلوبية التكوينيّة:** ويُقصد بها الاهتمام بالقضايا الجمالية الخفية أي البحث عن السمات الأسلوبية الباطنية للغة، كالمجاز والانحراف والانزياح والعدول، التي يلجأ اليها المتكلم أو الأديب ؛لخلق الإبداع في نتاجه الأدبي، فمهمة الأسلوبية التكوينة دراسة الوسائل التي يلجأ إليها الأديب أو المتكلم وطرق توظيفها.[٣]

إنّ الأسلوبية هي عملية نقدية حديثة تكشف عن الظواهر اللغوية في كلّ نص سواء أكان منطوقًا أم مكتوباً، وعلاقته بالمخاطَب أم المتلقي ومعرفة نتيجة تأثير تلك الظواهر في عملية الإقناع والتواصل وكذلك ردّه فعل المتلقي إزاء ذلك التأثير.

(١) يُنظر: النقد الأدبي الحديث مِنْ المحاكاة إلى التفكيك، د. إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة- عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٣م: ١٥٣.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ١٥٨.
(٣) يُنظر: الأسلوبية ، بييرجيرو: ٧٣، ٧٤.

ثانياً:الاحتجاج:

في البدء لابدّ من الإشارة إلى أنّ مفهومي الاحتجاج والحجاج قد استعملا لدلالة واحدة وهي إقامة الحُجة والبرهان وغايتهما التأثير والإقناع، وأول من توقف على هذا المفهوم اليونان.

وعند العودة إلى المعاجم العربية للوقوف على معنى مفهوم الاحتجاج نجد أنه أشتُق من الجذر الثلاثي (حَجَجَ) الذي يدلّ على معانٍ عدّة منها ما ورد في كتاب العين، فالحجّة فيه: هي "وجه الظّفر عند الخصومة." "والفعل حاججته فحججته."، "واحتججت عليه بكذا."، "وجمع الحجّة: حججٌ والحِجَاج المصدر"[١].

وجاء في أساس البلاغة: "احتجّ على خصمه بحجّة شهباء، وبحجج شهب،وحاجّ خصمه فحجّة، وفلانٌ خصمه محجوجٌ"[٢]، والحجة عند ابن منظور هي "البرهان"[٣]، وفي تاج العروس الحجّ: "الغلبة بالحجّة، يقال: حجّه، يحجّه، حجًّا، إذا غلبه على حجّته، والحجّ: كثرة الاختلاف والتّردّد."[٤]

---

(١) ١٠/٣.
(٢) الزمخشري:٧٦/١.
(٣) لسان العرب: ٢/ ٢٢٨.
(٤) تاج العروس مِنْ جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) ، تح: مجموعة مِنْ المحققين، دار الهداية- الكويت، د.ط، ١٩٦٥م: ٤٦٠/٥.

قد ورد هذا المفهوم في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦﴾[الشُّورَى: ١٦].

الاحتجاج اصطلاحاً:

ورد الاحِتجَاج عند النقاد والبلاغيين العرب القدماء والمحدَثين بمعانٍ لا تكاد تختلف عمّا جاء به أصحاب المعاجم اللغوية ومِنْه ما أورده الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) يقول: "وهذا القول وغيره مِنْ الأخبار والأشعار حجّةٌ"[١]، إذ يرى أنّ القول مِنْ الشعر والنثر هو حجّةٌ مِنْ المتكلم على السامع، وأورد الشريف الجرجانيّ (ت:٨١٦هـ) الحجّة بقوله: "الحجّة ما دلّ به على صحة الدّعوى وقيل: الحجّة والدليل واحد."[٢] وعند تعريفه للجدل أورد لفظة الحجّة فجعلها مِنْ مرادفات الحِجَاج فقال: "هو القياس المؤلّف مِنْ المشهورات والمسلّمات والغرض مِنْه إلزام الخصم وإفحام مِنْ هو قاصرٌ عن إدراك مقدّمات البرهان ودفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجّةٍ أو شبهةٍ أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة."[٣]

---

(١) البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال – بيروت، د.ط، ١٤٢٣هـ: ١١٨/١، ١١٩.

(٢) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، تح: جماعة مِنْ العلماء، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، ط١، ١٩٨٣م: ٨٢/١.

(٣) كتاب التعريفات: ٧٤/١.

فالحِجَاج هو علاقة تخاطبية بين طرفين أحدهما باث والآخر مستقبل بقصد التأثير والإفهام، يستعمل الباث أساليب الإقناع حسب حال المستقبِل والظروف المحيطة به مِنْ جدل وبراهين تزداد قوّتها بزيادة قوّة اعتراض المستقبل؛ لذلك يرى طه عبد الرحمن أنّ الحِجَاج كلّ كلامٍ بين متكلم (صاحب دعوى) ومستمع (المخصوص بالدّعوى) له حقّ الاعتراض على المدّعي.[١]

الاحِتجَاج في الدرس اللساني الحديث:

ظهر مصطلح الحِجَاج في منتصف القرن العشرين وذلك مع محاولات لإقامة علم لدراسة الخطابة بأنواعها، وظهور مصطلح البلاغة الجديدة ويعدّ كذلك امتدادًا للدراسات اللسانية التي ظهرت في القرن التاسع عشر، إذ قدّم الفيلسوف البلجيكي (شاييم بيرلمان) تعريفاً للحِجَاج، مركزاً فيه على غايته، وهي إقناع المتلقين بما يعرض عليهم عن طريق الخطاب الحِجَاجي بقصد استمالة عقولهم، والتأثير في سلوكياتهم، وبذلك يكون للحِجَاج مفهوم: تحليلي استدلالي والآخر تواصلي باستخدام المنطق العقلي بغرض التأثير فيهم.[٢]

(١) يُنظر اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د .طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي– بيروت– لبنان،ط١ ،١٩٩٨م: ٢٢٩- ٢٣٢.

(٢) يُنظر: نظرية الحِجَاج عند شاييم بيرلمان، تر: د. الحسين بنو هاشم، دار الكتب الجديد المتحدة – بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٤م: ٢٩، ٣٠.

أمّا (فيليب بروطون) فيرى أنّ الحِجَاج عملية تواصلية مرتبطة باللغة البشرية ويحتاج إلى رسالة ومشاركين ويرى أنّ الحِجَاج هو البرهان؛لأنّه يزوّد المتلقين بالأدلّة مِنْ أجل إقناعهم والتّأثير فيهم باستعمال وسائل مختلفة.(١)

ويرى الدكتور طه عبد الرحمن أنّ مفهوم الحِجَاج في ضوء مقارنته بالبرهان أنّه أوسع وأغنى مِنْ البرهان، فالحِجَاج عنده يتميز بأمرين، الأول: التداولية الاستدلالية مرتبطاً بمقتضيات وملابسات الحال، والثاني: أنّ الحِجَاج جدليٌّ إقناعيٌّ قائمٌ على الحُجّة بصورها ومضامينها بخلاف البرهان الذي يبنى على البيّنات الصورية الضيقة.(٢)

وقد ذهب أبو بكرٍ العزاوي إلى أنّ الحِجَاج هو مجموعة مِنْ الأدلّة والحِجج الخطابية التي يقدّمها المتكلم مؤدّيةً إلى نتيجةٍ معيّنة.(٣)

المرادفات الدلالية للحِجاج: تشترك مع مفهوم الحِجَاج مفاهيم عدّة مثل: الجدل، والمناظرة، فتشترك معه في أمورٍ وتفترق في أمورٍ أخرى:

(١) يُنظر: الحِجَاج في التواصل، فيليب بروطون، تر: محمد مشبال و عبد الواحد التهامي، الهيئة العامة المصرية للكتب- مصر- القاهرة، ط١، ٢٠١٣م: ٣١- ٣٣.

(٢) يُنظر في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د.طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي- بيروت،ط٢، ٢٠٠٠م: ٤٦.

(٣) يُنظر: اللغة والحِجَاج، د.ابو بكر العزاوي، العمدة في الطبع- الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠٠٦م: ١٦.

الجدل لغةً: الجدل: "اللّدد في الخصومة والقدرة عليها، وجادله أي: خاصمه، مجادلة وجدالًا. والجدل: مقابلة الحجّة بالحجّة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والجدال: الخصومة، سمّي بذلك لشدّته.[١]

الجدل اصطلاحًا: "هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجّة، أو شبهةٍ، أو يقصد به تصحيح كلامه."[٢]

والمناظرة لغة: هو إدراكُ الشّيء بعد معاينته والنَّظر فيه.[٣]

أمّا اصطلاحاً : فيرى الرّاغب الأصفهاني(ت:٥٠٢هـ) أنّ إدراك الشّيء يكون حسياً بالبصبر ومعنوياً بالبصيرة.[٤]، ويقول: والمناظرة: "المباحثة والمباراة في النَّظر، واستحضار كلّ ما يراه ببصيرته."[٥]

وبعد معرفة تلك المصطلحات المرادفة للحِجَاج يتبيّن لنا أنّه مصطلح أشمل وأوسع دلاليًّا و إشتقاقيًّا منها.

---

(١) لسان العرب: ١٠٥/١١.
(٢) كتاب التعريفات: ٧٤.
(٣) يُنظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين(ت٣٩٥)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- دمشق- سوريا، د.ط، ١٩٩٧م: ٤٤٤/٥.
(٤) يُنظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دار الشامية - دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٢هـ:٨١٢.
(٥) المصدر نفسه: ٨١٤.

أنواع الحِجَاج: ذكر طه عبد الرحمن ثلاثة أنواعٍ مِنْ الحِجَاج وتختلف هذه الأنواع الثلاثة بمدى تأثيرها في المتلقي وهي:[1]

أولاً: الحِجَاج التجريدي: وهذا النوع مِنْ الحِجَاج يبنى على الحِجّج المجردة، فيهتم بشكل الخِطاب لا بمضمونه ومقامه.

ثانياً: الحِجَاج التوجيهي:يهتم هذا النوع مِنْ الحِجَاج بخِطاب الباث (المتكلم) وكيفية بناء ما يدّعيه بغية إيصال رسالته مِنْ دون الاهتمام بالمتلقي وردّة فعله.

ثالثاً: الحِجَاج التقويمي: يهتم هذا النوع مِنْ الحِجَاج بالمخاطِب والمخاطَب وردّة فعله، فيقوم المتكلم فيه على إثبات دعواه بتجريد شخصية مِنْ ذاته تعترض على دعواه بلحاظ نفسه هو أول متلقٍ ومستمعٍ لدعواه بهدف الفهم والإقناع.

ولابدّ لنا مِنْ التوقف على الفرق بين مفهومي الاحتجاج والمناظرة' فالاحتجاج مفهوم عام تكون المناظرة جزءًا مِنْه، فهي نوع مِنْ أنواع الاحتجاج المباشر الذي يتطلب وجود شخصين متناظرين بتقديم الحجج والبراهين ؛لإثبات أمرٍ ما، وهذا يعني أنّ كلّ مناظرة احتجاج وليس كل احتجاج مناظرة؛لأن الاحتجاج لربّما يكون بطرفٍ واحدٍ مِنْ دون مناظرٍ مباشرٍ له كالاحتجاج على أمرٍ في خطبةٍ أو في رسالةٍ مكتوبة.

(1) يُنظر اللسان او الميزان والتكوثر العقلي: ٢٢٧- ٢٢٩.

ثالثاً: الإمام الرضا (عليه السلام) ونتاجه الفكري:

اسمه وولادته وإستشهاده: هو الإمام علي بن الإمام موسى كاظم الغيظ بن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الإمام علي السّجاد بن الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة بن الإمام علي بن أبي طالب المرتضى (عليهم السلام)' وهو الإمام الثامن، كانت ولادة الرضا علي بن موسى (عليه السلام) "بالمدينة يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت مِنْ ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائة عن الهجرة (١٥٣هـ) وقيل ولد سنة (١٤٨هـ) وهو المشهور عند العلماء، وتوفي بطوس في قرية يقال لها سناباد مِنْ رستاق نوقان، و دفن في دار حميد بن قحطبة الطائي في القبة التي فيها هارون الرشيد إلى جانبه مما يلي القبلة، وذلك قي شهر رمضان لتسع بقين مِنْه سنة ثلاث ومائتين(٢٠٣هـ)، وقد تم عمره تسعًا وأربعين سنة وستة أشهر، مِنْها مع أبيه موسى بن جعفر (عليه السلام) تسعا وعشرين سنة وشهرين، وبعد أبيه أيام إمامته عشرين سنة وأربعة أشهر، وقام (عليه السلام) بالامر وله تسع وعشرون سنة وشهران."[١]

كنيته وألقابه: يكنى أبو الحسن ولُقبَ: سراج الله، ونور الهدى، وقرة عين المؤمنين، ومكيدة الملحدين كفو الملك، وكافي الخلق، ورب السرير، والفاضل، والصابر والوفي، والصديق، والرضي. وقيل: إنما سُمي الرضا ؛لأنه كان رضي لله تعالى في

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، تصحيح وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي- بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٤م: ٢/ ٢٢. ويُنظر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء- بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٣م: ٥٩/ ٣٠٤.

سمائه ورضي لرسوله والأئمة (عليهم السلام) بعده في أرضه، وقيل: لانه رضي به المخالف والمؤالف وقيل: لانه رضي به المأمون.[1]

نشأته: نشأ الإمام الرضا (عليه السلام) في أطهر وأجل وأزكى بيت بيت النبوة والإمامة ومهبط الوحي ومُنطلق الرسالة فتربى وترعرع (عليه السلام) بين كنف أصفياء الله وأوليائه حملة علم الله وسادات خلقه وحججه في أرضه، فكان خُلقه مِنْ خلقهم وعلمه مِنْ علمهم، فتلقى أفضل وأعلى وأنقى وأسمى ألوان الآداب والتربية الإسلامية التي هي تربية القرآن الكريم وتربية رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتربية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

أمُّه: أمّه أم ولد (تُكْتَم) وهي (جاريةٌ) اشترتها السيدة حميدة المصفاة وهي أم أبي الحسن موسى بن جعفر وكانت مِنْ أشراف العجم وأفضل النساء في عقلها ودينها وسمّاها الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) حين وِلدت الإمام الرضا (عليه السلام) بالطاهرة.[2]ويقال سميت: (نجمة) ويقال: (صقر)، وتسمى (أروى)، وتسمى (سكن النوبية)، وسميت (سمان)، وتكنى (أم البنين).[3]

(1) يُنظر: بحار الأنوار:١٠/٤٩.
(2) يُنظر:عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢/ ١٨.
(3) يُنظر: مسند الأمام الرضا (عليه السلام)، عزيز الله عطاردي الخبوشاني، مكتبة الصدوق، طهران، ط١، ١٣٩٢هـ: ١/١٠- ١٥.

علومهُ الفكرية والأدبية:

أولاً: تكلّم بكلِّ لغات الناس وأصنافهم إذ أعطى الله تعالى للإمام الرضا (عليه السلام) ميزة التخاطب بكلّ لغات الناس وبألسنتهم ولغاتهم[١].

روي عن أبي إسماعيل السندي يقول:" سمعت بالهند أنّ لله في العرب حجّة، فخرجت في طلبه، فدللت على الرضا (عليه السلام) فقصدته، وأنا لا أحسن العربية، فسلّمت عليه بالسنديّة، فردّ عليَّ بلغتي، فجعلت أُكلمه بالسندية، وهو يردّ عليَّ بها، وقلت له: إنّي سمعت أنّ لله حجّة في العرب، فخرجت في طلبه، فقال: أنا هو، ثمّ قال لي: سلْ عمّا أردته، فسألته عن مسائل فأجابني، عنها بلغتي"[٢].

وروي عن أبي الصّلت الهروي:" كان الرضا (عليه السلام) يُكلّم النّاس بلغاتهم،وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكل لسان ولغة فقلت له يومًا:يا بن رسول الله إني لاعجب مِنْ معرفتك بهذه اللغات على اختلافها!، فقال: يا أبا الصّلت، أنا حجّة الله على خلقه، وما كان الله ليتّخذ حُجّة على قوم وهو لا يعرف لُغاتهم، أو ما بلغك قول أمير المؤمنين (عليه السلام): أُوتينا فصل الخطاب؟! فهل هو إلاّ معرفته للُّغات."[٣]

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ٢٦/ ١٩٠.

(٢) الخرائج والجرائح، أبو الحسن سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)- قم المقدسة، ط١، ١٤٠٩هـ: ١/٣٤٠.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١/ ٢٥٥.

ثانيًا: مِنْ علومهِ الفقهية والعقائدية والأدبية احتجاجاته في مجلس المأمون:

عندما قدم الإمام الرضا (عليه السلام) إلى بلاد فارس بمدينة (مرو) بأمرٍ مِنْ المأمون العباسي وكان قدومه مكرهاً عليه، فأقام المأمون مخادعًا وغادراً مجموعة مِنْ الإحتجاجات والمناظرات العلمية بغية إحراج الإمام (عليه السلام)، والتي حضرها المتكلمون وعلماء الأديان والمذاهب المختلفة والمتنوعة، فحاججهم الإمام الرضا (عليه السلام) وناظرهم في معتقداتهم، وكانت تدور في القضيا الفقهية والعقائدية مِنْها التوحيد والعدل والإمامة، فحاجج المروزي، وأبا قرة، والجاثليق ورأس الجالوت مِنْ (أهل الكتاب) ورأس الصابئة، والمجوس، والزنادقة، وغيرهم مِنْ الطوائف الأخرى[1]، فكانت احتجاجته (عليه السلام) مَنْجمًا مِنْ الدين والتشريع والعلم واللغة والبلاغة والفصاحة ودرسًا في المبادئ الأخلاقة والتربية والحرية والتواضع وتقبُّل الرأي الآخر.

ثالثًا: العلوم الطبيّة للإمام الرضا (عليه السلام):

ألّفَ (عليه السلام) الرسالة الذهبية في الطب، والتي أعطاها الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) إلى المأمون العباسي، وتُعدُّ مِنْ أعظم وأبهر ما كُتب في الطب،

(1) يُنظر الأحتجاج، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، تعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان- النجف الأشرف، د.ط، ١٩٦٦م: ٢/ ١٤٧- ٢٠٤.

مِنْ حفظ صحة المزاج وتدبيره بالاغذية والاشربة والادوية ومِنْ تنظيم الغذاء والنوم والشراب[١].

ومِنْ علومه الطبية المشهورة ما يسمى بتشريح الرّضا(عليه السلام) في الرسالة الذهبيّة طبائع الإنسان وأعضائه وأحواله الأربعة: "الحالة الأُولى لخمس عشر سنة، وفيها شبابه وحسنه وبهاؤه، وسلطان الدم في جسمه، ثمّ الحالة الثانية مِنْ خمسة وعشرين سنة إلى خمسة وثلاثين سنة، وفيها سلطان المرّة الصفراء، وهي أقوى ما يكون، حتّى يستوفي المدّة المذكورة، ثمّ يدخل في الحالة الثالثة إلى ستّين سنة، وهو في سلطان المرّة السوداء، وهي سنّ الحكمة والمعرفة. ثمّ يدخل في الحالة الرابعة وهي سلطان البلغم"[٢].

رابعًا: العلوم الفقهية للإمام الرضا (عليه السلام):

ألّفَ (عليه السلام) كتاباً في الفقه، إذ كان فقيهًا عالمًا زاهدًا ورعًا، وحَوى هذا الكتاب جميع العلوم الفقهية مِنْ أصول وفروع الدين،والتشريع والحلال والحرام والميراث

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ٥٩/ ٣٠٦.
(٢) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت: ١٤٠٥هـ) ، تح: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، د.ط، د.ت: ٢٣٦/١.

والديات، والواجبات والمستحبات،وكان له(عليه السلام) منهجًا علميًا وموضوعيًا في تفسير القرآن الكريم بالقرآن.[1]

خامسًا: نتاجه العلمي والفكري مِنْ كتبٍ ومؤلفات:[2]

١. ما كتبه إلى محمد بن سنان في جواب مسائله عن علل الأحكام الشرعية.

٢. العلل التي ذكرها الفضل بن شاذان أنّه سمعها مِنْ الرضا (عليه السلام) مرة بعد مرة وشيئا بعد شيء، فجمعها وأطلق لعلي بن محمد بن قتيبة النيسابوري روايتها عنه عن الرضا، فإنّها في الحقيقة مِنْ تاليف الإمام الرضا(عليه السلام) الذي يمليها على الكاتب.

٣. ما كتبه إلى المأمون مِنْ محض الاسلام وشرائع الدين وهذه الثلاثة أوردها الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا باسانيده المتصلة.

٤. ما كتبه إلى المأمون في جوامع الشريعة.

٥. الرسالة المذهبة أو الرسالة الذهبية في الطب.

٦. كتاب فقه الرضا (عليه السلام) وهو كتاب في أبواب الفقه.

٧. صحيفة الرضا (عليه السلام) في مقدمات البحار.

---

(١) يُنظر: كتاب الفقه المنسوب للإمام الرضا (عليه السلام)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- قم المقدسة- الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام)- مشهد المقدس، ط١، ١٤٠٦هـ: ٧١ وما بعداها.

(٢) يُنظر: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تح: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات- بيروت- لبنان، د.ط، ١٩٨٣م: ٢/ ٢٦،٢٧.

وخلاصة القول:إنّ الإمام الرضا (عليه السلام) كان عالم زمانه مِنْ دون أنْ يُعلمهُ معلمٌ، فأخذ علومه وإنتهلها مِنْ جده رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومِنْ جده عليٍ أمير المؤمنين (عليه السلام) وكذلك مِن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) و كان(عليه السلام) حكيماً حليماً له مكانةً كبيرةً عند الشيعة وعند غيرهم مِنْ المذاهب الإسلامية الأخرى، إذ تميّز عهده (عليه السلام) بالانفتاح العلمي والفكري والحضاري وأدلّة ذلك كثرة مناظراته ومحاوراته فكان يُناظر ويحاور بالأدلّة والبراهين مختلف أصحاب العقائد والأديان واللغات، حتّى أعجز كلّ مناظرٍ وأقرّه على نفسه، وأثبت العقائد الإسلامية الحقّة التي جاء بها رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). وهذا ما سنتوقف عنده في فصول الرسالة.

الفصل الأول

المستوى الصوتي: مدخلٌ نظريّ.

المبحث الأول: ظاهرة النَّبْر الصوتي.

المبحث الثاني: المزدوجات الصوتية التّسجيعيّة.

المبحث الثالث: المزدوجات الصوتية التّجنيسيّة.

المبحث الرابع: ظاهرة التَّكرار الصوتي.

الفصل الأول

المستوى الصوتي مدخلٌ نظريّ

إنَّ للغة العربية علوماً واسعةً، ومتشعبةً، ومتعددةً، ومِنْ أهمها علم الأصوات الذي يُعدُّ اللّبنة الأساسية للغة العربية سواءٌ أكانت منطوقةً أم مكتوبة، ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أنّ الصوت هو أصغر وحدة صوتية تتركّب مِنْها وحدات صوتية أكبر وهي الكلمات، والأخيرةُ تتركّب مِنْها أكبر الوحدات الصوتية الكلامية وهي الجُملة، ويُشير عبد التواب إلى أنّ الحركات هي أصوات كالضمة، والفتحة، والكسرة.[1]، وإنّ هذا العلم لم يكُن مستقلاً بذاته بل كان منظويًا مع علوم اللغة العربية الأخرى، ولقد أصبح علمًا مستقلاً في العصر الحديث، وكان لهذا العلم دور في تطوّر اللغة العربية على مختلف الأزمان، فأولُ مِنْ اهتمم به هم علماءُ اللغة مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت:١٧٠هـ) في كتابه (كتاب العين)، إذ يُعدُّ المؤسس للدرس الصوتي عند العرب وجاء بعدهُ تلميذُهُ سيبويه(ت:١٨٠هـ) الذي ذكر الصوت في (الكتاب)، ثُمّ تطورت الدراسات الصوتيّة على يد الفلاسفة العرب كأبي نصر

(1) يُنظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م: ١٣.

الفارابيّ(ت٣٣٩هـ) إذ تكلّم عن كيفية حدوث الصوت والنغم في الأجسام.[١]وتحدّث أيضًا عن كيفية تكوّن الكلام[٢]، وقد تبعه تلميذُهُ ابن سينا (ت:٤٢٧هـ)، أمّا في العصر الحديث فقد استقل علم الأصوات كما أسلفنا سابقًا وأصبحت له مؤلفات وكُتُب خاصّة، وأود أن أُشير هنا إلى دور المحدَثين مِن العلماء الغربيّين والعرب وسأذكُر بعضاً مِنْ مؤلفاتهم في علم الأصوات اللغوية، فمِن الغربيّين برتيل مالمبرج في كتابه(علم الأصوات)، وديفيد كريستال في كتابه (معجم اللسانيات والصوتيات)، وأمّا العرب فمنهم إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللغوية)، وكمال محمد بشر في كتابه (الأصوات)، وأحمد مختار عمر في كتابه (دراسات الصوت اللغوي)، وعبد الصبور شاهين في كتابه (المنهج الصوتي للبنية العربية)، وغيرهم مِن العلماء، ونستدلُّ مما سبق أنّ للعرب القدماء والمحدَثين دوراً كبيرًا في إرساء علم الأصوات اللغوية عبر كتبهم ونظرياتهم ومؤلفاتهم، فقد أسهموا إسهامًا كبيرًا في دراسة الظواهر اللغوية ولا سيّما الصوتية مِنْها خاصةً ما كان يُسهمُ في كشف مظاهر الإعجاز القرآني وأسراره، وما يهمنا هنا هو دراسة الظواهر الصوتية في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) ونحن لسنا معنيين بدراسة علم الأصوات، وكان غاية هذا العرض الموجز هو الوصول إلى مبتغانا وهو الدراسات الأسلوبية التي مِن شأنها البحث في

(١) يُنظر: كتاب الموسيقى الكبير، الفيلسوف أبو نصر الفارابي (ت: ٣٣٩هـ)، تح: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر- القاهرة، د.ط، د.ت: ٢/ ٢١١- ٢١٥.

(٢) يُنظر: إحصاء العلوم، لأبي نصر الفارابي، تح: د. علي ابو ملحم، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر - بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٦م: ١٧-٢٥.

تحليل أسلوب النصوص اللغوية، وتحقق مستويات اللغة المعروفة عند الدارسين لعلوم اللغة العربية ومِن تلك المستويات التي اعتمدها عُلماء الدراسات الأسلوبية في تقسيماتهم لها هي (المستوى الصوتي) [١].

حيث يرى الدكتور منذر عياشي أنّ الأسلوبية تشترك مع علم اللسانيات في تحديد ما يقصدهُ المتكلم مِنْ إطلاق الأصوات للتّعبير عن دلالةٍ معيّنةٍ، وكذلك تغييرُ صياغة شكل الكلمات الصوتي لتحقيق دلالة أُخرى، كالتورية مثلاً، إذ تستعمل الكلمة الواحدة في معنيين، وكذلك السجع الذي تنتهي فيه الكلمات بفواصل صوتية واحدة، والجناس الذي تتشابه حروف الكلمة فيه.[٢] ويرى أنّ ظواهر المستوى الصوتي في الأسلوبية تتحقّق عند الخروج عن المألوف بإحداث الانحراف والانزياح؛ لإضفاء دلالات مختلفة وجديدة.[٣] ويرتبط تحقق المظاهر الصوتية في النسيج اللغوي بمفهوم الإيقاع الذي يرتكز عليه المستوى الصوتي.[٤] ويُبيّن الدكتور إبراهيم أنيس أنّ المظاهر الصوتيّة هي عناصرٌ موسيقيّةٌ اتّسمت بها اللغة العربية مِنْ شعرٍ ونثرٍ، إذ اعتمد العرب في الحكم على النّصوص اللغوية على مسامعهم فكانوا يُميّزُون أدقّ الفروق الصوتية.[٥]، وسنسلط الضوء في هذا الفصل على بعض

---

(١) يُنظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي:١١، وينظر: الأسلوبية : الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع – عمان، ط١، ٢٠٠٧م: ٥١، ٥٢.

(٢) يُنظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي: ١٢، ١٣.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ١٣.

(٤) يُنظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشروق – القاهرة، ط١، ١٩٩٨م: ٤٩- ٥١.

(٥) يُنظر: دلالة الالفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية- القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م: ١٩٥،١٩٦.

الظواهر الصوتية في احتجاجات الإمام عليٍّ بن موسى الرّضا (عليهم السلام)، وبيان أثر تلك المظاهر الصوتية في إثبات الحِجَجَ و بيان دورها الإقناعي.

المبحث الأول

ظاهرة النّبر الصوتي

يُعدُّ النّبر مِنْ أهم الظواهر اللغوية الصوتية التي اعتنى بدراستها العُلماء العرب قديمًا وأطلقُوا عليها مُصطلح الهمز، وأيضًا الضغط ويقصدُون بذلك ما يُسمّى بالنّبر.

أمّا عُلماء الصوت واللغة المحدَثين فقد اتفقُوا على مُصطلح النّبر وجعلوه جُزءًا مِن الدّراسات اللسانية والصوتية الحديثة، ويُشكّل النّبر عندهُم ظاهرةً صوتيةً مقطعية، وذلك بالضغط على مقطع صوتي واحد مِن الكلمة لإبرازِهِ عن المقاطع الأُخر لنفس الكلمة، أو بالضغط على لفظةٍ معينةٍ مِنَ الجُملة، وللنّبرِ أنواعٍ ودرجاتٍ ومِنْ أنواعه الكلمي والجُملي، ودرجاته حسب المقطع فمِنه الضعيف، والمتوسط، والقوي، وللنّبر تأثير مُوسيقي ودلالي في أُذن السامع غايته التنبيه، وقد كان قديمًا يخضع تحديد موضع النّبر إلى سمع الكلام أي المشافهة، أما حديثًا فهو لا يحتاج المشافهة بل يخضع إلى نظام المقاطع الصوتية، وكذلك إلى الأسيقة والقرائن التركيبية التي تحدده.

النّبـر لُغـةً:عـرّف الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي النّبـر بأنّـه"الهمزُ ومِنـهُ فـي حـديث النبـي(صلى اللّهُ عليه وآله وسلم) أنّ رجـلاً قـال: "يـا نبـيء اللّـه" بـالهمز، فقال لـهُ: لا تنبر باسمي أي: لا تهمُز."[١]

ومِنـه بمعنـى عُلُوّ الشّـيء وارتفاعـه كمـا ذكرهُ الخليل حيثُ قـال: "وكلُّ شـيءٍ رفـع شيئاً فقد نَبَره، وانتبر الأميرُ فوق المنبر.(وسُمّي المنبر منبراً لارتفاعه وعُلُوّه)، وانتبر الجُرح، إذا ورم، ورجُلٌ نبّارٌ بالكلام: فصيحٌ بليغٌ."[٢]

وجاء النّبرُ عند الزّمخشريِّ بمعنى "رفعُ الصّوت."[٣] يتبيّنُ لنا مِنْ خلال التّعريفات أنّ النّبر هُو تركيز على رفع الصوت في جُزءٍ مُعيّنٍ مِنْ الكلمة لإبرازهِ على الأجزاء الأُخر في الكلمة نفسها، أو رفع الصوت في جزءٍ مِنْ الجملةِ؛ للتّفريق بين الصّيغ والمعاني المُرادة مِنْ الكلام.

وأمّا النّبر إصطلاحًا: يعرفه الدكتور تمام حسّان على أنّهُ "هو وضوح نسبيّ لصوت أو مقطـع إذا مـا قـورن ببقيّـة الأصـوات والمقـاطع ويكـون نتيجـة عاملٍ أو أكثـر مِـن العوامل الكميّة والضغط والتّنغيم."[٤]

---

(١) كتاب العين: ٨ /٢٦٩.
(٢) المصدر نفسه: ٢٦٩/٨.
(٣) الكشاف: ٥/١.
(٤) مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر– القاهرة، مطبعة الرسالة، د.ط، ١٩٥٥م: ١٦٠.

ومِنْ أهمّ أنواع النّبر: (النّبر الكلمي والنّبر الجُمليّ أو نبر السياق).[1]

وقد ورد النّبر بنوعيه الكلمي والجُملي (السياقي) في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام)، مشكّلاً عنده ظاهرةً صوتيةً وجرسًا دلّاليًا لهُ أثرٌ سمعي في تنبيه و استمالة أسماع الخصُوم، ويُعدُّ النّبر أحد أدوات التنبيه الأسلوبية.

أولاً: النّبر الجملي: وهذا النوع مِنْ أهم أنواع النّبر، ويتحقق بالضغط على لفظة معيّنةٍ في السياق النصيّ، ويتمُ تحديد مواضعه عن طريق معرفة الأسيقة التركيبية وقرائنها.

ومِنْ شواهد هذا النّبر ما ورد في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي في صفة الإرادة وتوحيد الله تعالى، قال سليمانُ "قد وصَفَ نَفسَهُ بأنَّهُ مُريدٌ قال الرضا(عليه السلام): ليس صِفتُهُ نَفسَهُ أَنَّهُ مُريدٌ إخبارًا عن أنَّهُ إرادَةٌ ولا إخبار عن أنَّ الإرادَةِ اسمٌ مِنْ أَسمَائِهِ، قال سليمان: لأنَّ إرادَتَهُ عِلمُهُ قال الرضا(عليهالسلام): **<u>ياجَاهلُ!</u>** فإذا عَلِمَ الشَّيءَ فَقَد أرادَهُ قالَ سليمانُ: أَجَلْ".[2]

تجلى النّبر في هذا النصّ بقوله (عليه السلام) لسليمان المروزي:(ياجاهل!) إذ ناداه بصفة الجهل، وهذا التركيب الثنائي المكوّن مِن النداء بـ(يا) ولفظة (جاهل) فيه حدة ونبرة صوتية مرتفعة بيّنها سياقُ النصّ السابق واللاحق للنّبر، فقد كان أول

(1) مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان،: ١٦١- ١٦٣.

(2) عيون أخبار الرضا (عليه السلام):٢/ ١٦٧.

النصّ أسلوب النفي بقوله: (ليس صفته نفسه أنّه مريد) وكذلك القرينة اللاحقة لموضع النّبر الدالة عليه قوله (عليه السلام): (فإذا علم الشيء فقد أراده) فهذا القول فيه استنكار على سليمان، بمعنى يا جاهل إذا عَلِمَ الله تعالى بالشيء هل هو عندك بمعنى أنّه أراد هذا الشيء، فقال سليمان: (أجل)، ووصفه لسليمان بالجاهل ليس مِنْ باب الاستنقاص أو السخرية مِنِه، فليس من صفات الأئمة (عليهم السلام) لأنهم تخلقوا بأخلاق رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بل جاء؛ لتنبيه سليمان على أنّه قد أخطأ ولم يُدرك حقائق الأمور، وهي أنّ الله تعالى عالمٌ بكلِّ شيء وهذا العلم بالأشياء ليس بمعنى إنّه أرادها، بل إرادته سبحانه تتمثل بقدرته وإحاطته بكلّ شيء علمًا، فلا يَخفى عنه شيء مما ظهر أو بَطَنْ.

ومِنْ شواهد النّبر الجملي ما قاله الإمام الرضا (عليه السلام):"إنَّ في أَخبَارِنَا مُتَشابِهاً كمُتَشَابهِ القرآنِ، ومُحكَماً كمُحكَمِ القُرآنِ، **فَرُدُّوا مُتَشَابِهَهَا إلى مُحكمِها، ولاتتَّبِعُوا متشَابهَهَا دونَ محكَمِهَا فتضِلُّوا**".[1]

وقع النّبر الجملي في هذا النّص بقوله (عليه السلام): (فردّوا) وبقوله: (فتضلّوا)، إنّ السياق العام للنصّ فيه تأكيد بقوله: (إنّ في أخبارنا) على أنّ ما يقوله النبي (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليه السلام) هو ما يقوله القرآن، إذ جعل الإمام (عليه السلام) قولهم مقرونًا بقول القرآن، ففيه محكم بلا تأويل كمحكم القرآن، وفيه

(1) عيون أخبار الرضا(عليه السلام)، الشيخ الصدوق:٢٦١/٢.

متشابه نعمةً لكم في تيسير وتسيير أموركم وهو كمتشابه القرآن[1]، ثُم شدد الإمام (عليه السلام) وأمَرَ بقوله: (فردّوا متشابهها إلى محكمها) بصيغة فعل الأمر (فردّوا) على وجه الإلزام والتنفيذ، ففيه حدة صوتية ونبر سياقي انجازي هو وجوب ردّ المتشابه إلى المحكم، وثمة تنبيهًا وتشديدًا آخراً بقوله: (ولاتتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا) بأسلوب النهي (لا تتتبعوا) بمعنى لا تأخذوا ما ينفعكم لأجل مصالحكم وشهواتكم وتتركوا ما هو فيه صلاحكم وهدايتكم، ثُمّ يُلحظ تصاعداً صوتياً ودلالياً يَكمن في لفظة (فتضلّوا) أي أمركم ونهاكم حتّى لا تضلّوا عن طاعة الله وعن التزام أوامره.

ومِنْ احتجاجاته مع عمران الصابئي* قال له (عليه السلام): "سَل عمَّا أرَدتَ قال: أسألُكَ عن الحَكيمِ في أيِّ شيءٍ هو؟ وهل يُحيطُ بهِ شيءٌ؟ وهل يَتحوَّلُ مِنْ شيءٍ إلى شيءٍ؟ أو هل بهِ حاجةٌ إلى شيءٍ؟ قالَ الرضا(عليه السلام): أُخبِرُكَ يا عمرانُ فاعقِل ما سأَلتَ عنهُ، فإنَّهُ مِنْ أَغمَضِ ما يَرِدُ على الخَلقِ في مسَائِلِهِم"[2].

وقع النّبر في قوله (عليه السلام): (أُخبرك ياعمران فاعقِلْ ماسألت عنه) فهنالك ضغطاً صوتياً سياقياً في لفظة (فاعقل) الواقعة بين النداء بـ(يا عمران) والاستفهام

(1) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (ثم صوّرته دار المعرفة– بيروت- لبنان، ط١، ١٩٥٧م: ٢/ ٦٨-٧٠.

(*) (عالمٌ من علماء الصابئة، وهم فرقة ينتسبون إلى يحيى بن زكريا.)، يُنظر: جواهر الكلام في شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي: ٣٠/ ٤٥.

(2) الاحتجاج : ٢/ ٢١٣.

بـ(ما سألت عنه) وكلاهما يحملان صفة التنبيه، ويُلحظ أن لفظة (فاعقِلْ) قد توسطت التركيب وأعطت للسياق جرسًا مرتفعًا ونبراً صوتياً أحدّث انتقالة دلالية وهي: عليك يا عمران أن تفهم وتعي ما سأُخبرك به وما سألت عنه مِنْ أخفى المسائل عمَّن خفَّ عقله وقلَّت بصيرتهُ.

ومن احتجاجاته (عليه السلام) مع رجل قال له: "بأبي أنت وأُمّي يا بن رسول الله! فإنّ معي مَنْ ينتحل موالاتكم ويزعم أنّ هذه كلّها مِنْ صفات عليّ (عليه السلام)، وأنّه هو الله ربّ العالمين، فلمّا سمعها الرضا(عليه السلام)، ارتعدت فرائصُهُ وتصبّب عرقًا وقال: سبحانَ الله عمَّا يشركون، سبحانهُ عمّا يقولُ الكافرون علوًا كبيرًا، أوليسَ عليّ كان **آكلاً في الآكلين، وشارباً في الشاربين، وناكحاً في الناكحين، ومحدّثاً في المحدّثين؟**"[1].

جاء النّبر الجملي بوتيرةٍ صوتيةٍ تصاعدية ذات نسق نصيّ متماثل الفواصل باتفاق حرفي (الياء والنون) في قوله (عليه السلام)(آكلاً في الآكلين، وشارباً في الشاربين،وناكحاً في الناكحين،ومحدّثاًفي المحدّثين) الذي أعطى جرساً ونغماً إيقاعياً مستمراً، وبحدوثِ ضغطٍ صوتي ونبر على الألفاظ (آكلاً وشارباً وناكحاً ومحدّثاً)، فيُلحظ أنّ هذا النّبر والتصاعد الصوتي قد سُبِق بالاستفهام الاقراري بقوله: (أو ليس علي) الذي أعطى انطباعاً صوتياً فيه شدة واستنكار على عملٍ لا يقبله الإمام (عليه

(1) الاحتجاج: ٢/ ٢٣٤.

السلام) وهو المغالاة في أمير المؤمنين (عليه السلام) وإيصاله إلى الربوبية والعبودية، فكشف النّبر عن الدلالات التي أُحدِث مِنْ أجلها وهي أنّ الإمام علي (عليه السلام) بشرٌ يأكل ويشرب، ويتزوج، ويتكلم، والله تعالى منزهٌ عن هذه الصفات البشرية التي خلقها هو وجعلها في أمير المؤمنين وفي غيره مِنْ النّاس.

ومِن احتجاجاته (عليه السلام) في الإمامة وصفات الإمام قال: "الإمامُ؛ أمينُ اللهِ في أرضهِ، وحجّتُهُ على عبادهِ، وخليفتهُ في بلادهِ، **الداعي إلى اللهِ، والذابُّ عن حريمِ اللهِ**"[1].

يتمظهر النّبر السياقي في قوله (عليه السلام):(الداعي إلى الله)، (والذابُّ عن حريم الله) إذ بيّن(عليه السلام) في سياقِ حديثهِ إنّ الإمام هو الأمين والحجّةوالخليفة لله تعالى في مخلوقاته، وثمّة توقف وإنتقالة سياقية صوتيةٌ أعقبت هذا البيان بقوله: (الداعي) فهذه اللفظة فيها شدةٌ ونبرٌ للفت الإنتباه وتأكيد المعنى العام للنّص أي أنّ الإمام هو الوسيلة إلى الله في النّاس، ويشتد النّبر بقوله: (الذابُّ) أي المدافع والحامي[2] لدين الله وشرعه وهذه الشدة والنّبر تتناسب مع جوهر اللفظ وهو شدة الدفاع.

وقد إرتأينا لكثرة ورود النّبر الجملي في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) أنّ نبيّن بعض الشواهد بإعداد جدول مختصر للوقوف على مواضع النّبر.

([1]) الاحتجاج: ٢٢٨/٢.
([2]) يُنظر: لسان العرب: ١/ ٣٨٠.

الصّيغة	نوع النّبر	التحليل
أمـــا بلغـــك قـــول الرسول؟	جملي	النّبر في هذه الجملة يقع على كلمة "الرسول" حيثُ استعمل الإمام (عليه السلام) "أما" وبعدها فعل ماضٍ وهي تستعمل لاستفتاح الكلام ولتنبيه السامع.[1] وأرى أنها جاءت للسببية.
يا ابن الجهم!	جملي	النّبر في هذه الجملة يقع على كلمة "الجهم" وذلك لمجيء حرف النداء والتعجب الـ "يا"[2] حيث جاء المنادى مضافاً فكان الضغط الصوتي على الأسم العلم لتنبيهه على أمرٍ مخصوص.
لا يغرّنّك ما ألفيته.	جملي	النّبر في هذه الجملة يقع على كلمة "يغرّنّك" ولذلك استعمل الامام(عليه السلام)"لا"[3] ناهية مع الفعل المضارع فحصل ضغط صوتي على الفعل للتنبيه.

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت:٧٦١هـ)، تح: د.مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، دار الفكر- دمشق، ط٦، ١٩٨٥م: ٧٨/١.

(2) يُنظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية– مصر، د.ط، د.ت: ٢/ ٣٤

(3) يُنظر: مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت:٦٢٦هـ)، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية- بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٨٧م: ٣٢٠/١. ويُنظر: أساليب بلاغية الفصاحة– البلاغة- المعاني، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات– الكويت، ط١، ١٩٨٠م: ١١٦- ١١٨.

ما اسمك؟	جملي	النّبر في هذه الجملة يقع على كلمة "اسمك"[١] حيث استفهم الإمام (عليه السلام) سائلاً عن اسم خصمه مستعملاً اسم الاستفهام للعاقل وهو "ما"[٢] فحصل ضغط صوتي للفت الأنتباه.
يا يوحنا!	جملي	النّبر في هذه الجملة يقع على كلمة "يوحنا" وذلك لمجيء حرف النداء والتعجب "يا" وهي لنداء القريب والبعيد لتنبيه السامع وإن كان قريباً.[٣]
		النّبر في هذه الجملة يقع على كلمة "اجتمعنا" حيث استعمل الامام (عليه السلام) اسم الاستفهام "أين"[٤] معبراً فيه عن موضع إجتماع الاسلام بالمسيحية، متعجباً و مستفهماً على يوحنا المسيحي بعد إنكاره نبوة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) يُنظر: شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش (ت:٦٤٣هـ)، قدم له الدكتور ، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠١م: ٢/ ٤٠٣، ٤٠٤.

(٢) يُنظر: المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأسدي أبو العباس المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت – لبنان ، د.ط، د.م: ٣/ ١٧٢.

(٣) يُنظر: همع الهوامع: ٢/ ٣٢.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٣/ ١٧٢. ويُنظر: شرح المفصل لابن يعيش: ٣/ ١٣٤.

فلا أمانة لكذّاب.	جملي	النّبر في هذه الجملة يقع على كلمة "أمانة" حيث أكد الإمام (عليه السلام) بحرف الفاء والنفي[١] إنّ كلَّ كذاب غير مؤتمن[٢] لتنبيه السامعين على هذا الأمر.
لتطمئنّ أنفسكم.		النّبر في هذه الجملة يقع على كلمة "لتطمئن" حيث ردّ علىأصحاب الاديان مستعملاً "لام التعليل"[٣] (لام سببية) لكي تطمئن أنفسهم لذلك قد أبتدأ بالسلام .
أو ليس اللّه يقول؟	جملي	النّبر في هذه الجملة يقع على كلمة "يقول" حيث استعمل الإمام(عليه السلام)همزة الاستفاهم التقريري وبعدها الواو للعطف وقيل للاستئناف.[٤] فحصل صوت مرتفع بهذا التركيب الممزوج غايته تنبهه السامع لإمرٍ أنكره.

(١) يُنظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت: ٣٦٨هـ)، تح: أحمد حسن مهدلي/.علي سيد علي، دار الكتب العلمية- بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٨م: ٣/ ١٢، ١٣.

(٢) يُنظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت: ٣٦٨هـ)، تح: أحمد حسن مهدلي/.علي سيد علي، دار الكتب العلمية- بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٨م: ٣/ ١٢، ١٣.

(٣) يُنظر: معاني النحو، د. فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- الأردن ، ط١، ٢٠٠٠م: ٣/ ٣٥٣.

(٤) يُنظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد بن مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص- سورية، (دار اليمامة– دمشق- بيروت)، (دار ابن كثير– دمشق– بيروت) ط٤، ١٤١٥هـ: ٨/ ٢٣٥.

ثانياً: النّبر الكلمي: تعتمد ظاهرة النّبر الكلمي في الدراسات الحديثة على دراسة المقاطع الصوتية ومعرفة أنواعها التي يتحقق بها مستوى النّبر، فلابدّ لنا مِنْ تعريف المقطع مِنْ دون التوقف على دراسته تفصيلياً، بل سنكتفي بتعريف مُبسّط له ومِنْ ثمّ معرفة أنواع المقطع بشكل مُختصر مِنْ أجل معرفة مواضع هذا النّبر في احتجاجات الإمام عليٍّ بنُ مُوسى الرّضا (عليه السلام).

فقد عرّفه الدكتور إبراهيم أنيس:" إنّهُ عبارةٌ عن حركةٍ قصيرةٍ أو طويلةٍ مكتنفة بصوتٍ أو أكثر مِنْ الأصوات السّاكنة."[1]

أنواع المقطع في اللغة العربية: هنالك خمسة أنواعٍ للمقطع عند العلماء المحدَثين.[2]

١-المقطع القصير المفتُوح (ص + ح) .

٢- المقطع الطّويل المفتُوح (ص + ح + ح).

٣- المقطع القصير المُغلق (ص +ح+ ص).

٤- المقطع الطّويل المُغلق بصامت (ص + ح + ح + ص).

---

(1) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٢ ،١٩٥٢م: ١٤٥.

(2) علم الأصوات، بتريل مالبرج، تر: د.عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب- مصر- القاهرة.، د.ط: ٢١٠. ويُنظر: دراسة الصوت اللغوي، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب – مصر- القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م:٢٩٩، ٣٠٠. ويُنظر: الجامع الكبير في علم التجويد، نبيل بن عبد الحميد بن علي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر- مصر، ط١، ٢٠٠٥م:٣٠٣، ٣٠٤.

٥- المقطع الطّويل المُغلق بصامتين (ص+ ح+ ص+ ص).

الصيغة	التقطيع الصوتي	المقطـــع المنبور	نوع النّبر	التحليل
بعهدٍ **معهود** إلينا	ص ح ص/ ص ح ح ص.	هودْ	كلمي	النّبـر فـي هـذه الكلمـة يقـع على المقطع الثاني ص ح ح ص ؛لأنّـــه طويـــل مغلـــق بصامت واحد.

الأئمّة – أئممة.	ص ح/ص ح ص/ص ح ص	ئم	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطـع المتوسـط ص ح ص ؛لأنّه قصير مغلق.
منّا – من نا.	ص ح ص/ ص ح ح	نا	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطـع الثـاني؛ لأنـه طويـل مفتوح.
أيّدنا – أييدنا.	ص ح ح/ ص ح ح/ ص ح ح.	يد	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطـع ما قبل الاخير ص ح ح؛ لتساوي المقاطع.

مقدّسةٌ – مقددستُنْ.	ص ح/ ص ح ص /ص ح /ص ح /ص ح ص.	قد	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع الثاني ص ح ص؛لأنّه قصير مغلق.
مطهّرة– مطههرتُنْ	ص ح/ص ح ص/ ص ح/ص ح /ص ح ص.	طه	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطـــع الثـــاني ص ح ص ؛لأنّه قصير مغلق.
تسدّدهم– تسددهم.	ص ح /ص ح ص/ ص ح ح ص.	ددهم	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطـع الأخيـر ص ح ح ص ؛لأنّه طويل مغلق.
توفّقهم – توففقهم.	ص ح / ص ح ص/ ص ح ص/	فق	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطـع المتوسـط ص ح ص ؛لأنّه قصير مغلق.
بالتناسخ– تناسخ	ص ح/ ص ح ح/ ص ح ص	سخ	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطــع الأخيــر ص ح ص؛ لأنّه قصير مغلق.
مكذّب– مكذذب	ص ح /ص ح ص/ص ح ص	ذب	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطــع الأخيــر ص ح ص؛ لأنّه قصير مغلق.

المسوخيّة–مسوخيية.	ص ح/ ص ح ح/ص ح ح/ ص ح ص	خي	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع ما قبل الأخير ص ح ح ؛لأنّه طويل مفتوح.
سيقتلني – يقتلني.	ص ح ص/ص ح/ ص ح ح ص.	لني	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع الأخير ص ح ح ص ؛لأنّه طويل مغلق.
بالسمّ– سمم	ص ح ح ص	سمم	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع الأول ص ح ح ص ؛لأنّه يتكون مِنْ مقطع واحد.
ويقرّ– يقرر	ص ح / ص ح ص/ ص ح	قرْ	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع المتوسط ص ح ص ؛لأنّه قصير مغلق.
شئتم	ص ح ص/ ص ح ص	شئْ	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع الأول ص ح ص ؛لأنّه قصير مغلق.
فهلمّوا مسائلكم– هلمموا	ص ح /ص ح ص/ ص ح ح	مُوا	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع الأخير ص ح ح ؛لأنّه قصير مفتوح.
المنهاج الأقصد – أقصد.	ص ح ص/ ص ح ص	صدْ	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع الثاني ص ح ص ؛لأنّه قصير مغلق.
الأعدل – أعدل.	ص ح ص/ص ح ص.	أعْ	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع المتوسط ص ح ص ؛لأنّه قصير مغلق.

الأقوم– أقوم.	ص ح ص / ص ح ص	أقْ	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع المتوسط ص ح ص ؛لأنّه قصير مغلق.
مكرماً – مكرمن.	ص ح/ص ح ص/ ص ح ص	كرْ	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع المتوسط ص ح ص ؛لأنّه قصير مغلق.
معظّماً– معظمن.	ص ح/ص ح ص/ ص ح ص	عظْ	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع المتوسط ص ح ص ؛لأنّه قصير مغلق.
مبجلاً– مبجلن.	ص ح/ ص ح /ص ح ح ص.	جلنْ	كلمي	النّبر في هذه الكلمة يقع على المقطع الأخير ص ح ح ص ؛لأنّه طويل مغلق.

بعد دراسة ظاهرُة النّبر الصوتيّة وتحليل احتجاجات الإمام عليٍّ بن موسى الرضا (عليه السلام) نبيّن أنّ هذه الظاهرة تكرّرت كثيرًا وبشكلٍ كثيف، ويُلحظ في بعض النّصوص مجيء النّبر في كلّ أجزاء تركيبها إذ شكّل ظاهرةً أُسلوبية ونسقاً صوتياً دلالياً لهُ أثرٌ واضحٌ في تنبيه السامعين ولفت انتباههم، وهو مِنْ الظواهر الصوتية البحتة التي تخلو تماماً مِنْ أيّ غايةٍ جماليةٍ أو إقناعية بذاتها، بل تُفضي إلى كشف الدلالات الكلمية القريبة والسياقية البعيدة، ومما يُلحظ أنّ النّبر الكلمي قد زاد على النّبر الجُمليّ، وكذلك تنوُّع مواضع النّبر الكلمي وكان أكثرها تكراراً المقطع

المتوسط القصير المُغلق، ففي هذه الدراسة اكتفينا بتحليل نصوص بُنيت على النّبر بصورةٍ ملفتةٍ للانتباه، ولابدّ لنا مِنْ أنْ نُشير أيضاً إلى أنّ هنالك نصوص قد خلت تمامًا مِنْ النّبر لمناسبتها سياق الحال والظروف النفسية والإجتماعية المحيطة بموقف التخاطب وإنتاج العلاقات التخاطبية.

المبحث الثاني

المُزدوجات الصوتية التَّسجيعيَّة

يُعدُّ التَّسجيعُ مِنْ أهم المظاهر الصوتية والبلاغية التي اهتم بها العرب في تاريخهم البلاغي والأدبي، وعدُّوه وجهاً مِنْ وجُوهِ البلاغة العربية، وكان ذُو مكانةٍ عندهُم إذ أتقنه فُصحاءُ العربِ وخُطَبائِهِم، وكانُوا يتبارون على إتقانه لما لهُ مِنْ منزلةٍ اجتماعيةٍ وأدبية ترفع مِنْ شأن مَنْ يمتلكه، وكان يُمثّلُ محطّةً فنيةً مُتقدّمةً في الأدب العربي وتطوره؛ ولذلك اهتمّت الكتب الأدبية العربية بالتَّسجيع وعلى الأصعدة كافة اللغوية الصوتية والبلاغية والنقدية فعرّفوهُ وجعلوا له ضوابطَ وأنواعاً وحفِظوا لنا أمثلتةً، ووجدتُ في عنوان المُزدوجات التَّسجيعيَّة الصوتية فيه مناسبةً دلالية مبنيّة على الثُّنائية الكلامية، ولا اقصد التّشابُه والتناظر؛ وقد توقف القدماء على هذه التسمية إذ سمّى الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) التَّسجيعُ بـ (المُزدوج) وسنُعرّف هذا المفهوم لاحقًا، وكذلك وردت هذه التسمية عند أبي هلال العسكريّ(ت:٣٩٥هـ) في باب السّجع فيقُول: "لا يُحسنُ منثُور الكلام ولا يحلُو حتّى يكُون مزدوجًا، ولا تكادُ تجدُ لبليغٍ كلامًا يخلُو مِنْ الازدواجِ."[١]

(١) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى مهران العسكري، تح: علي محمد الجباوي/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية- بيروت، د.ط، ١٤١٩هـ: ٢٦٠.

عرّف أصحابُ المعاجم اللغويّة التَّسجيع: فكان يدور مفهومه عندهم حول معانٍ تكاد تكون مُتقاربةً مِنْها القصد في ترديد الكلام مع مراعاة اختيار الأصوات وانسجامها لتلك الكلمات المسجوعة؛ ومِنْها إقامةُ الفواصل في آخر الكلمات المسجوعة لزيادة جرسها وتنغيمها كقوافي الشّعر، فجاء التَّسجيعُ أو السّجع عند الخليل: "سَجَعَ الرجلُ إذا نَطق بكلامٍ له فواصل كقوافي الشّعر مِنْ غير وزنٍ كما قيل: لصُّها بطل، وتمرها دقل، أنْ كَثُرَ الجيش بها جاءُوا، وإن قلّوا ضاءُوا يَسْجَعُ سَجْعاً فهُو سَاجِع وسَجّاع وسجّاعة. والحمامةُ تسجعُ سجعا إذا دعت، وهي سجُوع ساجعة، وحمّام سُجّع سواجعُ."[1]

وعند الجوهريّ(ت:٣٩٣هـ) السَّجَعُ: "الكلامُ المُقفّى، والجمعُ أسْجَاعٌ وأسَاجِيعُ. وقد سَجَعَ الرجُلُ سَجْعاً وسجّع تسجِيعاً، وَكلامٌ مُسجّعٌ، وبينهم أُسْجُوعةً. وسَجَعتْ الحمامةُ، أي هَدَرتْ. وَسَجعتْ النّاقةُ، أي مدّت حنينها على جهةٍ واحدةٍ، والسّاجعُ القاصد."(٢)، والسّجَعُ: "الكلامُ المُقفّى غير المُوزون جمعه أسجاعٌ وسجوعيةُ في حنينها والوجهُ المُعتدلُ الحسنُ الخلقة."[3]

([1]) كتاب العين: ٢١٤/٨.

([2]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط٤، ١٩٨٧م: ١٢٢٨/٣. ويُنظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، ط٨،٢٠٠٧م: ١/ ٧٢٧.

([3]) المعجم الوسيط: ١/ ٤١٧.

والتَّسجيعُ في اصطلاح النُّقّاد والبلاغيين العرب: فيعرِّفُه الجاحظ "بأنّهُ الكلامُ المُزدوج على غير وزنٍ."[1]، ويُعرّفه قُدامة بن جعفر(ت: ٣٣٧هـ) فيقُولُ: هُو تناظر القوافي في الشّعر.[2]، وذهب الرُّمّانيّ (ت٣٨٤هـ) إلى تسميتهِ في القُرآن الكريم، بالفواصل "لأنّ الأسْجَاعَ عَيْبٌ، والفواصِلُ بلاغة، ولأنّ الفواصل تابِعةٌ للمَعَانِي، وأمّا الأسجاع فالمعاني تابِعَةٌ لها."[3]، أمّا أبُو هلال العسكريُّ فقد عرّفة بأنّهُ الكلامُ الذي تعادلت أجزاؤهُ واقتربت مخارج أحرُف الفواصل فيه.[4]، والسّجَعُ عند الشّريف الجرجانيّ في البَدِيعِ: "هو تواطُؤُ الفاصلتين مِنْ النّثر على حرفٍ واحدٍ في الآخر."[5]

ويظهر التَّسجيع في احتجاجات الإمام عليٍّ الرّضا (عليه السلام) في ثلاثة أنواعٍ هي:

أولاً: السّجعُ المُطرّف: "وهو أن يأتي المُتكلّمُ في أجزاء كلامه، أو في بعضها بأسجاعٍ غير متزنة بزنةٍ عرُوضيّة، ولا محصُورةً في عددٍ مُعيّنٍ، بشرطِ أنْ يكُون رَويّ الأسجاعِ رويّ القافية، كقوله تعالى:﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾[نُوح: ١٣ - ١٤]."[6] وشغل هذا النوع مساحةً واسعةً في

---

(1) البيان والتبين: ١٥٩/١.

(2) يُنظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج، مطبعة الجوائب- قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ: ٨٨.

(3) النكت في إعجاز القرآن الكريم، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني، تح: محمد خلف الله- د. محمد زغلول سلام، دار المعارف- مصر، ط٣، ١٩٧٦م:٩٧. ويُنظر: إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب(ت:٤٠٣هـ)، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف- مصر ، ط٥، ١٩٩٧م:٥٨.

(4) يُنظر: كتاب الصناعتين: ٢٦٣.

(5) كتاب التعريفات:١/ ١١٧، ويُنظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي: ١٣.

(6) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي تقي الدين أبو بكر بن عبد الله الحموي الأرزي(ت٨٣٧هـ)، تح: عصام شيقو، دار ومكتبة الهلال – بروت – لبنان، ط الأخيرة، ٢٠٠٤م: ٢ /٤١١، علم البديع، عبد العزيز عتيق(ت١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية - بيروت- لبنان، د.ط، د.ت: ١/ ٢١٧.

احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) إذ تكاد لا تخلو مِنْه كلِّ فقرةٍ في نسِيجِهَا الصّوتي واللغويّ.

و ورد هذا النوع في احتجاجات الإمام (عليه السلام) على الزنادقةِ روي عن محمد بن عبد الله الخراسانيّ خادم الإمام الرضا (عليه السلام) قال:" دخلَ رجلٌ مِن الزنادقةِ على الرضا (عليه السلام) وعندهُ جماعة، فقالَ له أبو الحسن (عليه السلام): أرأيتَ إن كان القولُ قولُكم – وليس هو كما تقولون – ألسنا وإياكم شرعاً سواء، ولا يَضُرنا ما **صلّينا وصمنا وزكيّنا وأقررنا؟** فسكت.[1]

صلّينا وصمنا وزكيّنا ⟺ وأقررنا ⟵ تطريف.

ولهذا التَّسجيع أهمية في خلق إيقاع متوازن الأطراف بين العبارات المسجوعة من دون الالتفات لأوزانها العروضية، فيكّون حلقة تواصلية بين المنشئ والمستقبل تمتزج بها الأصوات والمعاني خارقةً بموسيقاها وزخارفها الألباب من دون تكلفٍ، وهذه الأسجاع مِنْ التقنيات الأسلوبية التي يتأثر بها السامع تأثراً ديناميكياً سريعاً فتستقطب ردّات الأفعال بشكلٍ عجيب ونجد هذا في سجع الإمام (عليه السلام) فيقول:(صلّينا وصمنا) و(زكينا وأقررنا) فاختلفت في أوزنها واتفقت في أحرف رويها وهو (الألف) في ضمير الجمع (نا) بوتيرة تصاعدية سبقها الاستفهام الإنكاري،

(1) الاحتجاج:١٧١/٢.

مُحْدِثاً نبراً صوتياً معبراً عن معنى الاعتراض والإنكار فقولكم ليس قولنا وعملكم ليس عملنا حتّى تحيّر الزنديق فسكت.

ونجده أيضاً في احتجاجه (عليه السلام) في الكتب السماوية وفنائها فقال أبو قُرّة* :" هل تَفنَى؟ فقال الإمام الرضا (عليه السلام): أَجمَعَ المسلمونَ على أنَّ ما سِوَى اللهِ فانٍ، وما سِوَى الله فعلُ الله، والتوراةُ والإنجيلُ والزّبورُ والفرقانُ فعلُ اللهِ، ألم تَسمَعِ النَّاسَ يقُولُونَ: رَبُّ القرآنِ، وإنَّ القرآنَ يقولُ يومَ القيامةِ: يا ربِّ هذا فلانٌ – وهوَ أعرَفُ بهِ مِنْهُ – قد **أَظمَأتُ نَهارَهُ، وأسهَرتُ ليلهُ**، فَشفِّعني فيهِ."[1]

أظمأتُ نهاره ⟺ وأسهرتُ ليله ⟵ تطريف.

حصل التَّسجيع مطرفاً إذ أتفقت فيه القرينة الأولى بفاصلتها (نهارهُ) مع فاصلة القرينة الثانية (ليلهُ) ويلحظُ التناسق الصوتي والتوازي البنائي بين صيغ القرينتين (أظمأتُ) (أسهرتُ) فهما على وزنٍ واحد وقافية مشتركة هي (التاء) وهذا التناسق يُعدّ لوناً مِنْ ألوان الموسيقى التي تجسد المعنى وتنقل صورةً حقيقيةً تَعْلُق في الأذهان فَتُصَوُّر القرآن على أنّه يتكلم ويرى فينقلُ لمُحْدِثهِ وخالِقهِ الله تعالى صورة عطش وسهر متعبديه بأسمائم،لإقرار معنى كلّ شيءٍ فانٍ ولا باقٍ سوى الله تعالى وفعله القرآن، ولو نظرنا إلى الأسجاع لوجدنا فيها توظيفاً بلاغياً تمثل في الجمع بين

(*)(هو موسى بن طارق الزبيدي، قاضي زبيد)، يُنظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي(ت٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٣، ١٩٨٥م:٩/ ٣٤٦.

([1]) الاحتجاج:١٨٥/٢.

المتضادين (ليل ونهار) وهذة إضافة فيها طاقة زادت التوازن الصوتي والجمالي وحُسنُ التخيّل الصوري حين ينتقل خيالُ السامع مِنْ ضوء النهار إلى ظلمة الليل بتأثير التكثيف الصوتي بإختيار الأصوات و التكثيف المشهدي بإنتقاء الألفاظ وبلاغة الأسلوب وطُرقهِ.

ويتمثل هذا النوع في احتجاجاته (عليه السلام) مع أبي قُرّة في مقايستهِ صفات الله تعالى بصفات المخلوقين فقال الإمام الرضا (عليه السلام): "ويحَكَ كيفَ تَجتَرئُ أن تَصِفَ رَبَّكَ بالتَّغَيُّرِ مِنْ حالٍ إلى حالٍ، وأَنَّهُ يَجري عَليهِ ما يَجري على المَخلُوقين؟! **سُبحانَهُ لَم يَزَلْ مَعَ الزَّائِلينَ ،و لَم يَتَغيَّر مع المُتَغَيِّرينَ**."[1]

الزائلين ⟺ المتغيّرين ⟹ تطريف.

قيل أحسن الأسجاع قصيرها فهي خفيفة على القلب، طيبة على السمع رقيقة ؛لتقارب أطرفها ولها في الآذان لذة وبيان.[2]وهذاما استبان في قوله (عليه السلام): (لم يَزَل مع الزَّائلينَ) و(لم يَتغيَّر مع المُتَغيِّرين) تنوعت الموسيقى وتجانست الألفاظ وتماسكت التراكيب، فيُلحظ تداخل موسيقى التكرار الصوتي في الألفاظ المشتركة بجذرٍ واحدٍ كـ (يزل– والزائلين) و(يتغيّر– والمتغيّرين) والمسبوقَين بالنفي المتكرر لزيادة قوة الإيقاع واظهار المعنى، مع موسيقى التَّسجيع المطرّف الذي اتفقت فيه

(1) الاحتجاج:١٨٩/٢.
(2) يُنظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤيد العلوي:٣/ ١٤.

أحرف الروي في السجعتين (الزائلين) (المتغيّرين) وهو(النون) المجهورة الذلقية الشديدة.[1] فيها تناسب مع شدة تأكيد زوال وتغيّر وفناء كلّ شيءٍ مِنْ الموجودات وشدة أمر البقاء والأزلية للرحمن وبدلالة قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[الرَّحْمَٰن: ٢٦ - ٢٧].

ثانيًا: السّجع المتُوازي: "وهو أن تتّفق اللّفظة الأخيرة مِنْ القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي، كقوله تعالى:﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾[الغَاشِيَة: ١٣ - ١٤]"[2].وقد ورد هذا النوع في احتجاج الإمام الرضا (عليه السلام) عندما دخل عليه عليه رجلٌ مِنْ الزنادقة فحاججه في التوحيد والعدل ودليل حدوث العالم فقال أبو الحسن: "**وإن لَم يَكُن القولُ قولنا**، وهو كما نقول –، **ألستُم قد هَلكتُم ونَجَونا**.قال الزنديق: رَحِمَكَ اللهُ فَأَوجِدْنِي كَيْفَ هوَ، وأينَ هو؟ قالَ الإمامُ الرضا (عليه السلام): وَيلَكَ! إنَّ الذي ذَهبتَ إليهِ غَلطٌ، وهو أَيَّنَ الأَيْنَ، وكانَ ولا أَيْنَ، وهو كَيَّفَ الْكَيْفَ، وكانَ و لا كَيْفَ، فلا يُعْرَفُ بِكَيْفُوفِيَّةٍ*، ولا بأَيْنُونِيَّةٍ*، ولا يُدرَكْ بحاسَّةٍ، ولا يُقاسُ بشَيءٍ."[3]

([1]) يُنظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ١٩- ٢١.

([2]) خزانة الأدب وغاية الأرب:٤١١/٢.

(*) (بمعنى الكيفية مأخوذة مِنْ الكيف، وهو سؤال عن حال الشيء يقال: كيف أصبحت؟ أي على أي حالٍ أصبحت؟ فالله تعالى هو ملك الكيفوفية وملك الأحوال الواقعة في الأشياء) إيجادها، فإنّه تعالى مالك الايجاد ومالك مايقع في الموجودات بعد الايجاد.)، يُنظر: كتاب التوحيد، للشيخ الصدوق: ٣٢١.

([3]) الاحتجاج:١٧١/٢.

قولنا ⟺ ونجونا ⟶ توازي.

فالتَّسجيع هنا وقع بين (قولنا) و (نجونا) فكانا على وزن واحد(فعلنا) وهذا يَطبَعُ المعاني لجماله في الأذهان وبجرسه يقرع الأسماع.[١] وجيء به على حرف رويٍ واحد (الألف) وهو حرف مديّ يسمى بالهاوي لما فيه من استطالة في النطق.[٢] لها نغم وإيقاع يُعبر فيه المتكلم عن عمق المعنى المراد تثبيته في نفس السامع وهو أنّكم جعلتم في الله الأينية والكيفية وهذا القول يُهلككم.

وجاء في احتجاجات الإمام (عليه السلام) في صفات الإمام والإمامة ومستحقيها قال (عليه السلام): " الإمَامُ **المُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ**، **المُبَرَّأُ عِنِ العُيُوبِ**، **مَخصُوصٌ بالعلمِ**، **مَوسُومٌ بالحِلمِ**، **نظامُ الدّين**، **وعزُّ المُسلمين**، **وغَيظُ المَارقين**، **ويُوارُ الكافرين**."[٣].

وقع التّجنيس المتوازي في أربعة مقاطع أتفقت كلّ لفظة مع قرينتها بالوزن والروي، ويُلحظ أنّ هذه الألفاظ فيها تناغمًا إيقاعيًا ناتجًا مِنْ تكرار الأصوات نفسها في نهاية بنية كلّ تسجيعة فتُشكّل موسيقى منسجمة مع أسيقة النّص الداخلية[٤] وصولاً للهدف الإقناعي المطبوع بألفاظ وموسيقى المقطوعة التَّسجيعيَّة فحين يقول

(*) (بمعنى الأينية مأخوذة مِنْ الأين، وهو سؤال عن مكان الشيء لتحديد موقعه)، يُنظر: لسان العرب: ١٣/ ٤٤.

(١) يُنظر: كتاب مقامات الحريري، أبو محمد القاسم بن علي الحريري(ت٥١٦هـ)، مطبعة المعارف- بيروت، د.ط، ١٨٧٣م: ١٩.

(٢) يُنظر: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، د. عبد السميع النيراني، دار الغوثاني- دمشق، ط١، ٢٠٠٦م: ٨٧.

(٣) الاحتجاج: ٢/ ١٩٦.

(٤) يُنظر: المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) دراسة أسلوبية، إدريس طارق حسين (رسالة ماجستير) كلية التربية- جامعة بابل، ٢٠٠٦م: ٦٠.

(عليه السلام): (المطهر مِن الذنوب، المبرأ مِن العيوب)، (مخصوص بالعلم، موسوم بالحلم)، (نظام الدين، وعز المسلمين)، (وغيظ المارقين، وبوار الكافرين) نجد في هذه المقاطع ترابطاً دلالياً بين طرفي كلِّ تسجيعة أنتجه ترابط الإيقاع الصوتي بالتركيب السياقي و مما يُلحظ أيضًا اختلاف الفواصل بما ينسجم مع دلالة الألفاظ وسياقها.

ثالثًا السّجع المُرصّع: "الذي تقابل فيه كلّ لفظةٍ مِن فقرة النّثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها، نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[الانفِطَار: ١٣ - ١٤]

ونجد هذا النوع في ما روي عن محمد بن عبد الله الخراسانيّ أنّ رجلاً زنديقاً دخل على الإمام الرضا(عليه السلام): فحاججه الإمام في التوحيد وبيان قدرة الله تعالى فقال له (عليه السلام): "ثُمّ نظرَ إلى الأشجارِ و حَمَّلها أطايبها، المأكولة مِنْها و غير المأكولةِ، فقلنا عند ذلك: إنَّ خالقنا لطيفٌ لا كلطف خَلقه و قلنا: إنهُ سميعٌ لأنهُ لا يَخفى عليه أصوات خَلقه، ما بين العرش إلى الثَرى، مِن الذرة إلى ما هو اكبر مِنْها في برّها و بحرها، و لا يَشتبه عليه لغاتها، فقلنا: إنه سميعٌ لا بأذن و قلنا: إنه بصيرٌ لا ببصرٍ؛ لأنه يرى أثر **الذَرةِ السحماء** في **الليلةِ الظلماء** على **الصخرة السوداء**، و يرى دبيبَ النملِ في الليلة الدجية، و يرى **مضارها و منافعها**، وأثر

سفادها، و **فراخها و نسلها**، فقلنا عند ذلك: انه بصير لا كبصر خلقهِ، قال: فما بَرَحَ حتّى أسلم."[١]

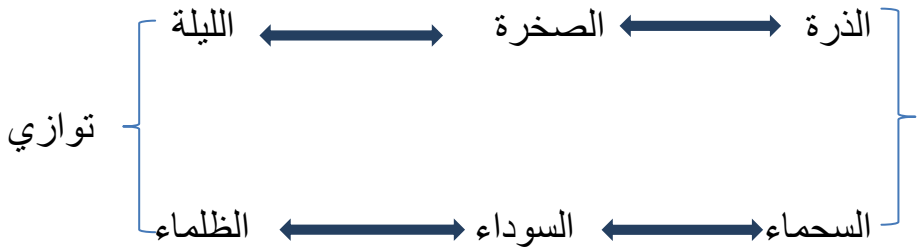

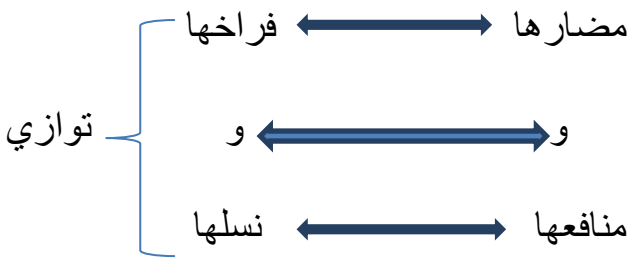

وهذا النوع مِنْ التَّسجيع يتسمُ بنوعٍ مِنْ الهندسة الصوتية واللفظية القائمة على التقابل والتوازي في كلّ لفظة مِنْشطر التَّسجيع الأول مع نظيراتها في الشطر الثاني للتّسجيع فيُنسجان على وزنٍ واحد وروي واحد؛ لينتج خليطاً متماثلاً ومتجانساً مِنْ الأسجاع المتداخلة.[٢] فيرتفعُ بها النغم وتنشطُ الموسيقى وترتكزُ المعاني في أقطابها وتدور حول مراكزها، ويحتاج هذا التَّسجيع إلى مخزون مِنْ الألفاظ وبراعة في النظُم، وهذا سهل يسير على مِنْ اصطفاهم ربُّ العزّة وجعلهم أفصح العرب إذ يجد المتلقي أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) يأتي بأسجاعٍ في غايةِ الروعة والجمال الموسيقي

(١) الاحتجاج:١٧٣/٢.
(٢) يُنظر:كتاب الصناعتين: ٢٦٣.

والتماسك اللفظي والمعنوي، حين يصف الله تعالى بالبصير فيقول: (يرى أثر الذرة السحماء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء) فهذه أسجاع متوالية وعلى زنةٍ وتقفيةٍ واحدةٍ شكلت إيقاعًا وجَهَ المنعى، وجعل مركزه بصر الله ورؤيته التي أخرج فيها (عليه السلام) بصر الله عن التجسيم والمحدودية، فهو لايُشابه مخلوقاته بالحواس التي صنعها وهو منزهٌ يسمع بلا أُذن وبلا عين يرى، ولو تأملنا في ألفاظ التَّسجيع لوجدناها تحمل دلالة مشتركة ومركزية وهذه مِنْ أنقى صور البلاغة وأبهاها فـ (الذرة السحماء) أي (السوداء) و(الليلة الظلماء) أي سواد الليل و(الصخرة السوداء) الحجرةُ السوداء أخلفت الألفاظ وتشابهت المعاني لتدور كلّها في معنى السواد والعتمة التي لا يستطيع أي مخلوقٍ مِنْ الرؤية والبصر فيها فهي خارج قدرته الخلقية، والله وحده الذي يرى الأشياء مهما صغُرت ودُقت، وأحاط بكلّ شيءٍ علمًا، وثمة هنالك نكتة صوتية في قوافي الألفاظ (السمحاء والظلماء والسوداء) تنتهي بصوت(الهمزة) المطرفة الحلقية الحنجرية البعيدة المخرج التي تخرج مِنْ أقصى الحلق.[1] فتُقرب الصورة وتنحتها في ذهن السامع وتجعلها مشاهد حية كأنّه يعِشَهَا، وعُمق مخرج الهمزة في هذا النص له يتناسب معنوياً مع القدرة الألهية وهي دقة رؤية الله تعالى للأشياء ما بطن منها وما ظهر، و جاء التَّسجيع مرصعًا في قوله: (مضارها و منافعها) و (فراخها و نسلها) إذ اتفقت السجعتان بالوزن والروي الذي كان صوت

(1) يُنظر: دراسات في اللغة، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر، د.ط، ١٩٩٨م: ٦٠.

(الألف) المدية البعيدة المخرج ففيهااطالة بالصوت.[1] وهذا يُعطي لألفاظ التَّسجيع صورة موضحة عن رؤية الله تعالى للنملة في الليلة الشديدة الظلام بل أبعد مِنْ ذلك فهو يرى منافعها ومضارها بل أبعد مِنْ ذلك فهو يرى بيظ النمل المتناهي في الصغر ويرى خروج الفراخ مِنْ ذلك البيظ فسبحانه مِنْ خالقٍ عظيم.

ونجد هذا النوع في احتجاجاته (عليه السلام) في صفات الخالق وقدرته، قال (عليه السلام): "وأمَّا الظَّاهرُ فليسَ مِن أَجلِ أَنَّهُ عَلَا الأَشياءَ **بِرُكُوبٍ فَوقَهَا، وقُعُودٍ عليَهَا** وتَسَنُّمٍ لذُرَاهَا، ولَكِنْ ذلكَ لقَهرِهِ ولغَلَبَتِهِ الأشياءَ، ولقُدرتِهِ عليها كقولِ الرَّجلِ: ظَهرتُ على أعدائي وأَظهَرَني اللهَ على خَصمي يُخبِرُ عن الفَلْحِ والغَلَبَةِ"[2]

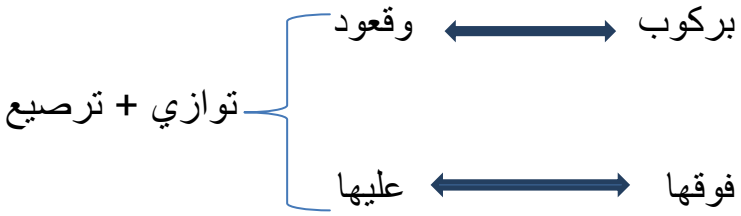

وقيل أحسن الأسجاع وأطراها وأخفها للسامع وأثبتها في القلب ما قلّت ألفاظها ورُكّزت معانيها.[3] فورد التسجيع عند الإمام الرضا (عليه السلام) متساوي الأجزاء قصيراً معتدلاً وعلى وزن وروي واحد(الألف المدية) فيقول:(بركوب فوقها) و(قعود عليها) فيهما إيقاع وجرسٌ حسيّ يُعطي للسامع صورة ضبابية غير متخيلة خارجة عن

(1) العميد في علم التجويد، محمود بن علي بن بسة المصري(ت١٣٦٧هـ)،تح: محمد الصادقق محاوي، دار العقيدة- الإسكندرية- مصر،ط١، ٢٠٠٤م: ٥٢.
(2) الاحتجاج:١٧٣/٢.
(3) يُنظر: أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين المدني علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني (ت: ١١١٩هـ)، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان- النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٩م: ٦/ ٢٥١، ٢٥٢.

قدراته العقلية، ويُلحظ أسلوب النفي الذي سبق التَّسجيع فنفى به الركوب والقعود والتي هي مِنْ صفات وأحوال البشر ثم بيّن (عليه السلام) أن علوه وظهوره يكمن في بديع خلقه وقهره مخلوقات هو ليس علوه بإرتفاعٍ على موضعٍ أو فوق مكان.

وبعد دراسة التَّسجيع تبيّن أنه قد شغل مساحةً كبيرةً في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام)، وكان له دور فعّال على المستوى الصوتي الجمالي فهو وسيلة إقناعية سريعة التأثير، وكذلك على المستوى المعنوي إذ يُدخل المعاني إلى جوف القلوب فتهتدي به العقول، وكان هدفه الأسمى ليس تنميق الكلام للجمالية الشكلية فهو أفصح وأبلغ الناس في زمانهِ، وهذا ما تشهَدُ به الأعادي قبل الأصحاب ولكن كان هدفه إظهار الحقائق التي خُفيت قسراً وكشف الخداع الذي حِيكَ غدرًا وبغضًا به وبأهل البيت (عليهم السلام).

المبحث الثالث

المُزدوجات الصّوتيّة التّجنيسيّة

يُعدُّ التَّجنيس أو الجناس مِنْ أهم المظاهر الصّوتيّة والبلاغية التي لاقت عنايةً خاصّة مِن العلماء العرب، أهل البلاغة والفصاحة والتّركيب، إذ شغل الجناس حيزًا كبيرًا في خطاباتهم الشعرية والنثرية لما له مِنْ أثر مُوسيقي ومعنوي في أُذُن السامع، فأحبته النُّفُوس و سُرّت به الأسماع، واخترت هذا العُنوان (المُزدوجات التَّجنيسيَّة)؛ لتشّكُل التَّجنيس مِنْ ثنائيات كلامية مُتقابلة على نسقٍ مُتساوٍ، وقد أشار لهُ علماء العربية بذكرهم الازدواج الكلامي في أبواب السّجع والتَّجنيس.

يُعرّفهُ أصحاب المعاجم اللغوية كالخليل: "التَّجنيس جنس: الجنسُ: كلُّ ضربٍ مِنْ الشّيء والنّاس والطّير، وحُدُود النّحو والعروض والأشياء ويُجمعُ على أجناسٍ. وهُو اشتراكُ شيئين في نفس الجنس في أصل الاشتقاق."[1] ويُعرّفهُ الجوهريّ: "الجنس: الضّربُ مِنْ الشّيء، وهو أعمُّ مِن النّوع، ومِنه المجانسة والتَّجنيس ويُقال:هذا مُجانسٌ لهذا."[2]

(1) كتاب والعين:٦/ ٥٥.
(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٩١٥/٣، ويُنظر: لسان العرب: ٤٣/٦.

أما التَّجنيس في اصطلاح النقاد والبلاغيين العرب: يُعرّفه قدامة بن جعفر فيقولُ:"ومعناهُ أن تكون في الشعر معانٍ متغايرةٍ قد اشتركت في لفظةٍ واحدةٍ وألفاظٍ متجانسة مُشتقّة."[١]، وهو عند الرُّمّانيّ"تجانس البلاغة هُو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللُّغة."[٢] وأوضح تعريف للتجنيس "هو تشابه اللّفظين في النُّطق واختلافهما في المعنى وهذان اللّفظان المتشابهان نُطقًا المُختلفان معنى يسميان(ركني الجناس) ولا يُشترطُ في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التّشابه ما نعرفُ به المجانسة."[٣]

وتجلّى التَّجنيسُ في احتجاجات الإمام الرّضا (عليه السلام) بكلّ أنواعه، إذ شكّل ظاهرةً أسلوبيةً صوتية انمازت بجملها الشكلي والمعنوي والتي انتشرت بشكلٍ كبير في نصوص الإمام (عليه السلام) حيث لا يمكن إحصائها بدقةٍ وسنُفصّل القول فيها:

أولاً: التَّجنيس التام:"هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة مِنْ الحركات والسكنات، وترتيبها، وهذا هو أكمل أنواع الجناس إبداعاً وأسماها رتبةً"[٤].

---

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٦٠.
(٢) النكت في إعجاز القرآن الكريم، للرماني: ٩٩.
(٣) علم البديع، عبد العزيز عتيق: ١٩٦/١. ويُنظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي: ١٣.
(٤) جناس الجناس في علم البديع، العلامة صلاح الدين الصفدي، مطبعة الجوائب- قسطنطينية، ط١، ١٨٨١م: ٢٠. ويُنظر: علم البديع، عبد العزيز عتيق:١٩٧/١.

روي عن السلام بن صالح الهروي قال:"قلت لعليّ بن موسى الرضا (عليه السلام): يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث: إنَّ المُؤمنينَ يَزورون ربَّهم مِن منازِلِهم في الجنَّةِ؟ فقال (عليه السلام): يا أبا الصَّلتِ إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتعَالَى فضَّل نبيَّهُ محمَّداً(صلى الله عليه وآله وسلم) على جَميعِ خَلقهِ مِن النَّبيِّينَ والمَلائكةِ، وجَعلَ **طاعتَهُ طاعتَهُ**، و **مبايَعتَهُ مبايَعتَهُ**، **وزِيَارَتَهُ** في الدُّنيا والآخرةِ **زِيَارتَهُ**، فقال عزّ وجلّ:﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ** ﴿٨٠﴾﴾[النِّسَاء: ٨٠]."[1]

إنّ التَّجنيس هو موسيقى وجرس إيقاعي يقوم على تكرير الأصوات ومجانستها ومقاربة الألفاظ وتحسينها لهندسة التراكيب فيحصل بها التوازن الصوتي والنغم السمعي، فجيء بالتَّجنيس التام في أقواله (عليه السلام):(طاعته طاعته) و(مبايعته مبايعته) و (زيارته في الدنيا والآخرة زيارته) فتجانست الألفاظ بحروفها وأعدادها وشكلها ونُظمها.[2] واختلفت مضامينها التي سِيقت لأجلها (فطاعته) الأولى هي طاعة النبي والرسول (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) و(طاعته) الثانية هي طاعة الله وسبيلها ونبعها طاعة الرسول، و(مبايعته) الأولى هي مبايعة الرسول و(مبايعته) الثانية هي مبايعة الله، الاّ ترى أنه(عليه السلام) قدّم الطاعة لسبقها على المبايعة فلا مبايعة دون طاعة فهذا نوع مِنْ التلائم والتجانس في المعاني، ثم جعل(زيارته)

(1) الاحتجاج:١٨٩/٢، ١٩٠.
(2) يُنظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري(ت: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ: ٩٠/٧.

الأولى هي زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته وبعد مماته و (زيارته) الثانية هي زيارة الله في عرشهِ.

ثانياً: تجنيس التّرجيع أوالناقص: "وهُو الذي سمّاهُ التبريزيّ التَّجنيس النّاقص، وسمّاه قوم تجنيس التّذييل، وهُو على الحقيقة الذي يوجدُ في إحدى كلمتيه حرف لا يوجدُ في الأُخرى، وجميع حرُوف الأُخرى موجود في الأُولى، وقسم في وسطها وقسم في آخرها"(١).

ورد هذا النوع في احتجاج الإمام (عليه السلام) عند حديثه عن الإمام والإمامة ومستحقيها قال (عليه السلام): "الإمامُ: واحدُ دَهرِهِ، لا يُدانيهِ أَحَدٌ، ولا **يُعَادِلُهُ عَدلٌ**، ولا يُوجَدُ لهُ بَديلٌ ولا لَهُ مَثيلٌ ولا نَظيرٌ، مَخصُوصٌ بالفَضْلِ كُلِّهِ مِن غير طَلَب مِنْهُ ولا اكتِسَابٍ، بَل اختصاصٌ مِن المُتَفضِلِ الوَهَّابِ فَمَن ذا الَّذي يَبلُغُ مَعرفَةَ الإمَامِ أو يُمكِنُهُ اختيَارُهُ؟ هَيهَاتَ هَيهَاتَ!"(٢).

وجدنا تجنيس التّرجيع أو التَّجنيس الناقص في هذا النصِّ في قوله (عليه السلام):(يعادله عدل) حيث جانس بين الفعل (يعادله) والاسم (عدل) والذي وجدت حروف نسيجه اللغوي كُلّها في اللفظة الأولى مع زيادة في أحرف المضارعة التي في

(١) كتاب الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تح: الساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م:٢٦٢ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني البغدادي(ت: ٦٤٥هـ)، تح: د. حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، د.ت: ١٠٧.

(٢) الاحتجاج:١٩٦/٢.

نسيجها، فتحصّل بها فائدة وهي "الميلُ إلى الإصغاء إليه فإنّ مُناسبة الألفاظ تُحدِثُ ميلًا وإصغاءً إليها ولأنّ اللفظ المُشترك إذا حُمّل على معنىً ثُمّ جاء والمُرادُ به آخرُ كان للنّفس تشوُّق إليه."[1] وقد وفَّر هذا الاشتراك اللفظي والإيقاعي في قول الإمام الرضا (عليه السلام) مساحةً للمتلقي للاشتراك بقراءة النّص مرتكزًا على دلالة اللفظ الثاني(عدل): والتي تعني "هو المرضيُّ مِنْ النّاس قولُهُ وحُكمُهُ."[2] وجعله محور للفظ الأول (لا يعادله): أي لا يساويه ولا يناظره ولا يماثله أحد في عدله.[3]

ثالثاً: وتجنيس التّغايُر: "وهو أن تكون إحدى الكلمتين اسمًا، والأُخرى فعلًا، ويُسمّى التَّجنيس المُطلق، كقُوله تعالى:﴿ **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ** ۝٧٩﴾[الأَنْعَام: ٧٩]."[4]

يقول الإمام الرضا (عليه السلام): "ضَلّت العقُولُ، وتاهَت الحلومُ، وحَارَت الألبابُ، وحَسَرَتِ العيونُ، وتَصاغَرت العُظماءُ وتحيّرت الحكماءُ، وتَقاصَرت الحلماءُ، وحصرت الخُطباءُ، وجَهلت الألبابُ وكلَّت الشعراءُ، وعَجزت الأدباءُ، وعيّت البلَغاءُ عن وصفِ شأنٍ مِن شأنِه، أو فَضيلةٍ مِن فضائلِهِ فأقرَّت بالعجزِ والتقصير، وكيف يُوصَفُ أو يُنعَتُ بكنهِهِ، أو يُفهَم شيءٌ مِن أمرِهِ، أو يوجدُ مِن **يقومُ مقامَه**، **ويُغني**

(1) الأتقان في علوم القرآن: ٣١٠/٣.
(2) كتاب العين: ٣٨/٢.
(3) يُنظر: المصدر نفسه: ٣٨/٢- ٣٩.
(4) تحرير التحبير: ١٠٤.

غناه، لا وكيف وأنّى، وهو بحيثُ النجمِ مِنْ أيدي المتناولين، ووصفِ الواصفين! "[1].

وقع التَّجنيس بهيئة المزاوجة بين الأفعال والأسماء فشكّلت ظاهرةً أسلوبيةً نطقية محسوسة تجلب ترقب أُذن السامع وانتباهه.[2]،ففي قوله (عليه السلام): (يقوم مقامه) و (يغني غناه) يُلحظ بنية إيقاعية تنظيمية كشفت عن معانٍ مستورةٍ بغطاء الألفاظ فـ (يقوم) فعل يدلُ على حدث انتصاب ساق الإنسان واستقامته بالنهوض.[3]، ولكنه (عليه السلام) أراد به القيام بأمر الإمامة ومحلها وموضعها الذي قدّرهُ الله فيما أختاره واصطفاه لها، وتعالقت اللفظة نغميًا وموضعيًا بلفظة (مقامه) والتي حملت معنى الإنابة والإشغال، أي لا يوجد له مثيل ينوب منابه؛ لبعده عن تلك الصفات المقصورات على آل بيت النبوة ومعدن الرسالة(عليهم السلام)، والتَّجنيس الآخر قوله:(يغني غناه) ودلالة (الغنى) الثروة والأموال ولكن الإمام (عليه السلام) ارتسم لهذا اللفظ معنيين أحدهما: ظاهر وهو أنّ الإمام ثروة لا تعادلها ثروة والثاني: هو المعنى المقصود والذي بيّنهُ الإيقاع الصوتي التَّجنيسي في لفظة (غناه) والمعنى لا يمكن لأحدٍ أن يستغني بأي حالٍ مِنْ الأحوال عن وجود الإمام والإمامة.

---

(1) الاحتجاج:٢/ ١٩٦.
(2) يُنظر: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٤م: ٢٦٦- ٢٧٦.
(3) يُنظر: لسان العرب: ٢٤٥/٧.

رابعاً: تجنيس التّماثُل: وهُو أن تكون الكلمتان أمّا اسمين أو فعلين.[١]

وقد ورد في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في حديثه عن الإمامة يقول: "البيتُ مِنْ قريشٍ، والذروةُ مِنْ هاشمٍ، والعترةُ مِن آل الرسولِ، والرضا مِن اللهِ، **شرفُ الأشرافِ**، والفرعُ مِنْ عبد منافِ، نامي العلم، كاملُ الحلمِ، مضطّلعٌ بالإمامةِ، عالمٌ بالسياسةِ، مفروضُ الطاعةِ، قائمٌ بأمرِ الله، ناصحٌ لعبادِ الله، حافظٌ لدينِ الله."[٢]

تبحثُ الأسلوبية في روح الألفاظ الكامنة في أعماق نُظمها وأنساق تراكيبها، والجناس أحد أدواتها لتناسب صور ألفاظه كلّها أو بعضها، وانسجامها وائتلافها فيُستميل بها النفوس وتطمئنّ لها الأذواق وتُطرِب لها الآذان وتُختلب بها الأذهان.[٣] ونجد هذه المناسبة في الألفاظ عند الإمام الرضا (عليه السلام) فحين يُجانسُ بين الأسمين (شرفُ) بصيغة المفرد و(الأشراف) بصيغة الجمع، ينبثقُ مِنْ هذا التنوع بين المفرد والجمع إيقاعاً يحملُ جرساً يلفتُ انتباه المتلقي، ومعانٍ تَشدُّ أحاسيسه وتُبطلُ أقاويله، فصيغة الأسم المفرد في (شرفُ) له دلالة تركيبية هي التخصيص والعناية بالشيء؛ لأهميته وهذه يتطابق مع الدلالة المعجمية لها والتي تعني شرفُ النسب والعفة وسمو الأخلاق وتكامل العقل وعلو المكانة.[٤] وهذا التخصيص كشف عنه التَّجنيس فجعل مضمون هذه اللفظة ينحصر في أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

---

(١) تحرير التحبير: ١٠٥.
(٢) الاحتجاج:٢/ ١٩٦.
(٣) يُنظر: فن الجناس- بلاغة- أدب- نقد، علي الجندي، دار الفكر العربي- مصر- القاهرة، د.ط، د.ت: ٢٩.
(٤) يُنظر: كتاب العين: ٦/ ٢٥٢، ٢٥٣.

دون غيرهم، وصيغة الجمع في الاسم (الأشراف) أفاد معنى الشمول لتلك المعاني الموجودة في لفظة (شرف) فخصّهم الله بأفضل نسبٍ وأتم خلقٍ وأعلى رتبةٍ وأسمى مكانٍ، فجمعها بهم دون أن يجمعها في غيرهم.

خامساً: التَّجنيس المُضارع: "وهو أن لا تختلفُ الكلمتان إلّا في حرفٍ مُتقاربٍ، (الذاري، والبارئ)."[١] وقيل يقع بين حرفين متباعدين في المخرج والصفة.[٢]

وجاء هذا النوع في وصف الإمام الرضا (عليه السلام) للأئمة (عليهم السلام) فيقول: "وهُم نَسلُ مُطهَرة* البَتُول، لا مَغمزٍ فيهِ في **نَسبٍ**، ولا يُدانيهِ ذو **حَسَبٍ**"[٣] .

وقع التَّجنيس بين لفظي (نسب) و(حسب) وكان الاختلاف بين صوتي (النون) و(الحاء) مِن الأصوات اللسانية ذات المخرج القريب [٤]، و(الحاء) مِن الأصوات الحلقية ذات المخرج البعيد [٥]، فهذا الاختلاف وترديد الأصوات في الكلام له إيقاع موسيقي ونغم يسري في الآذان ويأسر القلوب بمعانيه ولا يقدر عليه إلاّ صاحب الإحساس المرهف في تذوق الموسيقى اللفظية وإيصال المعاني والأفكار[٦]، فبعد مخرج الحاء عند النطق يأتلف مع معنى (حسب) وهو بُعد الأصالة وعمق الشرف

(١) كتاب التعريفات: ٥٢.
(٢) يُنظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢/ ١٩٠.
(*) الصحيح (المطهرة البتول) باضافة (أل التعريف) إلى لفظة (مطهرة)، ينظر: كتاب الاحتجاج للطبرسي طبعة منشورات الشريف الرضي: ٢/ ١٩٧.
(٣) الاحتجاج:٢/ ٢٢٩.
(٤) المدخل إلى علم الأصوات العربية، غانم قدوري الحمد: ٨٤- ٨٦.
(٥) يُنظر:الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٨٧، ٨٨.
(٦) يُنظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٤٢، ٤٣.

الثابت في الآباء الذي لا يحتمل أدنى شك أوعيب.[١]، وكذلك قرب مخرج (النون) وحدّتهُ وشدّته تأتلف مع معنى(نسب) وهو صلة القرابة.[٢] فقرب صوت النون وشدّته في لفظ (نسب) تتناسب مع شدة قربُ قرابة الأئمة (عليه السلام) إلى رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) فالتَّجنيس لا يأتي؛ لنظّارةٍ أو تحسينٍ لاستماع ولكن يُظهر المعاني بمسلك الموسيقى والإيقاع حتّى يرميّ في بحر النفوس الإقناع.

سادساً: تجنيس التّصحيف: "هو أن يكون الفارقُ نقطةً، كـ (أنقى، واتّقى.)"[٣]

ورد هذا النوع في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في حديثهِ عن دلائل الإمامة، فقالَ رأسُ الجالوتِ*: وما الدليل على الإمام؟ قال الإمام الرضا(عليه السلام):" أن يكونَ عالمًا بالتَّوراةِ والإنجِيلِ والزَّبُورِ والقُرآنِ الحَكيمِ، فيُحَاجَّ أَهلَ التَّورَاةِ بتَورَاتِهِم وأَهلَ الإنجِيلِ بإنجِيلِهِم، وأَهلَ القُرآنِ بقُرآنِهِم، وَأن يكُونَ عَالمًا بجَمِيعِ اللُّغَاتِ حَتَّى لا يَخفَى عَلَيهِ لِسَانٌ واحِدٌ، فَيُحَاجَّ كَلَّ قَومٍ بلُغَتِهِم، ثُمَّ يَكُونَ مَعَ هَذِهِ الخِصالِ **تَقيًّا، نَقيًّا** مِن كُلِّ دَنَسٍ، طَاهراً مِن كُلِّ عَيبٍ، عَادلاً مُنصِفًا، حَكيمًا، رَؤوفًا، رَحيمًا، غَفُورًا، عَطُوفًا، صَادقًا، مُشفِقًا، بارًّا، أمِينًا، مَأمُونًا"[٤].

---

(١) يُنظر: كتاب العين:١٤٨/٣.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه:٧/ ٢٧١.
(٣) كتاب التعريفات: ٥٢.
(*) (رأس الجالوت وهو اسمٌ كان يُطلق على علماء وكبار اليهود)، يُنظر: كتاب مفتاح العلوم الخوارزمي(ت٣٨٧هـ)،دار الكتاب العربي- بيروت، ط٢: ٥٣
(٤) بحار الأنوار: ٨٠/٤٩.

ظهر التَّجنيس مصحّفاً في قوله (عليه السلام): (تقيًا نقيًا) بنقطة بين (التاء والنون) وقد أحدث رنة نغمية وانتقالة فنية وحسن انتهاء، وهذا انسجام صوتي دقيق على مستوى الفونيم الواحد وأثره في تغيير المعنى فـ (التاء) في (تقيًا) صوت مهموس يجري معه النفس عند النطق به [١]، وهذا الهمس منسجم مع دلالات التقوى الظاهرية مِنْ السّكينة والوقار والإيمان والطاعة، وفي هذا النّص تكونت نغمةً مرتفعةً أحدثها صوت (النون) في (نقيًا) فهو صوت مجهور احتكاكي فيه غنة وشدة صوتية [٢]، منسجمة مع النقاء الذي هو أشد درجات الصفاء والطُهر [٣] في السريرة الباطنية، وتقدمت التقوى على النقاء فهي بابها ومُنطلقها.

سابعاً: تجنيس التّصريف:"هو اختلافُ الكلمتين في إبدال حرفٍ أمّا مِنْ مخرجه، كقولهتعالى: ﴿ **وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ** ﴿٢٦﴾﴾[الأَنْعَام: ٢٦]، أو قريب مِنْهُ، كما بين: (المفيح، والمُبيح)"[٤].

من قول للإمام الرضا (عليه السلام) في صفات الإمام: "وأن يَكونَ عَالمًا بجَميعِ اللُّغاتِ حتَّى لا يَخفَى عَلَيهِ لسَانٌ واحِدٌ، فَيُحَاجَّ كُلَّ قَومٍ بلُغَتِهم ... عادلًا مُنصِفًا، حَكِيماً رءُوفًا، رَحِيمًا غَفُورًا، عَطُوفًا صَادقًا، مُشفِقًا بَارًّا، أمينًا مَأمُونًا، **رَاتِقًا فَاتِقًا**."[٥]

([١]) يُنظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ١٩- ٢٢.
([٢]) يُنظر: المصدر نفسه: ١٩- ٢٢.
([٣]) يُنظر: أساس البلاغة، الزمخشري:٢/ ٣٠٢.
([٤]) كتاب التعريفات: ٥٣.
([٥]) بحار الأنوار: ٨٠/٤٩.

وهذا التَّجنيس ضرب مِن الإيقاع الصوتي الذي يُثري النصّ بتقوية جرسه الحسيّ في السمع ويعطي للمتلقي مساحة كافية للتدّبر والتفكر فيما بثَّه المتكلم مِن مقاصدٍ حملها هذا الإيقاع المتغاير، ونجد ذلك في قول الإمام (عليه السلام) حين يصف الإمامة التي أتمها في صاحبها الحقّ الذي نصبّه الله فيها، وقلَّده إيّاها بالنّصِ والبرهان فيقول (عليه السلام): (راتقًا فاتقًا) وقع التَّجنيس التصريفي بين اللفظين باستبدال حرفٍ واحدٍ مِن أحرف اللفظة الأولى؛ لإبراز الصورة العكسية في المعاني لذات اللفظين، فدلالة الرتق هو الإصلاح واستواء الأشياء واعتدالها [1]، والفتق عكس الرتق وهو شق الشيء وانفصاله [2]، وهذه كلها أساليب كنائية تعبر عن معنى التّمكن والدّراية والإحاطة والقدرة التي يجب أن تكون في مِنْ تقلَّد مقاليد الإمامة، ومما يُلحظ أنّ صيغ (راتق وفاتق) على وزن (أسم فاعل) للدلالة على ثبوت وحتمية[3]، وهذه الصيغ لها دلالة على اتصاف كلّ إمامٍ بتلك الصفات التي ذُكرت في نصّ الإمام، فأُخرِج السامع وَصبَّ في ذهنه دلالة موحدة عن جميع ما استعرضه (عليه السلام) مِنْ صفات متنوعة في الإمام والإمامة تحت دلالة الرتق والفتق.

ونستنتج مِن هذه الدراسة للتجنيس أو الجناس أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) أولى اهتمامًا في انتقاء الأصوات وإئتلافها وعدم تنافرها حتّى لا تمجُها النفوس،

---

(1) يُنظر: كتاب العين: ٥/ ١٢٦.
(2) يُنظر: لسان العرب: ٢٩٦/١٠.
(3) يُنظر: أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب(ت:٦٤٦هـ)، تح: د. فخر صالح سليمان ، دار عمان- الأردن- دار الجيل- بيروت، د.ط، ١٩٨٩م:٢/ ٥٢٩.

واختار مِن الألفاظ أيسرها وأحسنها، ولم يكن هَمُ الإمام الرضا (عليه السلام) تجانس الألفاظ أو تطريز التركيب بل كان غايته مِنْ توظيف هذه الأساليب هي الاقناع والمحاججة فالإمام هو الموّكل بشؤون الرعية فلا يهمه الجمال بل أساس كلِّ نتاجه هو تحقيق الاقناع عن طريق اللغة وقد نجح في ذلك.

المبحث الرابع

ظاهرة التَّكرار الصوتي

يعدُّ التَّكرار مِنْ أهم المظاهر الصوتية والأسلوبية التي تزخر فيها اللغة العربية إذ يُشكّل نسقًا موسيقيًا يعمل على تعميق المعنى وتثبيته،ويرتبطُ التَّكرار بالمبنى والمعنى، فهو "خصيصةٌ أسلوبية ذات دور وظيفي وتفاعلي في بناء الحدث وترسيمة الصورة، لما يمنحه مِنْ قيمة أدائية وتعبيرية في معاودة الأصوات في الخطاب"[١]، ولا بدّ مِنْ الإشارة إلى أنّ هنالك علاقة تكاملية بين المرسل والمتلقي قائمةٌ على نقل الأحداث النفسية التي تدور في ذهن المتكلم قبل الكلام أو في أثنائه، وبين الأحداث النفسية في ذهن السامع عند سماعه للكلام، وذلك كله يرجع إلى انتقاء الأصوات والألفاظ والجُمل مِنْ قبل الباث للتأثير على السامع[٢]، ويتألف النسيج الصوتي مِنْ عدد مِنَ الأصوات، ويستعين اللسان بالوحدات الصوتية الفريدة، وترتبط تلك الوحدات مشكلةً وشائج مِنْ تجاور الأصوات ومواقعها، وقد تظهر في صوتٍ دون غيره مِنْ الأصوات، وكذلك تعتمد الوشائج على توزيع الحروف ضمن نسق صوتي منظّم

(١) تحولات بنى الخطاب القرآني في مشاهد القيامة والقص دراسة أسلوبية، بلقيس كولي محمد الخفاج(أطروحة دكتوراه)،كلية التربية- قسم اللغة العربية-جامعة بغداد،٢٠٠٥م:١٢. ويُنظر: رسالة ماجستير، خطب نساء أهل البيت عليهم السلام بعد واقعة الطف دراسة أسلوبية، خنساء مهدي حمود، كلية الآداب– جامعة البصرة، ٢٠١١م: ٣١.

(٢) يُنظر: علم الأصوات، د.كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة، د.ط، د.ت: ٣٧،٣٨.

ومتجانس للتعبير عن المعنى دون أن تتعارض فيه الأصوات.[١]، والتَّكرار عنصر إيقاعي له أثر معنوي في اللفظة والتركيب.[٢] ولا يخلو أي خطابٍ مِنْ التَّكرار لزيادة التنغيم وتقوية الدلالة، وهو يحدث في الصوت واللفظة المفردة، وفي الجملة وفي أمور أخرى.

وجاء مفهوم التَّكرار في معاجم اللغة على معانٍ عدة فيقول الخليل: "التَّكرار والكر: الرجوع عليه،ومِنْه التَّكرار والكرير: صوت في الحلق كالحشرجة. والكرير: بحة تعتري مِنْ الغبار."[٣] أَمَّا الزمخشريُّ فيرى أنّ التَّكرار هو إعادةُ القول على سامعهِ.[٤]

وفي لسان العرب:"كرر: الكَرُّ: الرُّجُوعُ...وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره: أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى. والكَرّةُ: المَرَّةُ، وَالْجَمْعُ الكَرَّات. وَيُقَالُ: كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وكَرْكَرْتُه إِذا رَدَّدْتُهُ عَلَيْهِ"[٥].

(١) يُنظر: علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، د.عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني– بيروت، ط١، ١٩٩٢م: ٣٦.
(٢) يُنظر: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب: ٢٨٩،٢٩٠.
(٣) كتاب العين: ٥/ ٢٧٧.
(٤) يُنظر: أساس البلاغة: ١٢٨/٢.
(٥) ابن منظور: ١٣٥/٥.

أَمَّا التَّكرار في اصطلاح علماء اللغة فيرى ابن جني(ت:٣٩٢هـ)، أنّ العرب اهتمت بالتَّكرار اللفظي؛ لإثبات المعنى ويكون بتكرير الحرف أو اللفظ نفسه أو تكرير جملة، ويأتي للتوكيد أو الإحاطة والعموم أو للتثبيت والتمكين.[١]

وأَمَّا التَّكرار عند البلاغيين والنقاد، فيرى الجاحظ أنّ التَّكرار هو ترداد الكلام، لغرض الأفهام مراعاة للسامعين مِنْ العوام والخواص، وينقل أن مِنْ ردد الكلام يردده للتهويل والتخويف.[٢]

ويرى أبو هلال العسكري أنّ التَّكرار هو تكرار اللفظ أو الجمل لتوكيد القول لدى السامعين ويكون له غاية جمالية موقعية.[٣]

ويذكر ابن حجة الحموي(ت: ٧٦٧هـ) أنّ التَّكرار:"هو أن يُكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل، أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض مِنْ الأغراض."[٤]

نستنتج مِنْ التعاريف اللغوية والاصطلاحية أنّ التَّكرار يدور في معانٍ مِنْها الرجوع والإعادة، والعطفوكلها مرتبطة باللفظ لإقامة المعنى وتثبيته لدى السامعين.

---

(١) يُنظر: الخصائص، أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٤، د.ت: ١٠٤/٣– ١٠٦.

(٢) يُنظر: البيان والتبين : ١٠٥،١٠٦/١.
(٣) يُنظر: الصناعتين: ١٩٢،١٩٣.
(٤)خزانة الأدب وغاية الأرب: ٣٦١/١.

وظهر التَّكرار في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) بكثرة إذ لا يمكن إحصائه وكان على ستة أنواعٍ:

أولا: التَّكرار في الصوت المفرد(الحرف).

يُعدُّ تكرار الصوت المفرد (الحرف) مِنْ الآليات الأسلوبية المهمة التي يلجأ إليها المتكلم للتعبير عما يدور في ذهنه مِنْ أفكارٍ للتأثير على المتلقي تأثيرًا سمعيًا وموسيقيًا يُطرق به أبواب العقول وينفد إلى مستقر النفوس، فيعمد المتكلم إلى تكرار أصوات معينة داخل نصوصه المنطوقة أو المكتوبة ويحملّها بدلالات صوتية منسجمة مع دلالة النَّص اللغوية والمقامية، "فيمنح النَّص نبرة معينة ويشحنه بطاقة خلابة، تجمع المُنشئ بالمتلقي لدواع نفسية، وهذا نابع مِنْ دلالة تكثيف الجرس الصوتي في النَّص."[1] ويكون أَمَّا بتكرار الصوت المفرد نفسه في ألفاظ النَّص الأدبي أو الحكائي، أو بتكرار الصوت المفرد نفسه وفي الكلمة نفسها.

وقد ورد تكرار الصوت المفرد في أغلب احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) معطيًا أبعادًا فكريةً وسلوكيةً ومحققًا توازنًا صوتيًا وفنيًا، وهذا ما نجده في حديثه عن إثبات وحدانية الخالق تعالى فقال له عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحدًا لا شيء غيره ولا شيء معه؟ أليس قد تغيّر بخلقه الخلق؟ قال له الإمام

(1) أدب الإمام الجواد(عليه السلام)، دراسة أسلوبية، مينا رضا كاظم حسين،(رسالة ماجستير)، جامعة بابل- كلية العلوم الإسلامية- لغة القرآن، ٢٠١٨م:٢١.

الرضا (عليه السلام): "قَديمٌ لَم يَتغيَّر عزَّ وجلَّ بخَلقهِ الخَلقَ ولكنَّ الخَلقَ يتَغيَّر بتَغْيِّرِهِ".[1]

نجد في هذا النصِّ بروز صوت (القاف) الذي تكرر (اربع مراتٍ) وهو مِنْ الأصوات المجهورة المفخمة المقلقلة المستعلية والشديدة[2] ذات التأثير السمعي القوي الذي ينشأ عنه صدىً صوتياً منسجماً مع دلالة النَّص، ولها إيقاع تجسيدي محسوس، فصوت القاف انسجم مع المعنى المراد في النصِّ وهو أنّ الله تعالى أزليٌّ قويٌ وثابت، وما عداه يتغيَّر فجاء تكرار حرفُ القاف (الشّديد) تأكيداً لهذا المعنى، وأيضاً تكرر صوت آخر وهو صوت (اللام) فتكرر (ثمان مرات) وهو صوت مجهور متوسط مستفل منفتح إنحرافي.[3] وهذا الإنحراف الإيقاعي منسجماً مع دلالة اللفظ والسياق وهو أنّ تَغْيِيرَ الخلق على الله يسير يغيّره متى ماشاء وكيف ما شاء، ويُلحظ في ألفاظ النَّص هنالك سبك بنائي وهندسة صوتية ذات أبعاد وأعداد متساوية مِنْها تكرر صوت (التاء والخاء والغين) ثلاث مرات بالتساوي مراعاة للإيقاع الداخلى والخارجي.

(1) عيون أخبار الرضا (عليه السلام):٢/ ١٥٢.
(2) يُنظر: التمهيد في علم التجويد، شمس الدين أبو الخير بن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف(ت: ٨٣٣هـ) ، تح: د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف الرياض- الرياض، ط١، ١٩٨٥م: ٩١. ويُنظر:الأصوات اللغوية،د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٥م: ٢٥. وينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦م:٥٨- ٥٩.
(3) يُنظر: دراسة الصوت اللغوي، د.أحمد مختار عمر:٥٥. ويُنظر التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري: ٩٥.

ومِن احتجاجاته (عليه السلام) بصحة الإمامة لمدعيها روي عن الحسن بن الجهم، قال: "حضرت مجلس المأمون يومًا وعنده علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام مِن الفرق المختلفة فسأله بعضهم، فقال له: يا ابن رسول الله بأي شيءٍ تصحُّ الإمامة لمدعيها؟ قالَ: "بالنَّصِّ والدَليلِ."[1]

ظهر تكرار الصوت المفرد في هذا النَّص القصير الموجز البليغ ذات الدلالات الكثيرة على مستوى تكرار الصوت نفسه في الكلمة نفسها وبشكل متتابع، فتكرر صوت النون المضعّف (مرتين) في لفظ (بالنَّص) فهو صوت مجهور منفتح[2]واذلاقي يَخرجُ مِنْ طرف اللسان وفيه حدةٍ[3] وكذلك تكرر صوت الصاد المضعّفة في نفس اللفظِ وهو صوتٌ مصمتٌ فيه استعلاء[4]، والنصُّ المقصود عند الإمام الرضا (عليه السلام) هو القرآن الكريم المنزل مِن السماء المحكم القطعي في الآيات والأحكام الذي لا يشُوبه باطلٌ ولا جدلٌ، فالحدة في صوت النون تنسجم مع الدلالة القَطْعيَّة في لفظ (النَّص)، ثم تكرر صوت اللام (مرتين) في كلمة (الدليل) الذي تجتمع فيه صفات التوسط بين الجهر والرخاوة والترقيق واللين والوضوح

(1) مسند الإمام الرضا (عليه السلام):١٣٣/٢.
(2) يُنظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار- عمان الأردن، ط١، ٢٠٠٤م: ١٠١
(3) يُنظر: العميد في علم التجويد، محمود بن علي بن بسة:٦٢.
(4) يُنظر: المصدر نفسه: ٧٥.

السمعي[1] وهذا ما ينسجم مع روح المعنى في كلمة (الدليل) وهي اللين والرفق في الاستدلال والإقناع والإيضاح دون شدة أو إكراه، وهذه صفات الإمام والإمامة بدلالة قوله تعالى لرسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٥٩]

ثانيا: التَّكرار في الكلمة: ويكون بتكرار اللفظ سواء أكان اسماً أم فعلاً، وهو مِنْ أكثر ألوان التَّكرار شيوعاً، وقاعدته أن يكون اللفظ المكرر ذات صلة بالمعنى السياقي والحالي.[2]ويأتي هذا التَّكرار لدواعٍ تنغيمية وموسيقة تلقي في أذن السامع توكيداً على أمر يراه المتكلم ذات تأثير إيجابي في السامعين.

١ـ تكرار الاسم: وهو الصورة الثابتة لما سمي به فيحمل الاسم دلالة الثبوت والإستقرار وعدم التجدد.[3] وهذا التَّكرار لا يخلو مِنْ دواع لفظية تسقي النَّص

(1) يُنظر: الأصوات اللغوية، د عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع- عمان- الأردن، ط٢، ٢٠١٤م: ١٧٤. ويُنظر: معجم علم الأصوات، د. محمد علي الخولي، مطابع الفرزدق التجارية- الرياض- السعودية، ط١، ١٩٨٢م: ٢٤.

(2) يُنظر: التَّكرار في شعر محمود درويش، فهد ناصر عاشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- عمان– الأردن، ط١، ٢٠٠٤م:٦٠.

(3) يُنظر:عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي أبو حامد بهاء الدين السبكي(ت٧٧٣هـ). تح: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٣م: ١/ ٣١٩.

بالجمالية الأدبية والفنية، وأخرى شعورية ونفسية تخرج النَّص مِنْ القولبة النحوية إلى التفاعلية التأثيرية بين منشئ النَّص ومتلقيه.[1]

وتمثَّل تكرار الاسم في احتجاج الإمام الرضا (عليه السلام) مع العلماء في مجلس المأمون، عندما سأل المأمون الإمام الرضا (عليه السلام) عن قوله تعالى:﴿ **ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا** ﴿١٠١﴾﴾[الكَهْف: ١٠١]. فقال (عليه السلام): إنَّ غِطاءَ العَينِ لا يَمنَعُ مِن الذِّكرِ، والذِّكرِ لا يُرى بالعَينِ ولكنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ شَبَّه الكَافرينَ بولايةِ علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالعُميان لأنَّهم كانوا يَستثقلونَ قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه: فلا يَستطيعونَ لهُ سَمعًا"[2].

ظهرت التكرارية الاسمية في الألفاظ (العين والذِّكر، والذِّكِر والعين) ومِن المعلوم أن الأسماء تدلُّ على الثبوت وعدم التجدد، وتكرارها له أثر دلالي يُستكشَفُ مِن السياق، وهذا النوع مِن التَّكرار يحصل بتناوب الالفاظ، فيكون له أثر في التناسق النصَّي وإظهار جماليات الأشياء بصياغة الوحدات الكلامية صياغة موسيقية يتقصدها الناظم لتقوية أنغامها وشيوع أجرسها [3].إنّ تكرار أسماء (العين، الذِّكِر) مرتين وبالتناوب غايته بيان أنّ النَّظر لا يمنع مِن ذِكِر الله وطاعته، فهو سبحانه لا

(1) يُنظر: جمالية التلقي في القرآن الكريم أدبية الاعجاز القرآني نموذجا، شارف مزاري، إتحاد الكتاب العرب- دمشق- سوريا، د.ط ، ٢٠٠٩م: ١٧٩.
(2) مسند الإمام الرضا (عليه السلام):١٥/٢.
(3) يُنظر: جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د.ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر،وزارة الثقافة والاعلام العراقية- بغداد، د.ط، ١٩٨٠م: ٢٣٩.

يُرى بالعين بل يُرى بالبصيرة عبر إطاعة نبيه وأولياءه، فالكافرون بولاية علي (عليه السلام) يَرَوْنَ بأعينهم الحقيقة ولكن عُميِت بصيرتهم وكُفَت أسماعهم، فشبههم الله بالعميان وهذا تشبيه مجازي يراد به العمى المعنوي لا العمى الحسي، وزاد تكرار الأسماء بيان أن العمى ثابتٌ فيهم لا يتغيّر، فهم يستثقلون كلام رسول الله في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام).

٢ـ تكرار الفعل: الفعل هو صورة متجددة للحدث ومتغيّرة بتغيّر الزمن والحال والمتعلقات الخارجية[١]؛ لذلك تختلف دلالة الفعل مِنْ زمانٍ إلى زمان ومِنْ سياقٍ إلى سياق خدمةً للمعنى، فالتَّكرار أسلوب بنيوي جمالي ومعنوي له أثر نفسي على المتلقين، ويؤدي إلى تجانس إيقاعي فيُحدِث تناغماً داخل الجمل.[٢]

وقد ورد في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) عندما سأله رجلاً عن الدليل على حدوث العالم فقال له (عليه السلام):" أَنتَ لَمْ تَكُن ثُمَّ كُنْتَ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّكَ لَمْ تَكَوِّنَ نَفْسُكَ وَلَا كَوّنَكَ مِنْ هُوَ مِثْلُكَ".[٣]

إنّ تكرار الفعل بصيغه المتعددة وبدلالاته الزمنية المختلفة له غاية معنوية لتوكيد المعاني وأخرى موسيقية تعطي للنَّص إيقاعاً وموسيقى تجذب مسامع المتلقين

(١) يُنظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح :٣١٩/١.
(٢) يُنظر: الهندسة الصوتية للتكرار وأثرها في المتلقي، د.عبد الفتاح أحمد يوسف،(مقال)، الموسوعة الإسلامية، ١١/ تموز/ يوليو ٢٠٢٢م.
(٣) الاحتجاج:١٧٠/٢، ١٧١.

فتُعطي للنَّص رونقاً وجمالاً في الشكل والأداء.[١] فتكرر الفعل (تكن وكنت وتكوّن وكوّنك) أربع مراتٍ وبصيغٍ مختلفة والتي ترجع إلى الفعل الماضي (كان)، ومعلوم أنّ الفعل يدلّ على التجدد والتغيُّر وهذا ينسجم تماماً مع المعاني السياقية، فمثلا قوله: (أنت لم تكن) أتى بالضمير المنفصل لزيادة الحبك النصيّ والتوكيد، وأزاد النصَّ توكيدًا بـ (لم النافية) الخبرية القطعيّة النفي مع الفعل الماضي، ويعني النصَّ أنّ المخاطَب كان عدمًا في الزمن الماضي، ثم تكرر الفعل بصيغة الماضي بقوله: (ثم كنت)؛ ليُعطي هذا التنوع عبر تكرار الفعل إيقاعًا مؤثرًا في أذهان المتلقين؛ وليساهم في إيقاظ انفعالاتهم النفسية والشعورية.[٢] معبرًا عن معنىً جديدٍ وهو تكوينك وإيجادك في هذا العالم مِن العدم، ثم يقول له (عليه السلام): (قد علمت أنّك لم تكوِّن نفسك) و(لا كوَّنك مِن هو مثلك) فهذا التَّكرار مع أساليب التوكيد الأخرى في السياق وتكرر أصوات معينة كصوت (الكاف) وهو مِنْ الأصوات الشديدة الأنفجارية[٣]، والتي لها جرسٌ حسيٌّ في الالفاظ خفيٌ سريع الجمال يُوحي بمعانٍ فوق معاني اللفظ.[٤] لينسجم مع المعاني الواردة في سياق الكلام، ويعني أنّ وجودك لم يكن نتاجك أنت أو نتاج مخلوقٍ مثلُك وإنمّا هو نتاج الخالق العظيم سبحانه وتعالى.

(١) يُنظر: ظاهرة التَّكرار الصوتي في نهج البلاغة (المثل أنموذجا)، د. عبد الهادي الحكيم،(مقال)، ينابيع الحكمة، ٢٠١٨م.
(٢) يُنظر: التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد، عالم الكتب- بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٦م:٧٩.
(٣) يُنظر: علم الأصوات، د. كمال بشر: ١٥٩،١٦٠.
(٤) يُنظر: جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د.ماهر مهدي هلال: ٢٠.

ثالثا: التكرار الاشتقاقي: ويكون هذا التكرار بتكرار الألفاظ المشتركة في جذر لغوي واحد وتأتي في سياق متتابع في النَّص فتزيد النَّص نغماً صوتياً لتنبيه السامعين لهذا التَّكرار ولتعميق الدلالة في أذهانهم.

جاء هذا التكرار في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في جوابه على ما جاء في سؤالِ أبي قرة:" فما بالكم إذ دعوتم رفعتم أيديكم إلى السماء؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام): إنَّ اللهَ استَعبَدَ خَلقَهُ بضرُوبٍ مِن العِبَادَةِ، ولله مَفَازِعُ يَفزَعُونَ إليهِ ومُستَعبَدٌ فَاستَعبدَ عِبَادَهُ بالقَولِ والعِلمِ والعَمَلِ والتَّوَجُّهِ، ونَحوِ ذلكَ استَعبدَهُم بتَوَجُّهِ الصَّلَاةِ إلى الكَعبَةِ، ووَجَّهَ إليهَا الحَجَّ والعُمرَةَ، واستَعبَدَ خَلقَهُ عندَ الدُّعَاءِ ، والطَّلَبِ والتَّضَرُّعِ بِبَسطِ الأَيدِي ورَفعِهَا إلى السَّماءِ لحَالِ الاستِكَانَةِ وعَلَامةِ العُبُوديَّةِ والتَّذَلُّلِ لهُ."[1]

تجلى التكرار الاشتقاقي في (استعبد- مستعبد- فاستعبد- العبادة- العبودية)، وفي (مفازع- يفزعون) يرجع كلا الموضعين إلى جذر لغوي واحد، فجذر اللفظ الإول (عبد)، وجذر اللفظ الثاني (فزع) ولهذا التكرار المشتق مِنْ الجذر نفسه إيقاع صوتي ذات نغم ترددي يطرق آذآن السامعين ويعمق المعاني والدلالات، فيجد المتلقي في هذا النَّص انسجاماً بين الألفاظ المكررة ومعاني الأسيقة، فالعبادة والعبودية والاستعباد كلها أعمال يفزع به العبد إلى خالقه ويتوجه بها إليه بالطاعة والتوحيد،

(1)الاحتجاج: ٢/ ١٨٧، ١٨٨.

فهو الله الذي لا حاجة له بمخلوق سوى عبادته وطاعته وتوحيده والوقوف بين يديه والإيمان والتسليم له بدلالة قوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذَّارِيَات: ٥٦] إنّ تكرار الاشتقاق في سياق النَّص الاحتجاجي للإمام (عليه السلام) جاء لتوكيد فعل العبادة لله وحده لا شريك له فهو صاحب الإجابة والقضاء.

رابعا: تكرار الصيغة[1]: "وتسمى أيضا تكرارية القالب الصوتي إذ تتطابق حركات وسكنات القوالب الصوتية المتكررة بشكل يجعلها سهلة الحفظ شديدة العلوق بالنفس."[2] وهذه التكرارية كثيرة الظهور في احتجاجات الأمام الرضا (عليه السلام) فلا يمكن إحصاؤها.

ونجده في قول الأمام (عليه السلام): "سَل يا عمران. قال: يا سيدي ألا تخبرني عن الله هل يُوحَدُ بحقيقةٍ أو يُوحَدُ بوصفٍ، قال الرضا (عليه السلام): إنَّ اللهَ المُبدئُ الواحِدُ الكائِنُ الأوَّلُ لم يَزَلْ واحِدًا لا شَيءَ مَعَهُ فَردًا لا ثَانيَ مَعَهُ **لا مَعلُومًا** و**لا مَجهُولاً** و**لا مُحكَمًا** و**لا مُتَشَابِهاً ولا مَذكورًا و لا مَنسيًّا** ولا شيئًا يقعُ عليهِ اسمُ شيءٍ مِن الأشياءِ غَيرهِ ولا مِن وقتٍ كانَ ولا إلى وقتٍ يكونُ ولا بشيءٍ قامَ ولا إلى شيءٍ

(1) بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة- مصر، د.ط، ٢٠١٣م: ٧٠.

(2) التَّكرارية الصوتية في القراءات القرآنية قراءة نافع أنموذجا، د. فضيلة مسعودي، دار الحامد- عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٨م: ٢٢.

يَقومُ **ولا إلى شيءٍ استَندولا في شيءٍ استكَنَّ** وذلكَ كُلُّهُ قَبْلَ الخَلقِ إذ لا شيءَ غَيرُهُ وما أُوقِعَت عليهِ مِن الكلِّ فهيَ صفاتٌ مُحْدَثَةٌ وتَرجَمَةٌ يَفهَمُ بها مَنْ فَهِمَ."[1]

تمظهر التكرار في هذا النَّص في قوله (عليه السلام): (لا معلومًا ولا مجهولاً، ولا مُحكمًا ولا متشابهًا، ولا مذكورًا ولا منسيًا) و في قوله: (لا إلى شيء استند ولا في شيء استكن) إذ تتطابق الصيغ الصرفية والتركيبة والإعرابية مشكلّةً نسيجًا أسلوبيًا وصوتيًا أعطى للنصِّ إيقاعًا موسيقيًا قائمًا على الثنائية التتابعية المتقنة والتي تجذب الأسماع وتكشفُ المعاني. فلو أخذنا قوله(عليه السلام): (لا معلومًا ولا مجهولًا) وقطعناه عروضياً، سنجد تطابقًا محكمًا في بنية المفردات وفي عدد الوحدات الصوتية وهذه ظاهرة أسلوبية تستوجب الانتباه.

لا / مع/ لو/ مِنْ ⟵ لا مفعولن.

(تطابق في الصيغة والتركيب والعروض).

لا / مج/هو/ لن ⟵ لا مفعولن.

خامساً: تكرار التقابل:يحصل هذا التَّكرار عند تقابل الأضداد في النسيج اللغوي داخل النَّص؛ ليُعطي إيقاعاً خاصاً في نسقٍ متماسكٍ يُحقق التلائم الدلالي، بعد أن تذوب عناصر النَّص جميعها تحت التقابلية حتّى ترسُم الدلالات الكلية

(1) مسند الإمام الرضا (عليه السلام):٢/ ٨٨.

للنَّص.[1]وشغلت هذه التَّكرارية التقابلية حيزاً كبيراً في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام).

ونجد هذا النوع في احتجاج الإمام الرضا (عليه السلام) مع أبي قرة فقال:" فمَنْ أقرب إلى الله الملائكة أو أهل الأرض؟ قالَ أبو الحسن (عليه السلام): إن كنتَ تقول بالشِّبرِ والذِّراعِ، فإنَّ الأشياءَ كُلَّها بابٌ واحدٌ هي فِعلُهُ لا يَشغَلُ ببعضِها عن بعضٍ، يُدبِّرُ أعلى الخَلقِ مِن حيثُ يُدبِّرُ أسفَلهُ، ويُدبِّرُ أوَّلهُ مِن حيثُ يُدبِّرُ آخرَهُ، مِن غيرِ عناءٍ، ولا كُلفَةٍ، ولا مَئُونةٍ، ولا مشَاوَرةٍ، ولا نَصَبٍ."[2]

وقع التَّكرار التقابلي في قوله: (يُدبِّر أعلى الخلق مِنْ حيث يُدبِّر أسفله) و (يُدبِّر أوله مِنْ حيث يُدبِّر آخره) وهذا "التَّكرار الأسلوبي الموزع على بنية النَّص، زاد مِنْ إيقاعه وجعله ينتج إيقاعاً صوتياً لافتاً ليتناسب مع طبيعة السياق الدلالي."[3] فهذا التَّكرار الصوتي الذي يحمله التقابل النَّصي في بنيته له إيقاعاً منتظماً وله وقعٌ وجرسٌ في النفس حملها الفعل المضارع (يُدبِّر) والمنسجم مع دلالة السياق، وهي الشمول والإحاطة بمخلوقاته فلا يشغله سبحانه مخلوق عن مخلوق بوقت ولا يحده حد.

---

(1) يُنظر: التقابل النَّصي في رائية المهلهل بن ربيعة، د. أحمد عبد العال سعيد،(بحث)، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، المجلد: ١٤، العدد:٢٠١٨،٤١م: ١٩٧.

(2) الاحتجاج:٢/ ١٨٨.

(3) أدب الإمام الجواد (عليه السلام) دراسة أسلوبية: ٢٥.

سادسا: تكرار عناصر أخرى: ويقوم هذا النوع على تكرار الأساليب والأدوات التركيبة وحروف المعاني المختلفة وبصورةٍ ملفتةٍ للنظر ومؤثرة تعطي للنّصِ قيمةٍ صوتيةٍ ومعنوية وتشكّل ظاهرةً أسلوبيةً في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) وكانت كثيرة الورود فهي غير قابلة للإحصاء.

وجاء في احتجاج له (عليه السلام) مع الزنادقة في الأينية والكيفية، فقال الزنديق:" رحمك الله فأوجدني كيف هو، وأين هو؟ قال(عليه السلام): وَيلَكَ! إنَّ الذي ذَهبتَ إليهِ غَلطٌ، وهو أَيَّنَ الأَيْنَ، وكانَ ولا أَيْنَ، وهو كَيَّفَ الْكَيْفَ، وكانَ و لا كَيْفَ، فلا يُعْرَفُ بِكَيْفُوفِيَّةٍ، ولا بأَيْنُونِيَّةٍ، ولا يُدرَكْ بحاسَّةٍ، ولا يُقاسُ بشَيءٍ."[1]

يُلحظ ابتداء النَّص بالتهديد والتحذير بلفظةِ (ويلك) وهي مقدمة رداً على فعلٍ قبيح، والويل"الهلاك والمشقة مِنْ العذاب."[2] وويلك تدلّ على التهديد والتحذير مِنْ هذا الهلاك والعذاب، وظهر في السياق ذاته أسلوب التوكيد بـ (إنّ) الدال على التخطئة، ثم تكرر النفي بـ (لا)(ست مراتٍ) مشكلاً ظاهرةً أسلوبيةً صوتية ذات مسحة تنغيمية في إيقاعٍ تصاعدي[3]، غايته تحديد الخطأ ونفيه، وإثبات ما هو ضده، فهو سبحانه المتعال لا تحده حدود أينية ولا تبينه أحوال كيفية.

---

(1) الاحتجاج: ٢/ ١٧١.
(2) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات محمد بن محمد ابن الأثير(ت:٦٠٦هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية- بيروت، د.ط، ١٩٧٩م:٥/ ٢٣٦.
(3) يُنظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان: ١٦٤.

الفصل الثاني

المستوى التركيبي: مدخلٌ نظريّ.

المبحث الأول: الأسلوب الخبري(النفي والتوكيد).

المبحث الثاني: الأسلوب الإنشائي(الاستفهام، النداء، الأمر).

المبحث الثالث:أسلوبية العدول التركيبي.

الفصل الثاني

المستوى التركيبي مدخلٌ نظريّ

يُعدُّ المستوى التركيبي مِن أهم المستويات اللغوية الأساسية التي يعتمد عليها التحليل الأسلوبي واللغوي، إذ إنّ اللغة لا تقوم على إنتاج الصوت وصياغة الكلمات وفق القواعد الصرفية فحسب، بل تحتاج إلى إقامة وظيفةٍ معنويةٍ للكلمات يُطلق عليها (الوظيفة النحوية)، وهي التي تتخذ فيها الكلمات مواقع مُحددة ومُعيّنة تُسمّى (الرتبة)، وتدلّ عليها علاماتٌ مُعيّنة تُسمّى (علامات الإعراب) في اللغة العربية التي بدورها تكشفُ عن نوع العلاقة الوظيفية والدلالية التي تربطُ بين الكلمات داخل نسق تراتُبي يُسمّى التركيب، ويُقابله النحو الذي هو "علم بقوانين يُعرفُ بها أحوالُ التراكيب العربية مِنْ الإعراب والبناء وغيرها."[١]

ويمثلُ المستوى التركيبي العمُود الفقري في أيّ دراسة تحليلية أسلوبية، ولو رجعنا لمعنى التركيب عند سيبويه لوجدنا أنّه لم يذكُر التركيب بصورة مستقلة، ولكن أشار إلى الكلم واستقامة المعنى، و اجتماع كلمتين أو أكثر لتكوين سياق ذي دلالة [٢]، وأصل التركيب هو جمع الحروف البسيطة ونظمها لتكوين كلمة[٣] ، فهنالك علاقة ترابطية قائمة بين الحروف مع حروف أُخرى؛ لتكوين الكلمات وهذه الكلمات تَنضَمُّ

(١) الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه (ت: ١٨٠هـ)،تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر ، ط٣، ١٩٨٨م: ١٢/١، ١٣.
(٢) كتاب التعريفات: ٢٤٠.
(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٥٦.

مـع كلمـات أُخـرى ضـمن نسـق أو سـياق محـدّد يُـؤدي إلـى تشـكيل دلالـة معنويـة، فالمستوى التركيبي يختصُّ بتحليل العلاقات داخل الجمل، وحركة الوحدات الصوتية والعناصر الصرفية وانسجامها في نسق تام تتشكل فيه الدلالات وتأتلف مع بعضها؛ لتكوين وحدة مُتكاملة مِن المعاني المقصودة.

المبحث الأول

الأسلوب الخبريّ

تتركز الدراسة في هذا المبحث على أسلوبي النفي والتوكيد وهما من أهم الأساليب الخبريّة.

المطلب الأول: أسلوب النفي:

يُعدُّ أسلوب النفي مِن الأساليب الخبرية التي اهتم بها النحويون في كتبهم إلّا أنّهم لم يخصصوا له باباً بل جاء عندهم مبثوثًا في كتبهم على أبواب شتّى.

والنفي في اللغة: بمعنى الطّرد، قال الخليل: النفي "نفيت الرّجل وغيره نفيًا إذا طردته، فهو منفيّ، قال اللّه تعالى:﴿ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ﴿٣٣﴾﴾[المَائِـدَة: ٣٣]."[١]

وجاء النفي عند الجوهريّ(ت:٣٩٣هـ) بمعنى الطّرد أيضًا إذ قال: "نفى ونفاه: طرده، وتقول: نفيته فانتفى ونفى هو أيضاً"[٢] والنُّفاية بالضّمّ: "ما نفيته مِن الشّيء لرداءتهونفى المطر، على فعيلٍ: ما تنفيه وترشّه، وكذلك ما تطاير من الرشاء على ظهر المائح*."[٣]، وفي المعجم الوسيط "نفاه ونفوا نحّاه وأبعده... يقال: نفى الحاكم

(١) كتاب العين: ٣٧٥/٨.
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٥١٣/٦، ويُنظر: أساس البلاغة: ٢٩٦/٢.
(*) (مِنْ الميح وهو أنّ يدخل الرجل إلى البئر فيملأ الدّلو لقلة مائها)، يُنظر: تاج العروس، للزبيدي: ١٥٧/٧.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٥١٣، ٢٥١٤.

فلانًا أخرجه من بلده وطرده، ونفيت الحصى عن الطّريق ونفى السّيل الغثاء ويقال نفت السحابة ماءها أسالته وصبّته روجحده وتبرّأ منه وأخبر أنّه لم يقع والرّيح التّراب نفيًا ونفيانا أطارته."[1]

وتأتي كلمة الجلاء في الاستعمال القرآنيّ بمعنى النفي قال تعالى:﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾[الحَشْر: ٣]أي الطّرد والإبعاد.[2]

وفي الاصطلاح: فالشّريف الجرجانيّ يعرّفه بقوله: "النفي هو ما لا ينجزم بـ لا، وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل."[3]، وعرّف السيوطيّ(ت: ٩١١هـ)، ثمّ أبان الفرق بينه وبين مصطلح (الجحد) فيقول: "من أقسام الخبر النّفي بل هو شطر الكلام كلّه والفرق بينه وبين الجحد أنّ النّافي إن كان صادقًا سمّي كلامه نفيًا ولا يسمّى جحدًا، وإن كان كاذبًا سمّي جحدًا ونفيًا أيضًا، فكلّ جحدٍ نفي وليس كلّ نفيٍ جحدًا."[4]

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية- القاهرة، دار الدعوة، د.ط، د.ت: ٩٤٣/٢.
(2) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت:٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٠م: ٢٦٨/٣.
(3) كتاب التعريفات: ٢٤٠.
(4) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٧٤م: ٢٦١/٣.

يتضح ممّا سبق أنّ النفي يدور في معنيين أحدهما معجمي يدلّ على الطّرد والإبعاد والترك، والآخر وظيفي داخل تركيب جملي بوجود أداة نفي واسم أو فعلٍ منفي بها؛ لإثبات أو نفي أو دحضٍ أو تشكيكٍ في قضيةٍ ما.

وينقسم النّفي إلى قسمين: [١]

١- النفي الظاهر (الصريح): وهو الذي يتم بأدواتٍ ظاهرةٍ وهي إمّا تكون أفعالاً نحو (ليس)[٢]،وإمّا أسماءً نحو:(غير)[٣]، وإمّا حروفاً نحو (لات- لم- لمّا- لن- ما- أن- لا)[٤].

وورد هذا النوع من النفي كثيراً عند الإمام (عليه السلام) في احتجاجاته.

٢- **النفي الضمني(غير الصريح)**:ويكون ضمن أسلوبيّ الاستفهام والشرط وغيرهما ولم يرد هذا النوع مِنْ النفي بكثرة عند الإمام (عليه السلام).

يظهر النفي في احتجاجات الإمام علي بن موسى الرّضا (عليه السلام) مرتكزًا على أدوات محدّدة منسجمة مع طبيعة الخصوم، وما يتطلبه مقام الحال من إثبات بعض

(١) يُنظر: النفي في الجملة العربية وعلاقته بالمعنى، د. محمد حسين النقيب،(بحث)، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والإجتماعية، ، المجلد: ٨، العدد: الثالث، ينيو ٢٠١٤م: ١٣٧.

(٢) يُنظر: الأزهية، علي بن محمد النحوي الهروي (ت:٤١٥هـ)، تح: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية– دمشق، ط٢، ١٩٩٣م:٩٥، ويُنظر: الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدرالدين بن عبدالله بن عليّ المرادي المصري المالكي(ت: ٧٤٩هـ)، تح: د.فخرالدين قباوة- الأستاذ محمد نديم فاضل، دارالكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط، ١٤١٣هـ: ٤٩٣.

(٣) يُنظر: الكتاب، سيبويه: ٢/ ٣٤٣، ويُنظر: الأزهية: ٢ /١٤٩.

(٤) يُنظر: حروف المعاني والصفات، عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي(ت:٣٣٧هـ)، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٩٨٤م: ٨،١١، ٦٩.

المسائل ونفيها، وتضعيف بعض الحجج وإنكارها ودحضها، وعند إحصائي لورود استعمالات أدوات النفي في نصوص الإمام(عليه السلام) وجدتها تقع في أربع أدواتٍ وكانت أكثرها حضوراً (لم)، إذ كانت أغلب النّصوص منفية بها، حتّى أنّها شكلت ظاهرة تركيبة أسلوبية مهيمنة، والأدوات بحسب عددها هي:

ورد النفي بـ (لم) مائة وإحدى وعشرون مرّة.

ورد النفي بـ(لا) سبعاً وتسعين مرّةً.

ورد النفي بـ (ليس) ستٍ وخمسين مرّةً .

ورد النفي بـ(ما) سبع عشرة مرّةً.

جدول يبين نسب مجيء أدوات النفي:

ت	أداة النفي	عدد مرّات ورودها	النسبة المئوية
١	لم	١٢١/ مائة وإحدى وعشرون مرّة.	%٤٢
٢	لا	٩٧/ سبعة وتسعون مرّةً.	%٣٣
٣	ليس	٥٦/ ست وخمسون مرّةً.	%١٩
٤	ما	١٧/ سبع عشرة مرّةً	%٦
المجموع	٤ / اربع أدوات	٢٩١/ مئتان وأحدى وتسعون مرّةً	%١٠٠

أدوات النفي وأمثلتها:

أولًا: النّفي بـ(لم):حرف يفيد النفي والجزم والقلب، يدخل على الجمل الفعلية التي يكون زمن فعلها مضارعاً، وهو ينفي ويقلب دلالة زمن الفعل المضارع من الحال والاستقبال إلى دلالة المضي.[1]، ويقول الزّجّاجيّ(ت٣٣٧هـ): "لم لنفي الماضي بالمعنى كقولك لم يخرج زيد."[2]

والنفي بـ(لم) فيه ثلاثة أحوالٍ وهذا التنوع فيها بلحاظ السياق وقرائن الكلام.[3]

١. النفي المنقطع نحو قوله تعالى:﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾[الإنسَان: ١].

٢. والنفي المتصل نحو قوله تعالى نحو:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾[مَرۡيَم: ٤].

٣ـ والنفي المستمر الذي لا ينقطع مطلقًا نحو قوله تعالى:﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣﴾[الإِخۡلَاص: ٣].

---

(1) يُنظر: المقتضب: ١/٢-٧، ويُنظر: شرح المفصل للزمخشري،: ٥٣/٥، ويُنظر: الجنى الداني: ٢٦٦، ٢٦٧، ويُنظر:شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل،عبدالله بن عبدالرحمن العقيلي الهمداني المصري(ت: ٧٦٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،دار التراث– القاهرة ،دارمصر للطباعة،سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، ١٩٨٠م: ٢٦/٤، ويُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: ٢٤٧، ويُنظر: البلاغة العربية،عبد الرحمن حبنّكة الميداني الدمشقي(ت:١٤٢٥هـ)،دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، ط١، ١٩٩٦م: ٢٠٧/١.

(2) حروف المعاني والصفات: ٨.

(3) يُنظر:البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٣٨٠/٤، ٣٨٢،ويُنظر:البلاغة العربية،حسن حبنّكة: ٢٠٨/١.

ونجدها في احتجاجات الإمام الرّضا(عليه السلام) كما في قوله:"إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ قد أيَّدَنَا بروحٍ منهُ مُقدَّسَةٍ مُطَهَّرةٍ ليسَت بمَلَكٍ **لَمْ تَكنْ مع أحدٍ ممَّن مَضَى إلّا معَ رَسُولِ** اللَّهِ (صلّى اللّه عليه وآله)."[1]

ظهر أسلوب النفي الخبري بـ(لم) الداخلة على الفعل المضارع (تكن) فجزمته ونفته وقلبت دلالته في المعنى إلى الماضي، وصحب النفي بأسلوب القصر والحصر بـ(إلّا)، فنلحظ تشكّل ظاهرة تركيبية ذات قوّة خطابيّة في سياق الحديث عن الروح التي أيّد اللّه عزّ وجلّ بها رسوله محمّدًا (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) فينفي الإمام (عليه السلام) اتصال تلك الروح بمن سبق رسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في ما مضى من الزّمان ويستمر النفي دون انقطاعٍ إلى يوم القيامة ثمّ قصر هذه الرّوح عليه وعلى أهل بيته (عليه السلام)، فالمعنى الصّريح نفي إنكار تأييد تلك الرّوح المقدّسة المطهرة بمن سبق رسول اللّه (صلّى اللّه عليهم و آله وسلّم) أمّا المعنى المستلزم حواريًّا غير الصّريح هو الإقرار بهذه المزية والاعتراف لها بالحقّ والفضل.

وفي احتجاج آخر قال الإمام الرّضا (عليه السلام): "أولئكَ قومٌ غضبَ اللّهُ عليهِم فمَسَخَهم فعَاشُوا ثلاثةَ أيَّامٍ ثمَّ مَاتوا **ولَمْ يَتناسَلوا**، فمَا يوجدُ في الدّنيا من القردةِ

(1) بحار الأنوار: ٢٥/ ١٣٤.

والخنازيرِ وغيرَ ذلك ممّا وقعَ عليهِم اسم المسوخيةِ فهو مثلُ ما لا يَحلُّ أكلها والانتفاع بها."[1]

وعند النّظر في ما قاله الإمام (عليه السلام) في مضامين احتجاجاته نجد عنايةً في اختيار أشكال ألفاظ التّركيب كما نجد عناية بالروابط النصّيّة التي تضفي جمالًا على الشّكل وترفده بعمق المعنى لغايةِ التأثير في المتلقي.[2]، فنجده (عليه السلام) قد وظَّف حرف النفي (لم)؛ لما في هذا الحرف من معانٍ تنسجم مع الغرض الذي سيق لأجلهِ الكلام، فيرى الإمام في حديثه عمَّن غضب الله عليهم، فيقول: (لم يتناسلوا) فهنا نفي يراد به إثبات، فالتّركيب السياقي من حرف النفي(لم) والفعل المضارع (يتناسلوا) يؤدي معنى المسوخية، وهو عدم التّناسل والتّكاثر؛ لغضب اللّه عليهم، ونفي (لم) لفعل التّناسل منقطع في زمنه بدلالة موتهم، ويتجلّى في البنية النسقية معنى التّحذير من هؤلاء من جهةٍ، والنّهي عن التّعامل معهم والابتعاد عنهم.

وقال الإمام الرّضا (عليه السلام) في نصٍّ احتجاجي آخر: "**أَمَّا إِذَا لَمْ تَكفر بِجحودِ الإِنجيلِ**، وأقررَتَ بما فيهِ مِن صفةِ محمد صلّى اللّه عليه وآله فَخُذ عليَّ في السِّفر

(1) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١/ ٢٨١.
(2) يُنظر: جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي– دمشق، ط٢، ١٩٩٩م: ٣١.

الثّاني، فإنّي أُوجِدك ذِكره، وذِكر وصيّه، وذِكر ابنتَه فاطمة، وذِكر الحسن والحسين."[١]

إنَّ تعدّد الأدوات التركيبية ضمن سياقٍ موحّدٍ له وظائف معنويّة، فيظهر في حديث الإمام (عليه السلام) النفي بـ(لم) التي سُبِقت بـ(أمّا) المفتوحة المشدّدة المتضمّنة معنى الجزاء [٢]، وفي السّياق نفسه استعمل الإمام(عليه السلام) الحرف (إذا) وهو للظرفية في زمان المستقبل [٣]، مع الاستئناف في المستقبل بوجود الفاء في قوله: (فخذ عليٍّ)[٤]، بمعنى يتحقّق النفي بشريطة عدم تحقّق الإنكار: أي إذا أنكرت صفة النبي في الإنجيل فجزاء الإنكار هو الجحود بالإنجيل، والجحود هو الكفر فيه، فنفي الفعل المضارع (تكفر) متعلّق بفعل الإنكار (أي إذ لم تنكر لم تكفر) وهو متّصل من الماضي إلى المستقبل دون انقطاعٍ، فكلّ منكر للرّسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم)في كلّ زمانٍ هو كافر وجاحد، وهذه المعاني أوجدها تنوّع أساليب القول وأفانينه عند الإمام(عليه السلام).

وفي حوارٍ احتجاجي للإمام الرّضا(عليه السلام) مع الجاثليق* عن صحيفة نبي الله عيسى (عليه السلام) والأسماء الخمسة التي ذُكِرت فيها يقول (عليه السلام): "**اللّهُ أكبرُ**

(١) بحار الأنوار: ٤٩/ ٧٦.
(٢) يُنظر: حروف المعاني والصفات للزجاجي: ٦٤.
(٣) يُنظر: المصدر نفسه : ٦٣.
(٤) يُنظر: حروف المعاني والصفات للزجاجي: ٦٤.

إذ لَم تُنكِر الأسمَاء! فأمّا الصحيفةُ فلا يضرُّ أقررتَ بها أو أنكَرت اشهَدوا على قوله"[1].

عند النظر في هذا النصِّ نجد جملة من الأساليب التي أحتاجها السّياق، وكمل بها التّركيب، وظهرت بها الدلالة، ومن تلك الأساليب أسلوب تعجّب الإمام (عليه السلام) بقوله: "اللّه أكبر!" من إقرار الجاثليق بالأسماء الخمسة وإنكار الصّحيفة، وسيق النفي بـ(لم) والفعل (تنكر)، مسبوقًا بـ(إذ) الظّرفيّة لماضي الزّمان[2]، أي أنّ الجاثليق لم ينكر تلك الأسماء، والنفي متعّلق بالإنكار منقطع إلى زمن التكلم، وغايته إثبات الغاية وإقامة الحجّة وهو المعنى الذي يُريد الإمام (عليه السلام) إيصاله إلى المخاطَب، فالمعنى الصّريح نفي إنكار صفة النبي محمد (صلى اللّه عليه و آله وسلم) في الإنجيل، وهنالك إشارة من الإمام (عليه السلام) بالمعنى المستلزم حواريًّا هو الإقرار بوجود صفة النبي محمدٍ (صلى اللّه عليه و آله وسلم) وصفة وصيّه أمير المؤمنين عليٍّ، وابنته كوثر الرسالة السيدة فاطمة الزهراء، وابنيه الحسن والحسين (عليهم السلام)، وإلى أنّ تلك الأسماء ثابتة وهي الوسيلة إلى اللّه تعالى.

قالَ الإمام الرّضا (عليه السلام): "لقَدِ اجتَمعَت قريشٌ إلى رسولِ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم فسألوهُ أنْ يُحييَ لهم مَوتاهُمْ فوجَّهَ مَعَهُم عليَّ بنَ أبي طالبٍ (عليه السلام)،

(*) (لقب يُطلق على رئيس النصارى في البلاد الإسلامية)، يُنظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٨٧١.
(1) بحار الأنوار: ٤٩/ ٨٠.
(2) يُنظر: الجنى الداني: ١٨٥.

فقالَ لهُ : اذهَب إلى الجبَّانةِ فنَادِ بأسماءِ هؤلاءِ الرَّهطِ الّذينَ يَسألونَ عنهُم بأعلى صوتِكَ، يا فلانُ ويا فلانُ ويا فلانُ، يقولُ لكم محمَّدٌ رسولُ اللّهِ (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): قومُوا بإذنِ اللّهِ عزّ وجلّ، فقَامُوا ينفُضُونَ التُّرابَ عن رؤُوسِهِم، فَأقبَلَت قريشٌ تَسألُهُم عن أُمورِهِم ثُمَّ أَخبَرُوهُم أنَّ محمّدًا قد بُعِث نبيًّا، وقالوا: وِدِدنَا أنَّا أدرَكنَاهُ فنُؤمِنُ بهِ ولقَد أَبرَأَ الأَكمَهَ والأبرَصَ والمجَانينَ، وكلَّمَهُ البَهائِمُ، والطَّيرُ والجِنُّ والشَّياطينُ **ولم نتَّخِذهُ رَبًّا من دونِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ولم نُنكِر لأحدٍ من هؤلاءِ فَضلَهُم**، فمتى اتَّخذتُم عيسى ربًّا؟! جازَ لكُم أن تَتَّخذُوا اليَسَعَ* وحزقيلَ* ربًّا؛ لأنَّهما قد صَنَعَا مِثلَ ما صَنعَ عيسى من إحياءِ الموتَى وغيرِهِ، وإنَّ قومًا من بني إسرائيلَ هَربوا من بلادِهِم من الطَّاعونِ وهم ألوفٌ حذرَ الموتِ."[1]

ثمة ملمح حجاجي أسلوبي ظهر عند الإمام (عليه السلام) وهو الدحضّ والنفي وتدرج الحجج.[2] إذ احتجّ الإمام (عليه السلام) على المسيح وأهل الأديان بكتبهم، وبمعجزات أنبيائهم، فدحض الربوبيّة عن هؤلاء الأنبياء ونفاها مع ما جاءوا به مِنْ معجزات خارقات بإذن اللّه، ومن ثم احتجّ عليهم بمعجزات رسول اللّه محمّدٍ(صلى اللّه عليه وآله وسلم) الذي شهدها من آمن به دون أن يتّخذه ربّاً من دون اللّه، وهي

(*) (وهو حزقيل بن بُوذى بن العجوز أحد رسل بني إسرائيل جاء بعد يُوشَعَ النبي)، يُنظر: كتاب البداية والنهاية، ابن كثير: ٢/ ٣.

(*) (وهو الأسباط بن عَديٍّ بن شُوتلم بن أفراثيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ويقال هو ابن عم إلياس النبي عليهم السلام)، يُنظر: كتاب البداية والنهاية، ابن كثير: ٤/٢.

([1]) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٧٨/٢.

([2]) يُنظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، باتريك شاردوا، تر: د. أحمد الوردني، دار الكتب الجديد المتحدة – بيروت - لبنان ،ط١، ٢٠٠٩م: ١٢.

كمعجزات عيسى وغير مِنْ الأنبياء(عليهم السلام)، فيظهر النفي بـ (لم) الداخلة على الفعلين المضارعين (نتّخذه) و(ننكر) فجزمتهما ونفتهما وقلبت دلالتهما في المعنى إلى الماضي، فنفى الفعل الأوّل "نتّخذه" وفيه الضّمير الهاء عائد على الرسول محمد صلى عليه وآله وسلم) أيّ لم نتّخذ هذا الرّسول ربًّا دون اللّه تعالى، وأمّا النفي في الفعل الثّاني لم "ننكر" نفى الإمام (عليه السلام) إنكارهم فضل أي نبي ممّن سبقوا رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وسلّم) والإقرار بفضلهم، والنفي مستمر لا ينقطع أي لم نتّخذ ربًّا من دون اللّه ولم ننكر أيّ نبيٍّ من الأنبياء فيما سبق والآن وفيما بعد وإلى يوم الدّين.

ثانيًا: النفي بـ (لا): وهي إحدى أدوات أو حروف النفي التي تعدّ من أقدمها[1]، وتنفي الأسماء والأفعال وتأتي مع الأفعال أكثر منها مع الأسماء، ويرى سيبويه(ت١٨٠هـ) أنّها تعمل على نفي المستقبل، ويكون نفيها مؤكداً للاستمرار عند مجيء نون التّوكيد الثّقيلة معها.[2]، أمّا المبرّد(ت:٢٨٩هـ) فيرى أنّها تعمل في الاسم النّكرة وحينها تكون نافية للجنس عاملة عملٍ ليس، ولا تعمل في المعرفة فيكون عملها كعمل أنّ.[3]، وقال الزّجّاجيّ: "لا نفي للمستقبل والحال وقبيح دخولها على الماضي لئلّا تشبه الدعاءألاّ ترى أنّك لو قلت: لا قام زيد جرت، كأنّك دعوت

(1) يُنظر: التطور النحوي للغة العربية، بر جشتراسر، تح: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م: ١٦٨.
(2) يُنظر: الكتاب: ١١٧/٣، ويُنظر: شرح المفصل: ٣٣/٥، ويُنظر: الأزهية: ١٤٩، ١٥٠.
(3) يُنظر: المقتضب : ٣٥٧/٤، ويُنظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، ط١، ٢٠٠٠م: ٢٥٩/١.

عليه."[1]وقد تأتي "لا" بمعنى (لم) كما يبيّنه الزّجّاجيّ بقوله:"وقد تدخل على الماضي بمعنى لم كقوله تعالى:﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾[القِيَامَة: ٣١]، معناه: لم يصدّق ولم يصلّ."[2]

وفصّل ابن هشامٍ (ت:٧٦١هـ) القول: في "لا" ويرى فيها ثلاثة أوجهٍ أحدها: النّافية العاملة وفيها خمسة أوجهٍ وهي محور دراستنا:

الوجه الأول: "أن تكون نافية عامله عمل (إنّ)، وذلك أنّ أريد بها نفي الجنس على سبيل التّنصيص وتسمّى حينئذٍ تبرئه وإنّما يظهر نصب اسمها إذا كان خافضًا نحو لا صاحب جودٍ ممقوت...أو رافعًا نحو لا حسنًا فعله مذمومٍ أو ناصبًا نحو لا طالعًا جبلًا حاضر ومنه لا خيرًا من زيدٍ"[3]،أو "أن تكون عامله عملٍ ليس"[4].

والوجه الثاني:"لاتعمل إلّا في النّكرات"[5].

والوجه الثالث:"أن تكون عاطفةً."[6]،**والوجه الرابع:** "أن تكون جوابًا مناقضًا لنعم وهذه تحذف الجمل بعدها كثيرًا يقال: أجاءك زيد فتقول: لا والأصل لا لم يجيء."[1]

يجيء."[1]

([1]) حروف المعاني والصفات : ٨.
([2]) المصدر نفسه: ٨، ويُنظر: شرح المفصل : ٣٣/٥.
([3]) مغني اللبيب: ٣١٣.
([4])المصدر نفسه: ٣١٣.
([5]) المصدر نفسه: ٣١٣.
([6]) المصدر نفسه: ٣١٨.

والوجه الخامس: "أن تكون على غير ذلك فإن كان ما بعدها جملة اسميّة صدرها معرفةً أو نكرةً ولم تعمل فيها أو فعلًا ماضيًا لفظًا وتقديرًا وجب تكرارها."[٢]

أمّا الوجه الثاني: من وجوه "لا" كما ذكره ابن هشامٍ: "أن تكون موضوعةً لطلب التّرك وتختصّ بالدّخول على المضارع وتقتضي جزمه واستقباله سواء كان المطلوب منه مخاطبًا"[٣]، **والوجه الثالث:** أن تكون "لا" الزّائدة الدّاخلة في الكلام لمجرّد تقويته وتوكيده نحو قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۝٩٣**﴾ [طه : ٩٢ - ٩٣]."[٤]

ويتّضح ممّا سبق أنّ "لا" تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: نافية غيرعاملة في المواضع الآتية: (عند دخولها على الفعل الماضي أو الفعل المضارع، وعند دخولها على المصادر المنصوبة، وإذا كانت معترضةً، أو زائدة للتّوكيد، أو عاطفة).

القسم الثاني: نافية عاملة وتكون على نوعين: (أحدهما نافية للجنس، والأخرى نافية مهملة).

---

(١) المصدر نفسه: ٣١٩.
(٢) مغني اللبيب: ٣١٩.
(٣) مغني اللبيب: ٣٢٣.
(٤) المصدر نفسه: ٣٢٧.

ونجدها في قول الإمام (عليه السلام): "لا تفرّقوا فإنّي إنّمَا جمعتكم لتسألوني عمَّا شئتم من آثارِ النّبوّةِ **وعلاماتِ الإمامةِ التي لا تجدونها إلّا عندنا أهل البيت**، فهلموا مسائلكم."[1]

يرسم الإمام (عليه السلام) في قوله هذا صورةً لغويّةً متنوّعة الأساليب في سياقٍ اشتمل على الطّلب بنهي القوم عن التّفرّق، مصحوبًا بسلسلةٍ من التوكيدات على أمرٍ مخصوصٍ ؛ ليخلق فضاءً حواريًّا قوامه الحصر والتّخصيص بأسلوب بلاغيّ محكم، مقحماً خصومه في دائرة الإقرار والاعتراف، فيلحظ أنّه (عليه السلام) أورد النفي بـ (لا) التي نفت فعل الإيجاد في قوله: (تجدونها) وأعقبه بالاستثناء والحصر بـ (إلّا) في قوله:(إلّا عندنا أهل البيت) بطريق تخصيص الإمامة فيهم، فضلًا عن ذلك التّخصيص والتّعيين المتعلق بقوله:(عندنا) بالضّمير المضاف إليه (نا) نون العظمة والتّفخيم، ولم يكتف بذلك بل بيّن عود هذا الضّمير على أهل البيت (عليهم السّلام)، فنازع خصومه منازعة سلوكٍ وحال لا منازعة لسانٍ ومقال، فبيان الحال أقوى وأوكد من بيان اللّسان،[2] فالحال يثبت نبوّة محمّدٍ (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وأحقّية أهل بيته بالإمامة،فأراد الإمام (عليه السلام) إثبات إمامة أهل البيت (عليهم السلام) في ضلّ أنّ أمارات الإمامة وعلاماتها لا توجد ألبتّة عند غيرهم، وهو المعنى الصّريح الحرفيّ،

(1) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ٣٤٣/١.
(2) يُنظر: شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية، محمد توفيق محمد سعيد، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، ط١، ١٤٢٢هـ: ٧٨.

أمّا المعنى (غير الحرفيّ) المستلزم حواريًّا فهو الدّعوة إلى أتّباعهم والسّير على نهجهم.

وقال (عليه السلام) : "أوليس اللّه يقول:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾[الجِن: ٢٦ - ٢٧]. فرسول اللّه عند اللّه مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرّسول الذي أطلعه اللّهُ على ما شاء من غيبهِ، فعلّمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامةِ، وأنّ الّذي أخبرتك [به] يا ابن هذاب لكائنٌ إلى خمسةِ أيّامٍ، فإن لم يصحّ ما قلتُ لكَ في هذه المدّة فإنّي كذّاب مفترٍ، وإن صحَّ فتعلم إنّك الرادّ على اللّهِ وعلى رسولهِ، ولك دلالة أخرى: أما إنَّك ستصاب ببصرك، وتصير مكفوفًا، **فلا تَبصُر سهلًا، ولا جبلاً**"[1].

ففي قوله (عليه السلام)) مخاطبًا ابن هذاب عن أمر فقدان بصره: (فلا تبصر سهلًا ولا جبلاً) بأنّه سيصير مكفوفًا، فنلحظ النفي بـ (لا) والفعل المضارع (تَبصُر) وقد تكرّر النفي بـ (لا) مع حذف الفعل للإيجاز، وهذا التّكرار من باب توكيد النفي وإثباته ووقوع الأمر لا محال، والنفي هنا لازمه بل سبقه الإثبات، فهما عملية

(1) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٢/ ٩٧.

مزدوجة يوجّهها صاحب الخطاب.[1] فالإصابة ثابتة ونتيجتها عدم القدرة على البصر، وهذه النتيجة داخل النّص جلبتها (لا) التي نفت الفعل نفياً عكسياً بقصد الإثبات.

مخطط يوضح النفي الحجاجي:

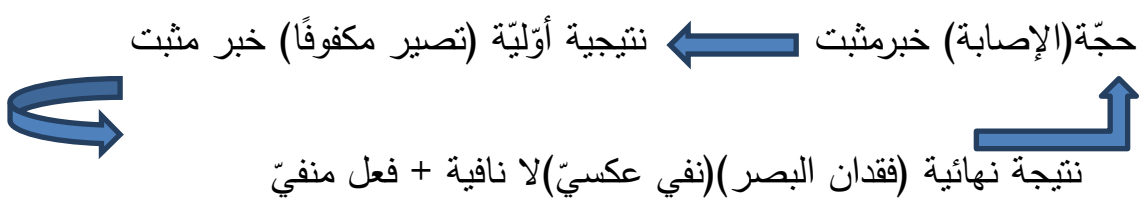

وفي قول الإمام الرّضا (عليه السلام): "**لا أصفهُ إلّا بما وصفهُ اللّهُ** : هو صاحبُ النّاقةِ والعصا والكساء، النبيُّ الأمّيُّ الذي يجدونه مكتوبًا في التّوراةِ والإنجيلِ، يأمرهم بالمعروفِ، وينهاهم عن المنكرِ، ويحلُّ لهم الطيّبات، ويحرَّم عليهم الخبائث، ويضعُ عنهم إصرهم"[2].

تمظهر في أسلوب النفي لدى الإمام (عليه السلام) وبشكلٍ جليّ ثنائيّة تركيبية مكوّنة من النفي والقصر وهذه سمة أسلوبيّة لها أثر نفسي في المتلقي فتُولّد في ذهنه قناعة أنّ المتكلّم يبني أدلّته على حقائق أسّاسها الصّدق فهو قيمة مادية إقناعية لا

(1) حجاجية عامل النفي في الخطاب التفسيري ابن عاشور أنموذجاً، أ. ميلود عباسي، جامعة المدية،(بحث)، مجلة المدوّنة، المجلد: ٥، العدد الأول، ٢٠١٨م: ١٣٠.
(2) الخرائج والجرائح:٣٤٤/١.

شكليّة مرتبطة بشخصية المتكلّم وسلطته العلميّة،[1] في هذه الحقيقة نفى الإمام (عليه السلام) حدث الوصف بـ (لا) والفعل المضارع (أصفه) عن نفسه فهو لا يصف الرسول محمد(صلى اللّه عليه وسلم) بصفات منه، بل يصفه ويستعين بالوصف بلحاظ حرف الجرّ الباء الذي يفيد دلالة الاستعانة فوصفه بما وصفه اللّه تعالى في كتب خصومه، وأفادت (إلّا) بعد النفي إظهار قيمة التركيب فيتجلّى المعنى الحرفيّ الصّريح في أنّ صفات اللّه تعالى هي التي ذكرها تعالى نفسه، أمّا المعنى غير الصّريح فهو التأكيد على التمسك بهذه الصفات الحقيقيّة منعًا من الانزلاق في ذكر صفاتٍ تمسّ ساحته القدسيّة.

ثالثًا: النفي بـ(لَيس):وهي فعل ماضٍ ناقص غير متصرّفٍ (جامد)، تدخل على الجملة الابتدائية فترفع الاسم اسمًا لها وتنصب الخبر خبراً لها، ونفيها يكون للحال نحو: (ليس زيد قائماً) أي نفت قيام زيدٍ الآن، وهي مختصّة بالدخول على الأسماء، وقيل تشبه الحرف في عدم تصريفها، ولكن اتصالها بضمائر الرفع جعلها في موضعٍ الفعل نحو: (لست– لسنا– لست– لستما– لستم– لست– لستنّ)، ولا ينفى فيها في المستقبل.[2]، ويرى ابن هشامٍ أنّ ليس "كلمة دالّة على نفي الحال وتنفي

(1) يُنظر: أفانين الخطاب الإقناعي في كتاب سيبويه دراسة تأصيلية، د. رجاء عجيل الحسناوي، مكتبة العلامة أبن فهد الحلي- كربلاء المقدسة- العراق، ط١، ٢٠١٦م: ٦٢

(2) يُنظر: شرح المفصل: ٤/ ٣٦٦، ويُنظر: مغني اللبيب: ٣٨٦، ٣٨٧، ويُنظر: النحو الوافي، عباس حسن (ت: ١٩٧٨م)، دار المعارف– مصر، ط ٥، د.ت،: ١/ ٥٥٩، ويُنظر: معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ٢٥٠/١.

غيره بالقرينة نحو ليس خلق اللّه مثله."[1] ،ويرى الدكتور فاضل السامرائي أنّه "ليس صحيحًا ما ذهب إليه بعض النّحاة من أنّها لا تنفي إلّا الحال."[2] بل هي كذلك إذا طلقت كما ذكرنا فإذا قيّدت فنفيها على حسب القيد."[3] ومن استعمالاتها في غير الحاضر قولهم: (ليس خلق اللّه مثله)، فهي في هذا للماضي، واسمها ضمير الشّأن وقوله تعالى:﴿ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ ﴿٢٦٧﴾﴾[البَقَرَة: ٢٦٧]، وهي هنا للاستقبال."[4] ويقول الدكتور عبّاس حسن ليس: "تفيد مع معموليها نفي اتّصاف اسمها بمعنى خبرها في الزمن الحالي نحو: ليس القطار مقبلاً، فالمراد نفى القدوم عن القطار الآن."[5]وقد تزاد الباء في خبر ليس زيادةً ؛لتوكيد النفي وتقويته قال تعالى:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ ﴿٣٦﴾﴾[الزُّمَر: ٣٦].[6]

ونجدها في قول الإمام الرضا (عليه السلام): "لابدَّ ليحيى من أن يخبر عن أئمّتهِ أنّهم كذبوا على أنفسهم أو صدقوا ؟ فإن زعم أنّهم كذبوا فلا أمانةَ لكذابون زعم أنّهم صدقوا فقد قال أوّلهم : ولَيْتُكم **ولستُ بخيركم**، وقال تاليه كانت بيعته فلتة فمن عاد لمثلها فاقتلوه فواللّه ما رضي لمن فعل مثل فعلهم إلّا بالقتل، فمن لم يكن بخير النّاس والخيريّة لا تقع إلّا بنعوت منها العلم ومنها الجهاد ومنها سائر الفضائل

(1) مغني اللبيب: ٣٨٦، ويُنظر: معاني النحو: ٢٥٠/١.
(2) معاني النحو، فاضل السامرائي: ١ / ٢٥١.
(3) المصدر نفسه:١ / ٢٥١.
(4) معاني النحو، فاضل السامرائي: ١ / ٢٥١.
(5) النحو الوافي، عباس حسن: ٥٩٩/١.
(6) شرح المفصل لابن يعيش: ١١٨/٢.

وليست فيه ومن كانت بيعتهُ فلتة يجب القتل على من فعل مثلها كيف يقبل عهدة غيره إلى غيره وهذه صورته؟! ثمّ يقول على المنبر : أنَّ لي شيطانًا يعتريني فإذا مالَ بي فقوموني وإذا أخطأتُ فأرشدوني **فليسوا أئمّة بقولهم إنّ صدقوا أو كذبوا**." [1]

إن لتنوّع الأساليب الأدبية الفنية عند الإمام (عليه السلام) في احتجاجاته أثراً في استمالة العقول وتهيئة النّفوس، فنجده في هذا النصّ يستعمل أسلوباً "بنيانياً أدبياً"[2] في غاية الجمال والروعة ينقل فيه الأخبار التي وقعت وستقع دون أنّ يسمعها أو يراها، وهذا الأسلوب هو لسان الحال تقول العرب: "لسان الحال أبينُ من لسانٍ المقال"[3] فيظهر هذا الأسلوب بالنفي بـ (ليس) والاسم (بخيركم) فنفت اتّصاف المسند إليه وهو أئمّة يحيى بالمسند وهو الخيريّة بلسان حال أحدهم الّذي ينقله الإمام (عليه السلام) دون أن يسمعه أو يراه، ثمّ حدثت نقلة بتكرار النفي بـ (ليس) بلسان حال الإمام (عليه السلام) فنفى عن أئمّة يحيى كلّ فضيلةٍ، ثمّ تكرّر النفي بها زيادةً في التوكيد والإقرار وقوّة في المعنى وانسجامًا مع الحال بـ (فليسوا) الداخلة على (واو الجماعة) الذي هو اسمها فأفادت نفي اتصافه بخبرها (أئمّة) عن كلّ مدّعيها من غير أهل البيت (عليهم السلام)، فيبدو في ظلّ تكرار النفي المؤدّى بـ (ليس) هو صدق

---

(1) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢٥٥/١.

(2) لسان الحال في أدب الطف بين المشروعية والمنع، الشيخ مشتاق طالب الساعدي،(بحث) مؤسسة وارث الأنبياء، مجلة الإصلاح الحسيني، المجلد: ٨، العدد الثالث، ٢٠١٣م.

(3) مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميدلني النيسابوري(ت: ٥١٨هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة- بيروت- لبنان، د.ط، د.ت: ٣١٤/١.

الأئمّة والإخبار بأنّهم أئمّة الصّدق والإتباع، وهو المعنى الحرفيّ الصّريح أمّا المراد في المعنى غير الصّريح المستلزم حواريًّا هو الحثّ على الوقوف معهم واتّباعهم ونصرتهم.

ومِنْ احتجاجاته (عليه السلام) في التوحيد ما روي عن الحسين بن خالد قال:"قلتُ للرضا (عليه السلام) : يا ابنَ رسول الله إن قومًا يقولون: لم يَزل عالمًا بعلمٍ، وقادراً بقدرةٍ، وحيّاً بحياةٍ، وقديماً بقدمٍ، وسميعًا بسمعٍ، وبصيراً ببصرٍ، فقال (عليه السلام): مَنْ قالَ ذلك ودانَ به فقد اتّخذَ مع اللهِ آلهةً أُخرى، **وليس مِنْ ولايتنا** على شيءٍ." ثم قال (عليه السلام) : لم يَزل الله عزَّ وجلَّ عليمًا، قادرًا، حيًّا، قديمًا سميعًا، بصيرًا – لذاتهِ – تعالى عمَّا يقولُ المشركون والمشبِّهون علواً كبيراً."[1]

نجد عند قراءة النّص أن النفي قد وقع بـ (ليس) الداخلة على (مِنْ) الظرفية التي جاءت بمعنى (في) أي (ليس في ولايتنا)، وحرف الـ (في) حرفٌ وعائي شديد الظرفية، والسياق السابق لليس ابتدأ بـ (مَنْ) الشرطية الداخلة على الفعل الماضي (قال) وهذا الشرط مستمر أي كلّ من قال في الماضي أو سيقول في الحاضر أو المستقبل فهو خارجٌ عن ولايتنا، والنفي بـ (ليس) مستمر أيضا[2] وهذا المعنى الحرفي للنفي أمّا المعنى الباطني للنفي ففيه دلالات عدة منها أن كلّ من قال بهذا القول

(1) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): 1/ ١٥.
(2) يُنظر: معاني النحو، فاضل السامرائي:٤/ ١٩٠.

على الله تعالى قد خرج مِنْ ولايتنا ومَنْ خرجَ منها قد خرج عن عبادة الله ورضاه، والمعنى الآخر أنّ ولايتنا واتّباعنا هي ولاية الله والإيمان به.

رابعًا:النفي بـ (ما):وهي إحدى أدوات النفي قال سيبويه فيها وجهان أحدهما: أن تجري مجرى الفعل ليس إذا كان معناها كمعنى ليس وهذا عند أهل الحجاز نحو: ما زيد منطلقاً، والثّاني: تجري مجرى "أمّا وهل" أي شابهت الحروف وهو القياس.[١]، وجعل الرّمّانيّ(ت: ٣٨٤هـ) لـ "ما" عشرة أوجهٍ، خمسة منها أسماء وهي تدلّ على: (الإستفهام، والشرط، والتّعجّب، وموصولة بمعنى الّذي، ونكرة موصوفة)، وخمسة أحرف وهي: (أن تكون نفيًا للحال والاستقبال، تكون مصدريّةً، وزائدة ، ومسلطة، ومغيرة لمعنًى الحرف).[٢]، ويقول ابن يعيش(ت:٦٤٣هـ): "اعلم أنّ "ما" حرف نفي يدخل على الأسماء والأفعال. وقياسه أنّ لا يعمل شيئًا، وذلك لأنّ عوامل الأسماء لا تدخل على الأفعال، وعوامل الأفعال لا تدخل على الأسماء"[٣]،ونفيها أوكد وأوسع من ليس: لأنّها تنفي الجمل الاسميّة والفعليّة.[٤]"ويبطل عملها إذا تقدّم خبرها على

(١) يُنظر: الكتاب: ٥٧/١.
(٢) يُنظر: معاني الحروف، علي بن عيسى بن عبد الله ابو الحسن الرماني، تح: الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية– صيدا– بيروت، د.ط، د.ت: ٥٩ - ٦٣، ويُنظر: الأزهية: ٧٥- ٩٩، ويُنظر: حروف المعاني والصفات، للزجاجي: ٥٣ – ٥٥.
(٣) يُنظر: شرح المفصل لابن يعيش: ٢٦٨/١.
(٤) يُنظر: معاني النحو، فاضل السامرائي:١٩١/٤.

اسمها، أو إذا دخل حرف الاستثناء، أو إذا فصّل بينها وبين معمولها بأن الخفيفة."[1]

ويتضح ممّا سبق أنّ (ما) تنقسم على قسمين:

أولًا: ما نافية وتنقسم على ثلاثة أقسامٍ:

- ما نافية عامله عملٍ ليس حجازيّة ترفع المبتدأ اسمًا لها وتنصب الخبر خبرًا لها، وتنفي اتّصاف اسمها بخبرها، وتهمل إذا تقدّم خبرها على اسمها، أو إذا انتقض نفيها بـ (إلا).
- ما نافية مهملة.
- ما نافية غير عاملةٍ تدخل على الفعلين الماضي والمضارع.

ثانيًا: غير نافية: (استفهاميّة،وشرطيّة..... إلخ).

وجاءت في قول الإمام الرّضا (عليه السلام): "**وما من مؤمنٍ إلّا ولهُ فراسةٌ** يَنظرُ بنورِ اللّهِ على قدرِ إيمانه"[2].

ورد النفي في قوله (عليه السلام) بـ (ما) النافية الداخلة على الاسم (مؤمن) المسبوق بـ (حرف جرٍ زائد للتوكيد وهو من) مع القصر بـ (إلّا) التي أفادت تحقيق

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري(ت٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، د.م، ط١، ٢٠٠٣م: ١٣٥/١.
(2) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٣٤/٢٥.

الفراسة فقصرتها على كلّ إنسانٍ مؤمنٍ ونفتها عن غيرهم[١]؛ لأنّ "إلّا" هي "تحقيق بعد النفي ونفيًا بعد التحقيق كقولك سار النّاس إلّا زيدًا فقد نفيت مسير زيد مع النّاس"[٢]، وفضلًا عن ذلك تقديم الخبر (له) للتعيين والتخصيص، فالمعنى الحرفيّ هو نفي إنكار وجود الفراسة عند المؤمن، وأمّا المعنى غير الحرفيّ فالإقرار بهذه الصّفة والاعتراف بها.

قال الإمام الرّضا (عليه السلام): " والله إنَّا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمدٍ صلّى اللّه عليه وآله وسلم **وما ننقمُ على عيسَاكُم شَيئًا إلّا ضَعَفهُ وقلَّةَ صيامَه وصَلاته** ...فقال الإمام: فَلِمَنْ كان يَصُوْمُ ويُصَلّي؟"[٣].

وهذا النصُّ هو حديث للإمام (عليه السلام) إلى جاثليق المسيح ومن معه من أهل الأديان، إذ احتجّ عليهم بإنجيلهم، وتوراتهم، وزبورهم، على ربوبيّة عيسى (عليه السلام) عندهم، فقال الإمام (عليه السلام): (والله إنَّا لنؤمِنُ بعيسى... ولا نَنقِمُ عليهِ إلّا ضَعفَهُ وقلَّةَ صيامَه وصَلاته) استعمل الإمام في هذا التركيب الجملي أسلوب النفي بـ (ما) فنفى بها حصول حدث الإنكار والإعابة لعيسى (عليه السلام) التي تضمّن معناها الفعل المضارع (ننقم) الذي جاء بعده أسلوب الاستثناء بـ(إلاّ) إذ شكّلا أسلوباً بلاغياً معنوياً في غاية الجمال هو التّورية التي يطلق فيها المتكلم لفظاً يحمل معنىً ولكنّه يُريد

(١) ينظر: إعراب القرآن محي الدين بن أحمد مصطفى درويش،٣١٤/٤.
(٢) حروف المعاني والصفات: ٧.
(٣) بحار الأنوار: ١/ ٣٠٣.

معنى آخر بقصد الإيهام[1]، ثمّ أعقبه بأسلوب إقناعيّ يسمّى الاستدراج بقوله: (إلّا ضَعفَهُ وقلَّةَ صيامَه وصَلاته) فلم يفاجئ المتلقين بالتّصريح بما يعقده الإمام في نفسه، بل يشكّكهم فيما اعتقدوا فيه ثمّ يقررهم ويلزمهم الحجّة على أنفسهم.[2] فآثار هذا الأسلوب في نفوس المتلقين الدّفاع عن صلاة عيسى (عليه السلام) وصيامه وأنّه كان صائم الدّهر قائم اللّيل، فقال الإمام (عليه السلام): (فلمن كان يصوم ويصلّي؟) فلم تكن هنالك مِنْ أجابه، فأقرّهم وأثبت لهم (عليه السّام)، أنّ عيسى ليس بربٍّ معبودٍ، عبر الاستعانة بسؤالٍ أقام فيه الحجة والدليل عليهم.

المطلب الثاني: أسلوب التّوكيد:

يُعدُّ أسلوب التوكيد من الركائز الأساسية في الأسلوب الخبري عند العرب، والتركيب عندهم هو الذي يحدد معنى الجمل الخبرية، إن كانت خالية ممّا يؤكدها القاصد بكلامه كانت لها دلالة معيّنة، وإذ أكدها القاصد بمؤكد أو أكثر من ذلك كانت لها دلالات أخر، وغاية الاحتجاجات عند الإمام عليٍّ بن موسى الرضا (عليه السلام) لها أهداف مقصدية؛ لذلك نراه قد استعمل أسلوبًا خبريًا بين النفي والتوكيد بلغةٍ لسانية تعتمد على منطق البرهنة وإقامة الحجج لما يتطلبه نوع الخطّاب وتنوع

(1) يُنظر:علم البديع،عبد العزيز عتيق(ت:١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت– لبنان، د.ط ، د.ت: ١٢٢/١.

(2) يُنظر: الإتصال الخطابي وفن الإقناع، د.كريمة أحسن شعبان، دار أسامة للنشر والتوزيع- الأردن- عمان، ط١،٢٠١٥م: ١٩٧.

المخاطبين ومقام الحال، وقد كان للتّوكيد دور في التّأثير على نفس المتلقي وكشف الدلالات والقصد منه "تأكيد المعنى وتمكينه في نفس المتلقي."[1] وسأعرض بتركيزٍ معنى التوكيد عند المعجميين والإصطلاحيين من البلاغيين والنحويين ؛لكشف دلالاته ولوازمه.

التوكيد لغةً: قال الخليل:"وكد: وكّدت العقد واليمين، أي: أوثقته،... والسيور التي يشد بها القربوس تسمى المواكيد، ولا تسمى التّواكيد"[2]، أمّا الأزهريّ(ت٣٧٠هـ)، ناقلًا عن أبي العباس يقول: "التّوكيد: دخل في الكلام لإخراج الشّكّ، وفي الأعداد لإحاطة الأجزاء."[3]، ومنه والتّوكيد "هو مصدر وكد والتأكيد مصدر أكد لغتان قال ابن مالك: وهو تابع يقصد به كون المتبوع على ظاهره"[4]، ويقال: "التّأكيد بالهمزة ولإبدالها ألفًا على القياس كما في رأس: راس و فأس: فاس هذا جائز حينئذ التّوكيد والتّأكيد وتأكيد وهنا المصدر توكيد المراد به بمعنى اسم الفاعل والتّوكيد هذا أفصح اللغات، التوكيد في اللغة التقوية أكد الشيء إذا قواه واستبق معنا أنّ تأتي للتّأكيد والمراد به التقوية".[5]

---

(1) مستويات السرد الوصفي القرآني: ١٨٧.
(2) كتاب العين: ٣٩٥/٥.
(3) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ١٨٠/١٠.
(4) همع الهوامع: ١٦٤/٣، ويُنظر: تعريف التأكيد فيشرحابنعقيلعلىألفيةابنمالك: ٢٠٦/٣.
(5)الشرح المختصر على نظم الآجروميةأبوعبدالله مساعد الحازمي،مصدرالكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازميhttp://alhazme.net: ١/٩.

والتوكيد اصطلاحًا: هو"استخدام طرق خاصّة لتقوية الكلام السّابق وتثبيته سواء بإعادة اللّفظ نفسه أم استعمال كلماتٍ خاصّةٍ ؛ لتثبيت المعنى ودفع الشّبه."[١]

وينقسم التّوكيد عند النحويين إلى قسمين:توكيد لفظيّ وتوكيد معنويّ.[٢]، وهنالك مؤكّدات أخرى تحدث النّحويون عنها في كتبهم ومصنفاتهم وكانت مبثوثة بين ثنايا تلك المؤلفات منها التّوكيد بالحروف والتّوكيد بالقصر والتوكيد بالمفعول المطلق والتوكيد بالضمائر.

ونلحظ ورودها في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) وعلى مستوى عالٍ من العناية والدّقّة في الاختيار من حيث القلّة والكثرة والوظيفة التفاعلية داخل التّراكيب السياقية الّتي احتاجها الموقف الخطابي؛ لتنوع المعتقدات واختلاف الثقافات فأسكت بها الأفواه وحيّر العقول وسدّ بها كلّ منفذٍ لخصومه بالحجّة والدّليل القاطع، إذ نجد تنوّعاً متقناً على مستوى أدوات التّوكيد استدعاه التردد والشكّ والإنكار الذي أظهره الخصوم وسنبيّن ذلك.

أولًا: التّوكيد المعنوي: ومنه ما يكون بألفاظٍ محدّدة كـ (النفس والعين) اللتين تدلّان على الذات ويضافان إلى ضمير عائد على المؤكّد ويكون مطابقاً له في كلّ أحواله من أفراد وتذكير وغيرهما، ويأتي التوكيد لدفع ورفع التوهّم أو السهو أو النسيان عن

(١) النحو المصفى، د. محمد عيد، عالم الكتب- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م:٤٦٧.
(٢) يُنظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: ١٥٢/٤.

السامع نحو:زيد نفسه، وهند نفسها، والزيدان أو الهندان أنفسهما، والزيدون أنفسهم، والهندات أنفسهنّ[1]، وعند تتبّعنا لاحتجاجات الإمام (عليه السلام) نجد لم يستعمل هذا النّوع فلا توهّمٍ أو نسيانٍ عند سامعيه في مجلس المأمون فالنّاس فيه ثلاثة أصنافٍ منهم المؤمن ومنهم المنافق ومنهم الكافر والمعاند.

ومنه ما يكون لرفع توهّم السامع من إطلاق الجزء على الكلّ ويسمى توكيد الشمول ويكون بألفاظ مثل (كلا وكلتا) للمثنى (وكلّ وجميع وعامّة) مضافةً إلى ضمير عائد على المؤكّد ويطابقه، وأجمع وأكتع، للشّمول والكلية[2]، وهذا النوع ورد عند الإمام (عليه السلام) في ثمانية مواضع فقط وبلفظي (جميع) و(وأجمعون) في دلالة واحدة هي الإحاطة والعموم والشّمول.

ومنه ما جاء في احتجاج الإمام (عليه السلام) عند إقامته في البصرة في دار الحسن بن محمد إذ قال له: "يا حسن بن محمد أحضِر **جميعَ** القومِ الذين حَضروا عند محمد بن الفضل وغيرهم من شيعتِنا واحضِر جاثليق النصارى ومُر القومَ أن يسألوا عمّا بدا لهم."[3]

(1) يُنظر: همع الهوامع: ١٦٤/٣، ويُنظر: الشرحالمختصرعلىنظمالآجرومية:١/٩، ويُنظر: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، د.مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف- الاسكندرية- مصر، د.م، ١٩٨٥م: ٥٧.
(2) يُنظر: همع الهوامع ١٦٥/٣، وينظر: البلاغة العربية، الجويني: ٧٥.
(3) مسند الإمام الرضا (عليه السلام):٢٠٣/١.

يتمظهر التوكيد المعنوي بلفظ (جميع) في تركيبٍ مُزج فيه التوكيد بأسلوب الأمر الطلبي فقال (عليه السلام): (أحضر جميع القوم)؛ لتنبيه المخاطب على شمولية الإحضار لكل من حضر في مجلس محمد بن الفضل، ثم أكد توكيداً آخراً بتكرير لفظ (أحضر)؛ لزيادة التوكيد في دقة التحقيق[1]، أي تحقيق طلب الأمر الذي استدعاه الحضور ليسألوا عن مسائلهم حتى يتبيّن زيف من أخفى زيفه.

وفي قول الإمام الرضا (عليه السلام) وهو يحاجج القوم في معجزات الأنبياء وقدرتهم التي أيدهم الله تعالى به افقام نبي من أنبياء بني إسرائيل بإحياء الموتى: "فأوحى اللهُ إليه أن نادِهِم فقالَ: أيَّتهَا العظامُ البَاليةُ قُومِي بإذنِ اللهِ! "فقَامُوا أحياءً **أَجمَعُونَ** ينفضونَ التُّرابَ عن رؤوسِهم."[2]

لو تدبرنا في هذا النّص الذي بين أيدينا لوجدناه يحمل في طياته صوراً فنيةً حيةً وأخرى لغويةً أسلوبيةً، فحين يصور الإمام الرضا (عليه السلام) حادثة قد مضت ولم يشهدها وينقل عن نبيٍ لم يره، فهذا علم إعجازي غيبيّ خصّ الله به الأنبياء والأئمة من بعدهم، فهذه أدلّة على أنّه مسدد من السماء، وأثبت بذلك إمامته قبل إثبات نبوة الأنبياء وقدراتهم الالهية بأسلوب لغويّ إعجازيّ، فلجأ (عليه السلام) لأسلوب التوكيد فيقول: (فقاموا أحياء أجمعون) أكد (عليه السلام) قيام العظام البالية بحرف الفاء بقوله:

([1]) يُنظر: أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت:٥٧٧هـ)، دار الأرقم بن الأرقم- بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩م:٢٠٨.
([2]) الاحتجاج: ٢٠٥/٢.

(فقاموا) وهم أحياء فالفاء أفادت توكيد رجوع الروح ثم زاد التوكيد بـ(أجمعون) الشمولية والدقة في التفصيل في قيام كل صاحب عظمٍ بالٍ، وإن أختطلت تلك العظام، ثُمّ أضاف صورة توكيدية حين نفضوا التراب عن رؤوسهم، ولم يقل أجسامهم فالرأس موضع رفع التراب.

ثانيًا التّوكيد اللفظي: "وهو بإعادة اللّفظ الأوّل أو مرادفه وهو أحسن في الضّمير المتّصل والحرف مفردا كان أو مركّبًا مضافا أو جملة أو كلاما نكرة أو معرفة ظاهرا أو مضمرًا اسما أو فعلًا أو حرفًا ولو ثلاثًا نحو قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾[الفَجْر: ٢١ - ٢٢]".[1]ولم يرد هذا النّوع كثيرًا عند (الإمام عليه السلام) بل تداخل مع التّكرار الذي يخرج عن التوكيد.

ومما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) عندما احتجَّ على رأس الجالوت في نبوات الأنبياء وما جاءوا به من معجزات خارقات بإذن الله وإيمانهم بنبي دون غيره، فحاجهم بنبوة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال الإمام الرّضا (عليه السّلام): "وكذلك أَمرُ محمَّدٍ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وما جاءَ به وأمرَ كلِّ نبيٍّ بعثَهُ اللَّهُ ومن آياتهِ أنَّهُ كان يَتيمًا فقيرًا راعيًا أجيرًا لم يَتعلَّم كتابًا ولم يَختلِف إلى معلِّمٍ، ثمَّ جاءَ

(1) همع الهوامع: ١٧٢/٣.

بالقرآنِ الذي فيهِ قصصُ الأنبياءِ وأخبَارُهُم **حَرفًا حَرفًا** وأخبارُ من مَضَى ومَن بقيَ إلى يومِ القيامةِ "[1].

يرتكز أسلوب احتجاج الإمام في هذا النّص على تكرار اللفظ نفسه بالشكل والمضمون بقوله: (حرفًا حرفًا)، لرفع غفلة السامع ولفت الانتباه وتهيئة الأذهان للإصغاء[2]؛ لأمر كشفه سياق النّص ألّا وهو أنّ الأنبياء (عليهم السلام) علمهم ملكوتي لا يصل إليه إلاّ مَنْ أختاره الله لهذا العلم وسدد خطاه، وثّمَة انتقالة أسلوبية تبينت في التركيب (حرفاً حرفاً) إذ يحتمل معنىً ظاهرياً عاماً هو أنّ الأنبياء (عليهم السلام) بعضهم امتدادا لبعض، ومعنىً خفياً وهو أن الأنبياء درجات وأعلاهم درجة وأفضلهم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بدلالة أنّه بشر به الأولون والآخرون، وأنّه كان من آيات الله في أرضه وحجته على أنبيائه وخلقه أجمعين، فعلمه ليس كعلم الأنبياء (عليهم السلام) ؛لأن علمهم منقطع في زمانه وعلم النبي (محمد صلى الله عليه وسلم) هو القرآن الكريم الذي خصّه به وأثبته في فؤاده، والذي فيه الدقة و الشمولية والتفصيل التي في نقل أخبار من مضى ومن سيبقى إلى يوم الساعة دون أن يُعلمهُ معلّم أو يتعلّم من كتاب.

([1]) الاحتجاج:٢/ ٢١١

([2]) يُنظر: معاني النحو، فاضل السامرائي:١٥٢/٤

ومِن احتجاجاته في إثبات التوحيد لله تعالى قال الإمام الرضا (عليه السلام): "فاللّه تباركَ وتعالى **فردٌ واحدٌ** لا ثانيَ معهُ يقيِّمهُ ولا يعضَّدهُ ولا يكنّه، والخَلقُ يُمسِكُ بعضهُ بعضًا بإذن اللّه تعالى ومشيّتهُ، وإنّما اختلفَ النّاسُ في هذا الباب حتى تاهوا وتحيَّروا وطلبوا الخلاصَ من الظّلمةِ"[1].

لو أمعنا النَّظر في هذا النّص لوجدنا تحولًا على مستوى الأسلوب في الإخبار عن الوحدانية لله بصيغة التوكيد اللفظي، ولكن بتركيبٍ مترادفٍ بلفظين مختلفين في الشكل متفقين في المعنى[2]، فهو خرق سمعيّ يدلُّ على قدرة المتكلم في تنويع عباراته وتلوين أساليبه وقوة فصاحته وسعة بيانه [3]، فأكد في قوله:(فرد) التي تعني لا نظير ولا شبيه ولا شريك له فهو متفرد بصفاته، ثُمّ جاء بقوله: لفظ (واحد) ؛لإثبات توحيد لله عزّ وجلّ ورفع تَوهِم مَنْ وهِمَ بجعل ثانيًا له، فهو واحدٌ أحد وهذا المعنى يؤكد معنى (فرد) ويزيده قوةً وثباتاً في الذهن.

وفي قول الإمام (عليه السلام) في معرفة اختيار الإمام "فمَن ذا الذي يَبلُغُ معرفةَ الإمامِ، أو يُمكِنُهُ اختيارُهُ، **هيهاتَ هيهاتَ**"[4].

([1]) مسند الإمام الرضا (عليه السلام):٢/٩٠.

([2]) يُنظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:٩١١ هـ)، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٨م:١/ ٣١٦.

([3]) يُنظر: أسرار الترادف في القرآن الكريم، د.علي اليمني دردير، دار ابن حنظل- الفيوم- مصر، د.ط، ١٩٨٥م: ١٢.

([4]) الاحتجاج: ٢/ ٢٢٨.

نجد في هذا النصِّ تكرار اللفظ نفسه بالشكل والمضمون بقوله: (هيهات هيهات)، فيؤكد(عليه السلام) اسم الفعل الماضي المتضمن معنى بَعُدَ[1] الذي هو اللفظ الأول(هيهات) بلفظٍ ثانٍ من جنسه ؛لإبعاد تَوهُم مَنْ تَوَهَم في تنصيب إمامٍ على الناس باطلاً وزورًا، فبُعُدًا كل البُعد لمن لا يُدرِك مقام الإمامة ومعرفة أهلها بصفاتهم التي أظهرها الله تعالى فيهم.

ثالثًا: التوكيد بالقصر: ثمّة خصيصة أسلوبية ظهرت عند الإمام (عليه السلام) وهي التوكيد بالقصر، وتُعدُّ مِنْ أهم وسائله الأسلوبية فهي تعبّر عن انزياح مقصود؛ للتنبيه وصبّ المعنى في ذهن السامع، بإظهاره على معنى آخر، فالقصر:هو تخصيص الشيء بالمخصوص به وحصره فيه بطريق إيجاز الكلام ؛لتمكينه وتثبيته في ذهن السّامع ونفسه(٢) وعند إحصائي لهذه الظاهرة الأسلوبية وجدت أنّ هذا النوع تكرر في احتجاجات الإمام (عليه السلام) في تسعة وعشرين موضعًا وبطرقٍ مختلفةٍ سنبيّنها بتحليل الشواهد.

١-**القصر بالنفي والإستثناء:**تكرر هذا النوع من التوكيد في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) بكثرةٍ وكانت متقاربة في دلالاتها.

---

(١) يُنظر: النحو الوافي، عباس حسن:١٤١/٤- ١٤٢.

(٢) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن جلال الدين القزويني(ت: ٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل– بيروت، ط٣، د.ت:٥/٣.

وجاء في احتجاج الإمام الرضا (عليه السلام) في النبوة، فقال: " **فا**علموا **أنَّهُ ليس بإمامٍ بعد محمّدٍ إلّا** من قامَ بما قامَ بهِ محمّدٌ حينَ يُفضي الأمرُ إليه، **ولا تَصلحُ الإمامةُ إلّا** لمن حاجَّ الأممَ بالبراهينِ للإمامة."[1]

ينمازُ نصّ الإمام (عليه السلام) بتماسكٍ نصيٍّ متفردٍ بسبكه، إذ يَستشعر السامع تصاعداً صوتياً يُشكّله النّبر، ويرافقه اتصال نسقيّ بين أول النّص وآخره ؛ليولد حالةً من التأثير النفسي المتسارع فيقول(عليه السلام): (فاعلموا أنّه) ففي هذا التركيب القصير تويكدان متعاقبان بـ (الفاء وأنّ) غايته دفع التوهم والشّك والإنكار، وتثبيت المعنى في النفس، ثُمّ تكرر التوكيد بالنفي والإستثناء بقوله (عليه السلام): (ليس بإمامٍ بعد محمّدٍ إلّا من قام بما قام به محمد) أكد نفي الإمامة عن أي أحدٍ بعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقصرها على كل من قام ما قام به رسول الله من بعده، وبدا الإمام كأنّه توقف ثُمّ كرر النفي والإستثناء بقوله: (ولا تصلح الإمامة إلّا لمن حاجّ الأمم بالبراهين للإمامة) بأسلوبٍ غير تصريحيّ محيلاً السامع إلى أول النّص[2] أي أنّ من قام ما قام به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده فهو إمام وهذا ينطبق علينا أهل البيت، فنحن أصحاب الحجج والبراهين التي جعلنا الله فيها أئمة للناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

(1) بحار الأنوار: ٤٩/ ٨٠.

(2) ينظر: التماسك النصي ودوره في إنتاج الدلالة، د. إبراهيم محمد أحمد الدسوقي،(بحث)، كلية اللغة العربية- جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية- ماليزيا،٢٠١٨م:١٨٠- ١٨٦.

مخطط يوضح التوكيد التصاعدي:

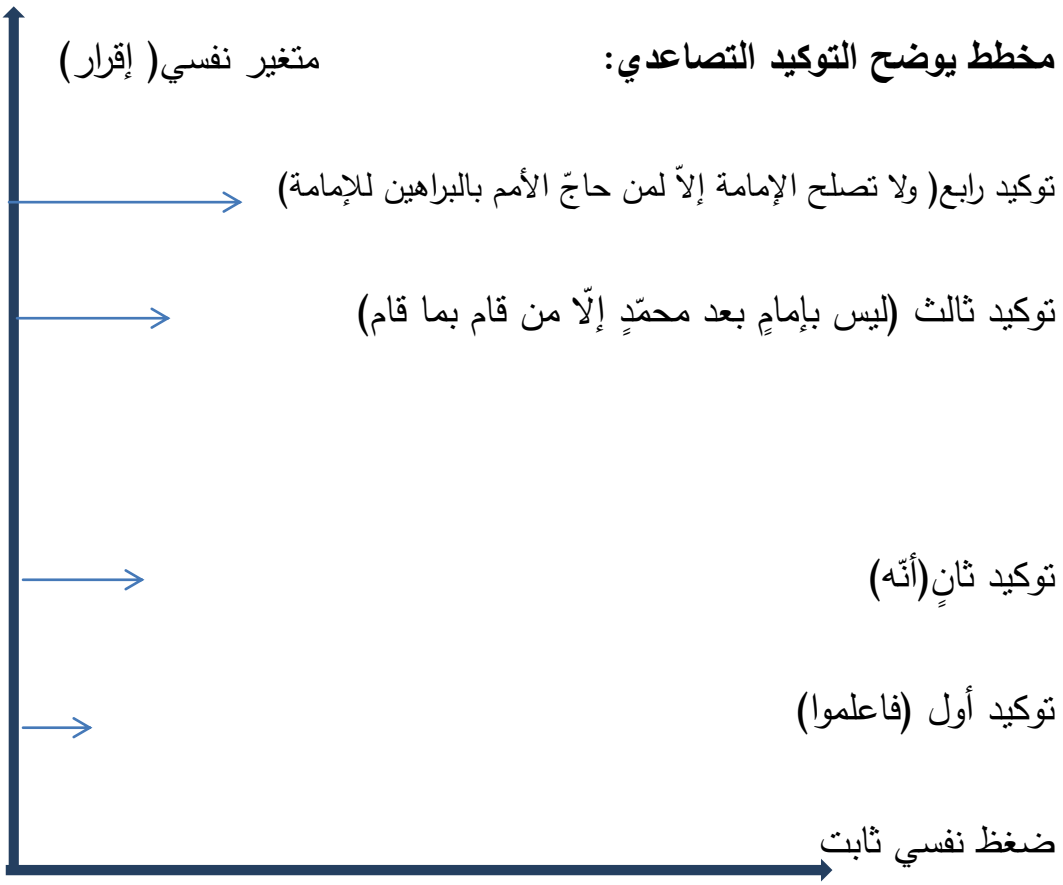

٢ـ القصر بالتقديم والتأخير: يحصل هذا النوع من القصر بتقديم ما حقّه التأخير، كتقديم المعمول على عامله.(١) ويكون التقديم للعناية والإختصاص[٢].

ومثال عليه ما احتجَّ بهِ الإمام الرضا (عليه السلام) على عمران الصابئي في التوحيد فقال: "**إيّاكَ** وقولَ الجُهَّال من أهلِ العَمَى والضَّلالِ الذين يزعُمُونَ أنَّ اللّهَ جلَّ وتقدّسَ موجودٌ في الآخرةِ للحسابِ في الثَّوابِ والعقابِ وليس بموجودٍ في الدُّنيا

(١) يُنظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن حنبكة:١/ ٥٣٧.
(٢) يُنظر: كتاب من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي بدوي (ت:١٣٨٤هـ)، نهضة مصر- القاهرة، د.ط، ٢٠٠٥م:٩٠.

للطاعةِ والرجاءِ، ولو كانَ في الوجودِ للّهِ نقصٌ واهتضامٌ، لم يوجدُ في الآخرةِ أبداً ولكنَّ القومَ تاهوا وعمُوا وصمُّوا عن الحقِّ من حيثُ لا يَعلمونَ."[١]

إنّ مِنْ صفات المحاجج صاحب الأدلة والبراهين هو انتقاء الأسلوب والمرونة في الخروج من غرضٍ إلى غرضٍ آخر، والافتنان في اختيار الألفاظ وتركيب أجزاء الكلام بمواضعها التي سيقت لأجلها من تقديمٍ أو تأخيرٍ أو من حذفٍ أو إيجاز، إيقاظاً لإصغاء السامع ولفت انتباهه[٢]،وهذا ما نجده في احتجاجات الإمام الرضا(عليه السلام) الذي يؤكد في هذا النّص على عمران الصابئي بأسلوب تقديم المعمول على العامل بقوله: (إيّاك وقول الجهّال) فقدّم (إيّاك) للتحذير و الاتقاء عن أمرٍ حاصل.[٣]، بمعنى أحذرك وأنهاك وأمرك[٤]، أن لا تقول على الله تعالى قول أهل الكفر والضّلال، فيُصبكَ العمى عن الحقِّ في الدنيا فتخسرها والآخرة .

٣ـ القصر بـ (إنمّا):وهي مركبة من جزأين (إنّ) الناصبة المشبهة بالفعل المؤكدة و(ما) النافية الكافّة التي كفت عمل(إنّ) وجعلتها للإثبات فأصبح التركيب يفيد القصر والحصر[٥].

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام):٢/ ١٥٥.
(٢) يُنظر: أصول الإنشاء والخطابة، العلامة محمد الطاهر بن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ)، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المناهج- الرياض، ط١، ٢٠١٢م: ٣٠، ٣١.
(٣) المقتضب:٣/ ٢١٢.
(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢/ ١٥٥، ١٥٦.
(٥) يُنظر: معاني النحو، فاضل السامرائي:١/ ٣٢٧. ويُنظر: معاني(إنّما) أم معاني الحصر بها، د. أبو أوس إبراهيم الشمسان،(مقال)، مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر- السعودية، ٢٠١٣/١٢/١٤م.

وجاء في احتجاج الإمام الرضا (عليه السلام) لإثبات الإنجيل الأول قال:"يا جاثليقُ ألاّ تُخبِرنِي عن الإنجيلِ الأوَّلِ حينَ افتقَدتُمُوهُ عندَ مَن وجَدتُمُوهُ ومَن وضَعَ لكم هذا الإنجيلَ، قال له: ما افتَقَدنَا الإنجيلَ إلَّا يومًا واحدًا حتَّى وجدناهُ غضًّا طريًا فأخرَجَهُ إلينَا يُوحَنَّا ومَتَّى، فقالَ لهُ الإمامُ الرضا (عليه السلام): ما أقَلَّ مَعرِفَتَكَ بسرِ الإنجيلِ وعُلمائِهِ، فإن كانَ كمَا تَزعُمُ فَلِمَ اختَلَفتُم في الإنجيلِ، **إنَّمَا وقعَ** الاختلافُ في هذا الإنجيلِ الذي في أيدِيكُمُ اليومَ فلو كانَ على العهدِ الأوَّلِ لم تَختَلفُوا فيهِ ولكنِّي مُفِيدُكَ عِلمَ ذلكَ، اعلَمْ أنَّهُ لمَّا افتُقِدَ الإنجيلُ الأولُ اجتَمَعَتِ النَّصَارى إلى عُلمَائِهِم فقالوا لهم: قُتِلَ عيسى بنُ مريَمَ عليه السلام وافتَقَدنا الإنجيلَ وأنتُم العلماءُ فما عندَكُم؟"[1].

جاء التوكيد في هذا النّص بـ (إنّما) المتكونة من (إنّ) الناصبة التي أفادت أمر إثبات وقوع فعل الإختلاف بالإنجيل الذي بين أيدي علماء النصارى والـ (ما) النافية التي نفت صحة الإنجيل هذا، فالتركيب اللغوي الأسلوبي من (إنّما) والفعل (وقع) أفادا أمرين: الأول لغوي بدلالة (إنّما) التي قصرت وحصرت الاختلاف في الإنجيل الذي بين أيديهم وأكدت على صحة الإنجيل الأول الذي نزل على نبي الله عيسى (عليه السلام)،والأمر الثاني: فكري عقائدي وهو بطلان عقائدكم التي انحرفت عمّا أمر به نبيكم عيسى (عليه السلام).

([1]) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٨٠/٢.

رابعًا: التّوكيد بالحروف وهي: (إنّ- أنّ- كأنّ- لكنّ- لام الابتداء- ضمير الفصل- أمّا- قد- السّين- القسم- نونًا التوكيد- لن- الحروف الزّائدة- حروف التّنبيه).[1]

وعند دراستي للنصوص دراسة إحصائية بحثًا عن الظواهر الأسلوبية وجدت ظاهرة التوكيد بالحروف ومنها (إنّ) المكسورة الهمزة وأختها(أنّ) المفتوحة الهمزة اللتان تدخلان على الجمل الاسمية فينصبان اسمها أسمًا لهما وخبرها خبرًا لهما ويعملان على توكيد معنى الجملة وتقويتها[2].

وقد ورد في احتجاجات الإمام (عليه السلام) في مئتين وتسعة موضع متفرقة، مع ورود التوكيد بحروف أخرى متنوعة وفي نفس النّصوص التي وردت بها (إنّ وأنّ) وسنبيّن ذلك عند دراسة الشواهد.

ونجدهُ في احتجاج للإمام (عليه السلام) عندما سُئِل عن الرجعةِ فقال: "**<u>إنّها لحقٌ قد</u>** كانت في الأممِ السّالفةِ ونطقَ بها القرآن"[3].

([1]) جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد بن سليم الغلاييني (ت:١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط٨، ١٩٩٣م: ٣/ ٢٦٤-٢٧٢. وينظر: البلاغةالعربية،حسنحبنّكة: ١٨٦/١- ١٩٣، ويُنظر: البلاغة والتطبيق، د.أحمد مختار عمر و د. كامل حسين البصير، مطابع بيروت الحديثة- بيروت- لبنان، ط٤، ٢٠١٥م: ١٠٧- ١١٣.

([2]) يُنظر: شرح المفصل لابن يعيش:٢٥٤/١.

([3]) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢١٨/١.

يظهر التوكيد بحرف (إنّ) المشددة واسمها الضمير (الهاء) وخبرها (لحقّ)،ويؤكد الإمام (عليه السلام) على رجوع الأموات إلى الحياة الدنيا في زمانٍ قدرّه الله تعالى، ويرى أنّها حقّ، فعَملتْ إنّ على توكيد مضمون الجملة الأسمية وهو حقيقة حصول الرجعة، ومعلوم أنّ التركيب اللغوي هو نافذة المعنى وصورته، ومن صوره التوكيدبحرف (قد) مستحضرًا صورة تحقق وقوع الأمر في ما مضى مِنْ الزمان والتي قال بها القرآن.

وفي احتجاجه (عليه السلام) على يوحنا في نبوة عيسى (عليه السلام) فيقول: " يا يوحنا **إنَّا آمنّا** بعيسى روح اللّه وكلمته الّذي كان يؤمن بمحمدٍ ويبشّرُ به ويقرُّ على نفسهِ **أنَّه** عبد مربوب، فإن كان عيسى الذي هو عندك روّح اللّه وكلمته ليس هو الذي آمن بمحمد (صلّى اللّه عليه وآله و سلّم)."[1]

التركيب (إنّا) مكوّن من(إنّ) المكسورة الهمزة المشددة والضمير(نا) للجمع، فالتوكيد بـ (إنّ) الجمعيّ زلزل وأضعف كلّ حجة وأجهضها، ثم ألحق هذا التوكيد بتوكيدٍ آخر في قوله: (آمنّا) فأكد الضمير المتصل الأول بضميرٍ ثانٍ من جنسه ؛لبيان حقيقة الإيمان بالأنبياء (عليهم السلام)؛لزيادةٍ في الضغط النفسي، وهذا التلاحق اللغوي والتكرار فيه دلالة هي إنّا جميعًا آمنا بعيسى (عليه السلام)، ونؤمن بجميع الأنبياء الذين سبقوا عيسى وبمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده خاتم الأنبياء

(1) مسند الإمام الرضا (عليه السلام):٢/٩٥.

والمرسلين، وثَمّة توكيد ثالث في النّص بمسارٍ آخر لحقيقة أخرى، إذ لجأ الإمام (عليه السلام) في تعبيره اللغوي لاستعمال (أنّ) المفتوحة الهمزة المشددة التي تفيد تعلق ما بعدها بما قبلها[1] بقوله: (أنّه) فالهاء عائدة على عيسى (عليه السلام) فأراد الإمام (عليه السلام) توكيد أمرين للسامعين أحدهما: إقرار عيسى (عليه السلام) بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وإيمانه به، والأمر الآخر: إقرار عيسى (عليه السلام) على أنه عبد مربوب لا ربّ بدلالة أنه آمن بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلو كان ربًّا كما تزعمون فلم أقر على نفسه بالإيمان؟ فالربّ لا يؤمن بما خلق وإنمّا يؤمن المخلوق بخالقه، فأنتم من جعلتموه ربًّا، وهذه من الأساليب والتقنيات الحجاجية التي عُرِف بها الإمام (عليه السلام) إذ كان يسلب محاججه الإرادة فيظهر ضعيف الحجة قليل المواجهة والكلام.

ومن احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي عن الإرادة الإلهية "فقال سليمان: يا سيدي أسألك؟ قال الرضا (عليه السلام): سَل عمَّا بدا لكَ قال: ما تقولُ فيمن جعلَ الإرادة اسمًا وصفةً مثل حي وسميع وبصير وقدير؟ قال الرضا (عليه السلام): "**إنما** قلتم حدثت الأشياء واختلفت **لأنّه** شاء وأراد ولم تقولوا: حدثت

(1) يُنظر: أساليب التوكيد في صحيح مسلم(دراسة نحوية، تطبيقية، تحليلية)، عصام الدين سد الختم،(رسالة ماجستير)، جامعة أم درمان الإسلامية- كلية اللغة العربية- السودان، ٢٠٠٤م: ٩١.

الأشياء واختلفت **لأنّه** سميع بصير فهذا دليل على **أنّهما** ليستا مثل سميع ولا بصير ولا قدير."[1]

يتضح مِنْ قراءة النّص فيه قوة وحِدة غايتها التنبيه عبر النّبر في الكلام والتي أظهرها التركيب بقوله (عليه السلام):(إنّما قلتم) فأكد (عليه السلام) بـ (إنمّا) القصرية قولهم في الإرادة، وفصّل قولهم فيها بمؤكدين آخرين بـ (أنّ) المفتوحة الهمزة التي تعمل على تعليق السياق بعضه في بعض فظهرت بقوله:(لأنّه شاء وأراد)، وفي قوله: (ولم تقولوا: حدثت الأشياء واختلفت لأنّه سميع بصير) أي فقلتم أنّ الله تعالى يغيّر الأمور بإرادته وهذا متعلق بأنكم أنكرتم أنه سميع بصير، وهذا بخلاف الذات الإلهية المقدسة التي تعلم الأمور ما بطن منها وما ظهر، واتضحت دلالة في التركيب بدخول (إنمّا) على الجملة الفعلية (قلتم)، ومن دلالات الجملة الفعلية إنّها تدل على تجدد الحدث وعدم ثبوته وتغيّره.[2]، وهذا الأمر عند الإمام (عليه السلام) ليس اعتباطياً بل جاء استعماله الجملة للفعلية في السياق التركيبي للدلالة على أنّكم ستغيّرون قولكم على الله، وستقرّون على أنفسكم أنّ الله تعالى سميع بصير عند الاستماع لحججي وبراهيني، وثَمّة تكرار رابع للتوكيد بـ (أنّ) المفتوحة الهمزة بقوله: (أنّهما

(1) مسند الإمام الرضا (عليه السلام):2/ ١٥٤.
(2) يُنظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي- بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٦م: ٤١.

ليستا مثل سميع ولا بصير ولا قدير) فأستدلّ(عليه السلام) عليهم بلسانهم أنّهم قالوا الله يغيّر الأمور بالإرادة وهذا مما أختلف مع أنّه سميع وبصير وقدير.

ومن التوكيدات بالحروف التي ظهرت في البنى التركيبة في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) نونا التوكيد الثقيلة المشددة (نّ) والخفيفة الساكنة اللتان تلحقان بالفعل المضارع أو فعل الأمر لتوكيده وتقوية معناه[1] ،وجاءت النون الثقيلة فقط في موضعين في احتجاجات الإمام (عليه السلام).

ومن أمثلته عندما جمع الحسن بن محمّدٍ الزيدية والمعتزلة في داره، وهم لا يعلمون إلى ما يدعوهم إليه الحسن بن محمد، فلمّا تكاملوا ثني للرضا (عليه السلام) وسادة فجلس عليها، ثمّ قال:" السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، هل تدرون لم بدأتكم بالسلام ؟" "فقالوا: لا" فقال: لتطمئنّ أنفسكم."[2]

إنّ مِنْ أدبيات الحوار في الإسلام هي البدء بالسلام فهو تحيته التي تفشي السلّم بين الأنام، فالإمام (عليه السلام) أراد أن يأسس علاقة تخاطبية مبنية على التأدب والتخلّق الحسن وهذه من الستراتيجيات الإقناعية التوجيهية[3] فبيّن للسامعين أنّه مستن بسنن الأنبياء وسالك طريق الأولياء فهو صاحب الحجة والبرهان، فسألهم

(1) يُنظر: شرح ابن عقيل:٣٠٨/٣.
(2) مسند الإمام الرضا (عليه السلام):٩٦/٢.
(3) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، د.عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتب الجديد المتحدة- بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤م:٣٢٢- ٣٢٣.

لغاية الإفهام لبدئه بالسلام فكان جوابهم بـ (لا) أستدعى بناء تركيباً لغوياً يزيل التردد والإبهام ويؤكد المعنى ويقويه فقال لهم: (لتطمئنّ أنفسكم) مستعملًا أسلوب التوكيد الخبري بـ (نون التوكيد الثقيلة) مع الفعل المضارع (تطمئن) المسبوق بلام التعليل، وجاءت النون لزيادة توكيد فعل الأطمئنان القلبي لحججه التي سيستدلُّ بها عليهم ؛لتهيئة العقول وتهدئة النفوس وتثبيت القلوب وهذه من مهارات وأساليب فن الإقناع.

خامسًا: التّوكيد بالمصدر واسمه:المصدر هو الاسم الذي يدلّ على حدث الفعل في نفسه دون الاقتران بزمن، وينتصب توكيدًا لعامله الفعل نحو: ضربت ضربًا.[1]

وقد ورد هذا النوع في احتجاج الإمام (عليه السلام) على متكلم خراسان سليمان المروزي في الإرادة الإلهية: قال (عليه السلام):" يا سليمان إنّ من الأمور أموراً موقوفةً عند اللّه يقدّم منها ما يشاء، ويؤخّر ما يشاء ويمحو ما يشاء. يا سليمان إنّ عليّاً (عليه السلام) كان يقول: العلم علمان فعلم علّمه اللّه وملائكته ورسله فما علّمه ملائكته ورسله، فإنّه يكون ولا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه يقدّم منه ما يشاء ويؤخّر منه ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء.[2]

([1]) يُنظر: علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق(ت: ٣٨١هـ)، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد- الرياض– السعودية، ط١، ١٩٩٩م:٣٥٩. ويُنظر: شرح بن عقيل:١٦٩/٢.

([2]) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٢/ ١٠٧.

تودد المخاطِب من المرسل إليه (المخاطَب) وإشعاره كأنّه مكافئ له في مرتبته ومساوٍ له في علمه يعدّ من أساليب الإقناع ومهارته التي لا يمتلكها الّا المخاطِب الأعلى رتبة ودرجة من المخاطَب، والتي تأتي بمردود إيجابي في عملية الخطاب الإقناعي[1] فينادي الإمام (عليه السلام) سليمان بأسلوبٍ توجيهيّ وبأدواتٍ لغويةٍ مختلفةٍ ؛لإثبات قضيةٍ محوريةٍ هي مشيئة الله وقدرته وحكمته في تقديم وتأخير أو تثبيت أو محو ما يشاء، فالكون وما فيه وما عليه من أحياء وجمادات وأعمال خلقه مرهونة بيده فكشف عنها السياق في قوله: (إنّ من الأمور أموراً موقوفةً) إذ ورد فيه توكيدان الأول بـ (إنّ) المكسورة المشددة وبعدها (مِنْ) التبعيضية فأفاد هذا التركيب تأكيد أنّ الله قادرٌ على تغيير الأمور كلها أو بعضها، ومجيء توكيد آخر بالمصدر (أموراً موقوفةً) ؛لرفع غفلة السامعين وإزالة الشك عنهم لإدراكهم[2] أنّ الحكمة الإلهيّة والتدبير الإلهي في حفظ ما يحدث من الكائنات وإحصاءها كلها فمنها ما هو ثابت في لوح محفوظ لا تغيير فيه ومنها في لوح المحو والإثبات بقدرته عزّ وجلّ.[3]

(1) يُنظر: استراتيجيات الخطاب:٣٣٥.
(2) يُنظر: أدوات التوكيد في المعلقات السبع (دراسة نحوية دلالية تطبيقية)، علي السماني يوسف آدم،(رسالة ماجستير)، جامعة أم درمان، كلية اللغة العربية- السودان، ٢٠٠٦م:٤٤.
(3) يُنظر: بحار الأنوار:١٣٠/٤.

سادسًا: التوكيد بالقسم:القسم جملة إنشائية توكيدية لا خبرية يؤكد بها جملة أخرى ؛لرفع الشك عن أمرٍ أقسم عليه بالمقسم به نحو: "أحلف بالله لأفعلنّ كذا" ويكون بأحرف مخصصة هي(الباء والتاء والواو).[1]

وجاء هذا النوع من التوكيد في موضع واحد في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام)، فهو لا يُشكّل ظاهرة أسلوبية واضحة لقلة وروده ولكني أرى قصدية في قلّة استعمال هذا النوع، فالقسم مِنْ أقوى المؤكدات التي من الممكن أن يستعملها المتكلم في خطابه الحجاجي ولكن الإمام (عليه السلام) تجنبها بمؤكدات أقل أثرًا من القسم وهذا حثٌّ على تجنب كثرة الحلف والأيمان والأقسام لعظيم بقاء أثرها.

ومثالهِ ما وردفي احتجاج الإمام الرضا (عليه السلام) في ذكر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في التوراة ولإنجيل قال (عليه السلام): " يا نصراني والله إنّا لنؤمن بعيسى الّذي آمن بمحمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وما ننقم على عيساكم شيئًا إلّا ضعّفه وقلّة صيامه وصلاته"[2].

تبدأ البنية التركيبة في هذا النّص بأسلوب النداء للتنبيه ثُمّ يأتي بعده القسم فيقول الإمام الرضا (عليه السلام): (والله) فيقسم بالله تعالى بـ (واو القسم) ولفظ الجلالة

(1) يُنظر: كتاب كشف شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بمن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (ت:٧٣٠هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، د.ط، د.ت:١٨٤/٢. ويُنظر: همع الهوامع:١٧٧/٢-١٨٠.

(2) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٧٧/٢.

(الله)، وقسمه بالله عظيم ولأمرٍ قطعيّ لا جدال فيه "فأن الذي يقسم شيئاً بمنزلة من يقطّعه ويفصل بين أجزائه، وقد كان القسم مما تفصل به الأمور العظام وتقطع."[1]،فالإيمان عندنا بنبي الله عيسى والأنبياء (عليهم السلام) من قبله قطعيّ لا شك فيه، ويزيد على ذلك توكيدًا آخرًا بقوله:(إنّا) من (إنّ) الناصبة المتصلة بالضمير(نا)؛لتحقيق وتوكيد مضمون خبر فعل الإيمان الجمعيّ بالأنبياء، أي أننا جميعًا نؤمن بهم جمعاً ولا نفرق بين أحدٍ منهم، ليكون ذلك أرجى قبولاً وأكثر وقعاً في التلقي.[2]

(1) أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية، علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي،(رسالة ماجستير)، اللملكة العربية السعودية- جامعة أم القرى- كلية اللغة العربية، ١٩٩١م:٩/٢.

(2) يُنظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محي الديب مستو، دار الكلم الطيب/ دار العلوم الإنسانية- دمشق، ط٢، ١٩٩٨م:٢٠٧.

المبحث الثاني

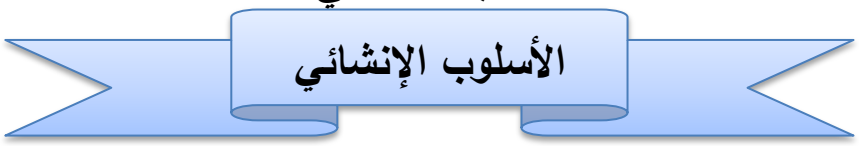

تتمحور الدراسة في هذا المبحث على أهم الأساليب الإنشائية الطلبية وهي (الاستفهام، والنداء، والأمر) قد وردت هذه الأساليب عند الإمام عليٍّ بنُ مُوسى الرضا (عليه السلام) مُشكلةً ظاهرةً حجاجيةً إقناعيةً، وبلاغية إبلاغية.

المطلب الأول: أُسلُوب الاستفهام:

يُعدُّ الاستفهام من أقوى الأساليب الطلبية التي يلجأ إليها صانع الخطاب في تحقيق ما يصبو إليه من استخلاص المعاني ؛لإمرٍ ما من المخاطَب وبشكلٍ استلزامي اقتضائي بقصد الفهم والإفهام، ولابدّ من أن نُبين معنى الاستفهام في لغة العرب حيث قال الخليل فيه هو: "فهم: فهمتُ الشّيء فهماً وفهماً: عرفتُه وعقلتُه، وفهّمتُ فلانا وأفهمتُه: عرّفته."[1]، ويقول ابن دريد (ت:٣٢١هـ): "الفهم والفهم: معروفان ورجل فهم من قوم فُهماء.[2]، ومنه "فهم الفهم المعرفة بالشّيء، فهم ذاك

(1) كتاب العين: ٦١/٤.
(2) جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين– بيروت، ط١، ١٩٨٧م: ٩٧٢/٢.

عقله، وأنا أفهمُهُ فهماً وفهماً وفهامةً: واستفهمني فأفهمتُه."[١] ويقول ابن فارس: "فهم: الفاءُ والهاءُ والميمُ علمُ الشّيء."[٢]

والاستفهام في إصطلاح النحويين والبلاغيين: هو الإستعلام، وطلب الفهم والعلم ولا يكاد يبتعد عن تعريف أصحاب المعاجم.[٣] فالاستفهام عند السكاكي هو طلب فهم الشيء لجهل الطالب،وعدم معرفته به.[٤] ومنه الاستفهام: تركيب طلبي الغرض منه الاستعلام، ويكون حقيقي يحصل بالاسماء نحو: من هذا، ومن ذاك، أو عارض ويحصل بالحروف نحو: أقام زيد أم قعد.[٥]، والاستفهام: "هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من إحدى أدواته وهي: (الهمزة وهل ومن ومتى وأيان وأين وأني وكيف وكم وأي). [٦] ومنه: هو طلب إرتسام المعاني الخارجية للكلام في ذهن المستفهم.[٧] ومذهب النحويين أن الاستفهام من حقه أن يتقدم على ما سواه فله صدر الكلام، فلا يجوز تأخيره فلا تقول: (لي منجدا من) بل يجب أن تقول:(من لي

(١) المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، الصاحب بن عباد (ت:٣٨٥)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب- بيروت، ط١، ١٩٩٤م:١٠/٤.، ويُنظر: لسان العرب: ٤٥٩/١٢.
(٢) مقاييس اللغة: ٤٥٧/٤.
(٣) يُنظر: شرح المفصل لابن يعيش:٣٤٤/٥، ويُنظر: مغني اللبيب: ١٧/١.
(٤) يُنظر: مفتاح العلوم،السكاكي:١١٤/١، ويُنظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي التهناوي (ت:١١٥٨هـ)، تح: د.علي دحروج، مكتبة لبنان– ناشرون– بيروت، ط١، ١٩٩٦م:١٤٨/١.
(٥) يُنظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي المؤيد العلوي (ت: ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية– بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ:٢٦/١.
(٦) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، أحمد بن مصطفى المراغي (ت:١٣٧١هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٩٣: ٦٣.
(٧) يُنظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة:٢٥٩/١، ويُنظر: شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أبو عبد الله أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي http://alhazme.net:، ٣/٢٧.

منجداً).[1]، يجيب تصدر أدوات الاستفهام لإقامة معناه في الجملة، فإن تأخرت فقدت معنى الإستفهام.[2] وقد أشربت العرب الاستفهام معانٍ جديدة غير معانيه الحقيقية، من باب توسع المعنى.[3]، فأخرجوه من معانيه الأصلية إلى معانٍ مجازية كثيرة منها: (النفي، التعجب، التقرير، التعظيم، التحقير، الاستبطاء، الاستبعاد، الإنكار، التمني، التسوية، الوعيد، التهويل، التنبيه، التشويق، الأمر، النهي، العرض، التحضيض، التفجع، التبكيت، الإرشاد، الإفهام، التكثير، الإخبار والتحقيق).[4]

وعند إجرائي دراسة احصائية لأسلوب الاستفهام في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) تبيّن أنّه جاء في مائة وستة وعشرين موضعًا وبمعانٍ حقيقية وأُخر مجازية وهي صلب موضوعنا، فهي تُمثل ذلك الإنزياح الأسلوبي المبتغى، ومما يُلحظ في نصوص الاحتجاج للإمام (عليه السلام) خروج الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى التقريري المجازي بنسبة كبيرة، فكان محور العملية الحجاجية وهذا راجعٌ إلى أنّ الإمام (عليه السلام) لايُريد بالاستفهام الإخبار أو الإستعلام عن شيء، فهو ليس بخالٍ الذهن وكذلك المتلقي، بل الإمام (عليه السلام) في موضعٍ أراد به الرد والدحض وإقرار محاججيه بحججه، وسنبيّن بجدولٍ نسب مجيْ أدوات الاستفهام ؛للوقوف على هذه

(1) يُنظر: شرح أبن الناظم على ألفية ابن مالك:٨٣.
(2) يُنظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغين، د.قيس اسماعيل الأوسي، المكتبة الوطنية– بغداد، د.ط، ١٩٨٨م:١١٠، ١١١.
(3) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:٢٦٨/٣.
(4) يُنظر: همع الهوامع: ٥٣٢/١، ويُنظر: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، وكالة المطبوعات– الكويت، ط١، ١٩٨٠م: ١٢٠- ١٢٦، ويُنظر: البلاغة والتطبيق: ١٣١- ١٣٨.

الظاهرة الأسلوبية التي هيمنت على النّصوص وبشكلّ كبير فهي تُعدُّ من أساسيات الدراسات الأسلوبية والحجاجية.

جدول يُبين عدد مرات مجي أدوات الاستفهام ونسبها المئوية:

ت	أدوات الاستفهام	عدد مرات ورودها	النسبة المئوية
١	الهمزة	٤٦/ ستة وأربعون	%٣٧
٢	هل	٢١/ أحدى وعشرون	%١٧
٣	كيف	١٩/ تسع عشرة	%١٥
٤	ما	١٧/ سبع عشرة	%١٣
٥	من	٦/ ست مرات فقط.	%٥
٦	متى	٦/ ست مرات فقط.	%٥
٧	أي	٤/ أربع مرات فقط.	%٣
٨	أين	٤/ أربع مرات فقط.	%٣
٩	ماذا	١/ مرة واحدة فقط.	%٠.٧٩
١٠	كم	١/ مرة واحدة فقط.	%٠.٧٩
١١	لم	١/ مرة واحدة فقط.	%٠.٧٩
المجموع	١١/ أحدى عشر أداة	١٢٦/مائة وستة وعشرون.	%١٠٠

ومِنْ أمثلتهِ ما ورد في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في الإمامة مع الفقهاء والمتكلين ومنهم يحيى بن الضحاك السمرقندي ولم يكن بخراسان مثله فقال الإمام الرضا (عليه السلام):" يا يحيى سل ما شئت، فقال: نتكلم في الإمامة، كيف ادعيت لمن لم يؤم وتركت من أم ووقع الرضا به؟ فقال له: يا يحيى أخبرني عمن صدق كاذبا على نفسه أو كذب صادقا عن نفسه، **أيكون محقًّا مصيباً** أم **مبطلاً مخطئاً**؟ فسكت يحيى"[1].

لو تأملنا في زويا هذا النّص لوجدنا سلسلة من الأساليب الطلبية كان أولها النداء ؛لتوجيه يحيى إلى القيام بفعلٍ إنجازي مباشر وهو فعل الإخبار فجاء بصيغة الأمر في قوله: (أخبرني) عمّن صدق كاذبًا (أو) كذب صادقًا، ولُحظ مجيء (أو) في التركيب للعطف وبث الشكّ بين طرفي معطوفيها[2] ؛لتحديد موقف وردة فعل يحيى وهذا الأسلوب أعقبه ارتعاداً صوتياً وتصعيداً معنوياً سريعًا أحدثه الاستفهام، فهو من الأساليب الراعدة التي تُحدث في التركيب ما يشبه التيار الكهربائي[3]،وهذا منسجمٌ مع حال المخاطَب المنكر، والاستفهام حصل بـ (الهمزة) و(أم) المعادلة وقد خرج عن معناه الحقيقي ؛لأنّ الإمام (عليه السلام) عارفٌ بالإجابة فأخرج الإستفهام إلى معنى مجازي بلاغي هو التسوية التي يُسأل بها المخاطب عن مساواته بين أمرين

(1) الاحتجاج:٢٠٢/٢.
(2) يُنظر: شرح المفصل لابن يعيش: ٦/٥.
(3) يُنظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د. صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة-مصر، ط١، ١٩٨٦م: ١٢٦

مختلفين[١]، فيتساءل الإمام (عليه السلام) عمّن أدعى الإمامة كذبًا واتبعه من صدقه على كذبه وكذب صادقاً فلم يتبعه فهل يستوي الأمر بين الصادق والكاذب، فسكت يحيي عن اجابته.

ومِنْ احتجاجته في الإمامة يقول (عليه السلام): "**وكيف** يوصف أو ينعت بكنهه، أو يفهم شئ من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه، ويغني غناه، لا **وكيف** و**أنّى** وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين، ووصف الواصفين**!؟**"[٢]

في هذا النّص سمةٌ تركيبية يُظهرها نسق الاستفهام بأكثر من أداة، فيُعطي للمتكلم مساحة واسعة في فرض سيطرته وبث أفكاره وإحراج خصمه، فاستعمل الإمام (عليه السلام) اسم الاستفهام (كيف) الذي يُسأل بها عن الحال[٣]، ولكنها أُشربت معنى مجازي ووُظفت في غير معناها الحقيقي فالإمام (عليه السلام) لا يسأل عن حالٍ عارف به بل أراد بها النفي فجاءت بمعنى لا يُوصف ولا ينعت الإمام بجوهر أي لا تسعه الأوصاف، ثم تكررت (كيف) وجاءت بمعنى مجازي هوالاستبعاد وهو أنّ يُعد الشي بعيداً بُعداً معنويًا.[٤] بمعنى أنّ الإمام بعيدٌ بمكانته وبصفاته عمّن ادعى الإمامة وهو بعيدٌ عنها، وزادت (أنّى) الاستفهامية المعنى وأعطت النّص دلالة واضحة فجاءت

(١) يُنظر: كتاب علوم البلاغة- البديع والبيان والمعاني، محمد أحمد قاسم: ٢٩٨/١.
(٢) الاحتجاج:٢/ ١٩٦.
(٣) يُنظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: ٤/ ٢٥٧.
(٤) يُنظر: علم المعاني عبد العزيز عتيق:١٠١/١.

تحمل معنى غير حقيقي وهو (أين) للدلالة على العلو والرفعة[١] فهو كالنجوم التي لا تدركها الأيدي وأيضا حملت معنى مجازي آخر فجاءت بمعنى (كيف) للتأكيد على استبعاد[٢] من جعل نفسه في موضع الإمامة وهو ليس بإمام.

ومِنْ احتجاجاته (عليه السلام) مع الزنادقة في التوحيد فسأله الزنديق قال:" فأخبرني عن قولكم: إنّه لطيفٌ سميعٌ بصيرٌ عليمٌ حكيم أيكون السميع إلا بالاذن، والبصير إلا بالعين، واللطيف إلا بعمل اليدين والحكيم إلا بالصنعة؟، فقال أبو الحسن (عليه السلام): إنّ اللطيف منا على حد اتخاذ الصنعة، **أو ما رأيت** الرجل منا يتخذ شيئا يلطف في اتخاذه؟ فيقال: ما ألطف فلانا فكيف لا يقال للخالق الجليل: لطيف إذ خلق خلقا لطيفا وجليلا وركب في الحيوان أرواحا وخلق كل جنس متبائنا عن جنسه في الصورة لا يشبه بعضه بعضا فكل له لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته."[٣]

تجلّى الاستفهام في قوله (عليه السلام): (أو ما رأيت) مفصحاً عن إنزياحٍ أسلوبي بالهمزة التي خرجت من معنى الاستفهام الحقيقي إلى معنى مجازي هو الإنكار والتوبيخ[٤]، وبأسلوبٍ بارعٍ ظهر أستنكار الإمام (عليه السلام) وتوبيخه للرجل حين بث

(١) يُنظر: كتاب أدوات الأعراب، ظاهر شوكت البياتي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٥م: ١/ ٤٤، ٤٥.
(٢) المصدر نفسه: ٤٥.
(٣) مسند الإمام الرضا(عليه السلام): ٧٣/٢.
(٤) يُنظر: علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي:٦٩.

له صورة إشهارية إقناعية بثنائية التقرير الإخباري والإيحاء المجازي[1]، فأخبره أنّ اللطيف من الناس هو ما كان في حدود صنعته، ثُمّ ينتقل إلى صورةٍ إشهاريةٍ إيحائية قوامها الاستفهام والنفي ومضمونها الإنكار والتوبيخ، أي أنّك ترى بعينك صنع الأنسان حين يتخذ أمراً فيتلطف بصنعته حتى يُقال عنه ما ألطفه بما صنع، وبعدها يكرر الإمام(عليه السلام) الاستفهام علنه ولا ينتظر إجابة منه، فأتى (عليه السلام) بتركيبٍ محكمٍ من (كيف) التي نفت الفعل المضارع في قوله: (فكيف لا يقال للخالق) فهذا الاستفهام ظاهره استفسار، ولكن حمّله (عليه السلام) معنى التعجب أي عجباً عليك أن تتكر وتستكثر على الله أنّه لطيف وهذا الخلق العظيم المختلف أجناسه وألوانه أليس له خالقٌ عظيم أتقن صنعه وأحاطه بقدرته وعلمه دون صنعةٍ أو يدين فهو اللطيف الخبير.

ومِنْ احتجاجاته (عليه السلام) على أهل الكتاب والمجوس والصابئة في النبوة فقال: "لقسطاس الرومي كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل قال: ما احفظني له، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال له: **<u>ألست تقرء الإنجيل</u>؟!** قال: **<u>بلى لعمري</u>**، قال (عليه السلام): فخذ على السفر الثالث، فإن كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وأمتهُ فاشهدوا لي وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا إلي، ثُمّ قرأ (عليه السلام) السفر الثالث حتى إذا بلغ

(1) يُنظر: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، د. جميل حمداوي، أفريقيا الشرق- المغرب، د.ط، ٢٠١٤م: ٨٥-٨٧.

ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقف، ثم قال:" يا نصراني إني أسألك بحق المسيح **وأمه أتعلم أني عالم بالإنجيل؟ قال: نعم**، ثم تلا علينا ذكر محمد وأهل بيته وأمته ثم قال: "**ما تقول يا نصراني هذا قول عيسى بن مريم؟!** فان كذبت ما ينطق به الإنجيل فقد كذبت عيسى وموسى (عليهما السلام) **ومتى أنكرت** هذا الذكر وجب عليك القتل لأنك تكون قد كفرت بربك وبنبيك وبكتابك. قال الجاثليق: **لا أنكر ما قد بان لي في الإنجيل وإني لمقر به، قال الرضا** (عليه السلام): "**اشهدوا على إقراره.**" [1]

الاستفهام من الأساليب اللغوية ذات القيمة التوجيهية إلى المرسَل إليه والتي تستدعيه إلى ضرورة الإجابة دون خيارٍ آخر ويستعمل المرسِل الاستفهام ؛للسيطرة على الأحداث الخطابية وتسيرها بحسب ما يُريده لا حسب ما يُريده الآخرون[2]، وجه الإمام (عليه السلام) هذا النّص جملةً من التساؤلات المباشرة، وبأسلوب حواري منظم وحجاجيّ متدرج ومتقن الجوانب ؛لتحديد مسار إجابات حاججيه مقنعة، ويتضحُ من قراءة النّص وسياقته اللغوية والحالية إنّ الاستفهام ظاهره أسئلةٌ استفسارية ولكن باطنه إيحائي مجازي تقريري حمل المخاطبين على الإقرار على أنفسهم بأمرٍ استقرّ عندهم العلم به[3]، فحين يقول (عليه السلام) لرأس الجالوت: (ألست تقرء الإنجيل؟! قال: بلى لعمري) مستعملاً (الهمزة والنفي) فهذا التركيب خرج إلى

(1) الاحتجاج: ١٤٥/٢، ١٤٦.
(2) يُنظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٣٥٢.
(3) يُنظر: البلاغة العربية، الميداني عبد الرحمن حنبكة: ١/ ٢٧٥.

إقرار رأس الجالوت بقراءة الإنجيل فقال (بلى لعمري)، ثُم أقرره بأمرٍ آخر حين سأله (أتعلم أني عالم بالإنجيل؟ قال: نعم) فخرج الاستفهام بـ (الهمزة والفعل المضارع) فاعطى الفعل المضارع في السياق دلالة آنية تزيد من قوة الحجج وثبوتها، وبذلك أقرّ رأس الجالوت بعلم الإمام (عليه السلام) بكتابهم الأنجيل بقوله نعم:، ثُمّ يسأله بأسلوب مغاير باستعمال (الاستفهام والشرط) حين قال له (ما تقول يا نصراني هذا قول عيسى بن مريم؟!) مستعملاً (ما) الاستفهامية والتي تكون للسؤال عمّا لايُعقل[١] فأنزلها منزلة العاقل، وبعدها جملة الشرط المتعلقة بجملة الاستفهام في قوله (عليه السلام): (فان كذبت ما ينطق به الإنجيل فقد كذبت عيسى وموسى) وهذا التعلق بين الاستفهام والشرط جعل فيه رأس الجالوت في قيدٍ لامفر ولامهرب منه، أي إن أنكرت ذكر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليه السلام) في الإنجيل فإنّك أنكرت عيسى وموسى (عليهما السلام)، وظهر في التركيب استفهام آخر بـ (متى) والتي تأتي للسؤال عن الزمان[٢] بقوله: (ومتى أنكرت هذا الذِّكر وجب عليك القتل) ولكنها حملت معانٍ مجازية فُهم منها التنبيه والتهديد والتخويف[٣] بقرائن سياقية منها (وجب عليك القتل).

(١) يُنظر: أسرار العربية، الأنباري: ٢٦٨.
(٢) يُنظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: ٤/ ٢٦٧.
(٣) يُنظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ١/ ١٠٥، ١٠٦.

ومِنْ احتجاجاته (عليه السلام) مع سليمان المروزي في التوحيد وفي علم الله تعالى قال (عليه السلام):"يا سليمان **هل يعلم** الله جميع ما في الجنة والنار؟ قال سليمان: نعم، قال:" **أفيكون** ما علم الله عز وجل أنّه يكون من ذلك؟ قال: نعم، قال: فإذا كان حتى لا يبقى منه شئ إلا كان **أيزيدهم أو يطويه** عنهم؟" قال سليمان:"بل يزيدهم".[1]

تكرر الاستفهام في هذا النّص ثلاث مرات متتالية بـ (هل والهمزة مرتين) فظاهر الاستفهام حقيقي، ولكنه أُخرج مِنْ تلك الحقيقة التي لايسأل عنها الإمام (عليه السلام) ؛لأنه عالمٌ بها لمعاني مجازية هي التقرير والأعتراف بطريقة توجيهية يُديرها الإمام (عليه السلام) فأقرّ سليمان المروزي بما يُريده الإمام بقوله: نعم.

المطلب الثاني: أسلُوب النّداء:

يُعدُّ النداء مِنْ الوسائل الحجاجية ذات التأثير السريع في إنشاء جسر تواصلي بين المتكلم والمتلقي، وهي حالةٌ مِنْ المؤثرات الصوتية التي تقود إلى حالةٍ أكبر هي ما يُلقيه المتكلم مِنْ أفعال كلامية ورصد ردة فعل المتلقي للتأثير الذي يقع بعد النداء. ولو رجعنا إلى أصل النداء في معاجم اللغة نجد معناه هو أنّ تدعوا شخصاً

(1) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٢/ ١٠٨.

مـا بصـوت مرتفـع.[١] ومنـه "وفُـلانٌ أنـدى صـوتاً مـن فـلانٍ أي أبعـدُ مـذهباً وأرفـعُ صـوتاً."[٢] ويقـول الفيروزآبـادي(ت:٨١٧ هـ): والنـداءُ، بالضـم والكسـر: الصّـوتُ. والنّدى: بُعدُه.وهو نديُّ الصّوت، كغنيٍّ: بعيدُهُ"[٣].

والنداء عند الاصطلاحيين: هو أن تدعوا المخاطب حسيًّا أو معنويًا بحرفٍ بمعنى ادعوا لفظًا أو تقديرًا ويحصل الطلب الإنشائي باللفظ[٤].

ومنه "هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك، هذا هو الأصل فى النداء، وقد تخرج صيغة النداء إلى أن يكون المراد منها غير الإقبال، بل يراد منها التخصيص، كقولك: أما أنا فأفعل كذا أيها الرجل، ونحن نفعل كذا أيها القوم، واللهم اغفر لنا أيتها العصابة، ولم يعنو بالرجل، والقوم، إلا أنفسهم"[٥]

وقيل النداء: "هو طلبُ المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الانشاء وأدواته ثمان (الهمزة، وايّ، ويا، وآي، وأيا وهيا، و وا) فالهمزة وأيّ: لنداء القريب، وباقي الأدوات لنداء البعيد. وقد يُنزلُ البعيد منزلة القريب

(١) يُنظر: كتاب العين:٧٨/٨.
(٢) كتاب العين: ٧٨/٨.
(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ١٣٣٨/١.
(٤) يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني:٩١/٣.
(٥) الطراز لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:١٦١/٣.

– فينادي بالهمزة وايّ، إشارةً إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه، لا يغيب عن القلب، وكأنه ماثلٌ أمام العين."[١]

والمنادى: هو الشخص المدعو، وهو مفعولٌ في المعنى وحقه في التركيب النصب لفظًا أو تقديرًا.[٢]

أقسام المنادى: للمنادى خمسة أنواع:[٣]

المفرد العلم، والنكرة المقصودة، والنكرة غير المقصودة، والمضاف، والشبيه بالمضاف). (أمّا المفرد العلم والنكرة المقصودة فيُبنيان على الضم من غير تنوين، نحو: "يا زيدُ" و" يا رجلُ" والثلاثة الباقية منصوبة لا غير.

وقد يخرُج النداء من المعنى الأصلي له وهو الطلب إلى معانٍ مجازية أُخرى ذكرها البلاغيّون منها: (الإغراء والتحذير،الاستغاثة، الندبة، التعجب، الاختصاص، التنبيه، التحسر والتحزن، الزجر والملامة).[٤]

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، تح: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، د.م، د.ط : ٨٩.

(٢) يُنظر: شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله بن مالك جمال الدين (ت:٦٧٢هـ)، تح: د. عبد الرحمن السيد/ د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر، ط١، ١٩٩٠م: ٣/ ٣٨٥.

(٣) يُنظر: كتاب متن الآجرومية، ابن آجُرُّوم، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي أبو عبد الله (ت: ٧٢٣هـ)، دار الصميصعي- الرياض- السعودية، د.ط، ١٩٩٨م: ٢١. ويُنظر: توجيه اللمع، أحمد بن الحسين بن الخباز، تح: د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع- مصر، ط٢، ٢٠٠٧م:٣١٨-٣٢١.

(٤) يُنظر: أساليب بلاغية: أحمد مطلوب: ١٢٩- ١٣١. ويُنظر: المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، مكتبة الجامعة الأزهرية- مصر، د،ط ، د.ت: ٢/ ١٢٦، ١٢٧.

وعند إحصائي مواضع النداء في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) وجدته قد ورد النداء في أثنتين وستين موضعًا مختلفًا، مما شكّل ظاهرةً أسلوبيةً متميزةً ساهمت في توجيه دلالة التركيب بما تقتضيه مقاصد الإمام (عليه السلام) في بناء قاعدة إقناعية متعددة الإتجاهات والمحاور، وبطرُق أسلوبية متجددة، ومتغيّرة، فتارةً ينادي محاججيه بالاسم المباشر وتارةً، ينادي محاوره بلقبه، أو بديانته، أو بمدينته، وتارةً أُخرى يجعل النداء عامّاً، أو خاصًا، فهذه كلّها أساليب تنمُ عن تمكُن الإمام (عليه السلام) وبراعته وعلمه اللدّني الذي لا يجاريه أحداً ممن حاججه إلاّ وأقرّ على نفسه بضعفه وخطئه، ومما يُلحظ على مستوى استعمال أدوات النداء نجد أنّ (ياء النداء) هي الأداة الوحيدة المستعملة عند الإمام (عليه السلام) ولكن نجد التنوع حاصل في أشكال المنادى كما أسلفنا سابقاً، وهذا جدول مبسط يُبين تفاصيل المنادى.

جدول: يُبيّن نوع المنادى وعدد مرات مجيئه.

ت	نوع المنادى	عدد مرات وروده	النسبة المئوية
١	مفرد علم	٥٢/ اثنتان وخمسون	%٨٤
٢	نكرة	٥/ خمس مرات	%٨
٣	مضاف	٥/ خمس مرات	%٨

٤	شبيهاً بالمضاف	٠	٠%
المجموع	٦٢/ اثنتان وستون	٦٢/ اثنتان وستون	١٠٠%

ومِنْ الأمثلة عليه قوله (عليه السلام): للحسن بن محمد النوفلي "**يا نوفلي أتخاف** أن يقطعوا عليّ حجتي؟! قلت:لا والله ما خفته عليك قط، وإنّي لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله تعالى"[١].

جاء النداء في هذا النّص ؛لتنبيه الحسن بن محمد النوفلي وقد استعمل الإمام (عليه السلام) حرف النداء (يا) وبعده الاستفهام المجازي بـ (الهمزة) التي خرجت لمعنى النفي، يُشكّل مع النداء نسقاً لغويًا وتماسكاً معنوياً، فكان هنالك تظافراً صوتياً غايته التنبيه ؛للتمهيد والتهيئة الذهنية لدى السامع فالمقصود هو ما بعد النداء وهو إزالة فعل الخوف من قلب النوفلي، بمعنى لا تخاف يا نوفلي فلن يستطيع أحداً منهم غلبتي أو إحراجي فأنا عالمٌ بكل كتبهم وما لديهم من حجج، ويلحظ أن الإمام (عليه السلام) نادى الحسن بن محمد بلقبه نوفلي وهذا فيه نوع مِنْ التلطف والتودد.

ومِنْ أمثلة النداء في احتجاجاته (عليه السلام) مع الزنادقة روي أنّه قد دخل رجل من الزنادقة على الإمام الرضا (عليه السلام)، وعنده جماعة، فقال له أبو الحسن (عليه

(١) الاحتجاج: ٢٠١/٢.

السلام): "**أيها الرجل** أرأيت إن كان القول قولكم وليس هو كما تقولون، ألسنا وإياكم شرعا سواء ولا يضرنا ما صلينا وصمنا وزكينا وأقررنا فسكت."[١]

جاء النداء في هذا النّص بمعناه الحقيقي ؛لتنبيه الرجل وبصورة بلاغيةٍ وتركيبةٍ بُنيت على حذف حرف النداء (يا) لما له من أثر إيحائي هو الإيجاز تماشيًا مع السياق الخاص والعام[٢] ويُلحظ في بنيات السياق مجيء الاستفهام التقريري بـ (الهمزة) ثُمّ تكرر الاستفهام التقريري بـ (الهمزة) مع النفي بـ (ليس) ؛لشحن النّص بطاقة صوتية و لزيادة وتيرة الضغط النفسي على الخصم لغاية زيادة التأثير في المتلقي المقصود وكذلك السامعين قاطعًا عليه كلِّ طريق و واصدًا كلِّ باب ينفذُ منها حتى أسكته وأقرّه على نفسه، ولابدّ أن نُشير إلى التركيب فكان المنادى في النّص هو (أي) العلم المفرد و(الهاء) ؛لزيادة التنبيه والرجل وقع موقع البدل من المنادى (أي) وهذه كلها صور فنية تبحث الأسلوبية في خفاياها وتستظهر الجمال التي في ثنايها.

ومِنْ أمثلة النداء في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع جاثليق النصارى في نبوة عيسى (عليه السلام) قال له الإمام (عليه السلام): "فما تقول في شهادة ألوقا ومرقانوس ومَتَّى على عيسى وما نسبوا إليه؟ قال الجاثليق: كذبوا على عيسى. قال

(١) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٢/ ٧٢.
(٢) يُنظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: ٤/ ٣٢٣.

الرضا (عليه السلام): **يا قوم أليس** قد زكاهم وشهد أنهم علماء الإنجيل وقولهم حق. فقال الجاثليق: يا عالم المسلمين أحب أن تعفيني من أمر هؤلاء."[1]

لو قرأنا هذا النّص بالطريقة الأسلوبية المُصورة لكل دقائقه التركيبية لكشفت لنا عن الغاية البلاغية للتركيب الندائي وهي أنّه فكان عاماً لكلِّ مستمع للإمام (عليه السلام) حتى جاء المنادى نكرة غير مخصصة وحرف النداء (يا) في قوله: (ياقوم) فالخطاب عام والتنبيه للجميع، والغاية البلاغية هي التأكيد في نفس السامعين إقرار الجاثليق في تكذيبه لعلماء الإنجيل، وكان للمنادى النكرة دور في إستجلاء المعاني المقروءة وقد زادها زضوحاً النسق السياقي من الاستفهام التقريري بـ (الهمزة) مع النفي (بليس)، فألقى هذا التظافر البنائي المحكم والمعاني المستوحاة منه التردد والإرتباك في نفس الجاثليق حتى طلب أن يُعفى من الإجابة وهذه الأساليب الإقناعية تحتاج إلى مهارات لغوية وقوالب إبداعية يُلقي بها صانعها متى ما أراد.

ومِنْ احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع جاثليق النصارى في عيسى (عليه السلام) على أنّه إنسان لا ربّ مربوب فقال (عليه السلام): " **يا معشر الحواريين** أنْه لا يصعد إلى السماء إلاّ من نزل منها إلاّ راكب البعير خاتم الأنبياء فإنه يصعد إلى السماء وينزل فما تقول في هذا القول؟ قال الجاثليق: هذا قول عيسى لا ننكره."[2]

([1]) الاحتجاج: ٢٠٨/٢.
([2]) عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢/ ١٤٧.

ورد النداء في قوله (عليه السلام)): (يا معشر الحواريين) بطريقة تركيبية مغايرة' فحرف النداء (يا) الذي أشتركت به علمة نصوص الإمام حتّى أنّه صار ركناً الركن ثابتاً في الخطاب الندائي عند الإمام (عليه السلام) وهو تحت مرصد الأسلوبية الصوتية التي جعلته في دالة التأثيرات الصوتية، و قد شغل المنادى النواة المركزية التي ينطلقُ منها شعاع الدلالة الفنية للتركيب الندائي التي تستقطب نحوه الأنظار محركاً النّص حركة أسلوبية كاشفاً عن الإنزياح المرتجى، فنلحظ أنّ المنادى جاء مكوّن مِنْ جزئين (معشر) مضافاً و(الحوارريين) مضاف إليه ؛لتعريفه ومعنى النداء الحقيقي هنا هو تنبيه الحواريين، وقد أخرجه (عليه السلام) من الحقيقة لغرض بلاغي هو الأختصاص[1]إذ خصّ الأمر في الحواريين دون غيرهم فهو خاص بنبيهم عيسى (عليه السلام) وجاء النداء لتوضيح أنّ عيسى (عليه السلام) لم يصعد إلى السماء وإنّما هو موجودٌ في الأرض ؛لينفي عنه الربيوبية' والسياق الحالي من النفي وتكرار الإستثناء يخرج إلى توكيد أمر صعود رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى السماء ومِنْ نزوله منها فلم يصعد إليها غيره.

ومِنْ احتجاجات الأمام (عليه السلام) مع سليمان المروزي في بيان صفة الإرادة في التوحيد الإلهي، سأل الإمام (عليه السلام) سليمان في اسم المريد "هل سمى نفسه بذلك، قال سليمان: "لا لم يُسمِّ به نفسه بذلك، قال الإمام الرضا (عليه السلام): فليس

(1) يُنظر: شرح المفصل لابن يعيش: ٣٧٠/١.

لك ان تسميه بما لم يُسَمَّ به نفسه، قال: قد وصف نفسه بأنّه مريد قال الرضا (عليه السلام): ليس صفته نفسه أنّه مريد اخبار عن أنّه اراده ولا اخبار عن أنْ الإرادة اسم من أسمائه قال سليمان: لأن ارادته علمه، فقال الإمام الرضا (عليه السلام): **يا جاهل!** فإذا علم الشئ فقد اراده."[1]

خرج النداء بـ (يا) في هذا النّص مِنْ دلالته الحقيقية وهي التنبيه ألى دلالة الزجر والردع واللوم على أمرٍ منكرٍ قد حصل[2]، وجاء المنادى نكرة مخصوصة في قوله: (جاهل) ؛لنعته بالجهل وتخصيصه فيه والإمام عارف اسم المنادى سليمان ولكنه زجره وردعه عن الشطط في كلامه على الله تعالى بأنّه أذا عَلِمَ بشيء أراده وهذا منافٍ للذات الإلهية ؛لذلك جاء النداء بأسلوب مغايير مراعياً الفكر الذي يحمله الخصم،و تعدُّ هذه مِنْ التقنيات الأسلوبية التي يتخذها المقتدر عليها في خطابته، و دائماً ما نجد هذه القدرة اللغوية والمهارات الفنية الأسلوبية واضحة في احتجاجات الإمام الرضا احتجاجات الإمام (عليه السلام).

ومِنْ احتجاجاته (عليه السلام) مع اليهود والنصارى في نبوة اليسع وحزقيل (عليهما السلام) والإيمان بهم فقال (عليه السلام): "**يا يهودي** خذ على هذا السفر من التوراة فتلا (عليه السلام) علينا من التوراة آيات، فاقبل اليهودي يترجح لقراءته ويتعجب، ثم أقبل

(1) عيون أخبار الرضا (عليه السلام):١٦٦/٢، ١٦٧.
(2) يُنظر: علوم البلاغة ، مصطفى المراغي: ٨٢.

على النصراني فقال: يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم، قال: بل كانوا قبله."[1]

النداء مِنْ الأساليب المؤثرة في المتلقي والتي تدعوه إلى الإستماع والتنبه كما تدعوه إلى القيام بفعل إنجازي يدخل ضمن ما يسمى الأفعال الكلامية المباشرة[2]، وقد ورد النداء في هذا النّص بطريقة تنبيه المنادى بـ (يا) بقوله (يا يهودي) وفي السياق ذاته فعل كلامي ذات صورة إلزامية بصغة فعل الأمر(خذ) وهذا الأسلوب يدعو المخاطب إلى القيام بفعل إنجازي فوري وعلى وجه الإلزام وكان النداء ممهداً له، وثمّة هنالك مقصدية خطابية في النّص لها دور تنظيمي في تسلسل الحجج والبراهين وفق رؤية عميقة حين نادى (عليه السلام) خصمه باليهودي بديانته، وهذا ما ينسجم من الترتيب الزمني والحججي لكلِّ دِين ليُفصل بين توجهات ومعتقدات كلّ خصمٍ له حتى يكون حجةً على مَنْ بعده فأسكت اليهودي، ويُلحظ ذلك التدرج عندما نادى (يا نصراني) بديانته أيضاً وقد جاء بعد النداء أسلوب الاستفهام التقريري فأقر عليه أنّ هنالك أنبياء قد سبقوا موسى وعيسى (عليهم السلام) لابدّ مِنْ الإيمان بهم وهذه كلها أدلة جعلتهم يقرون بها على أنفسهم بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيان أحقية أهل بيته (عليهم السلام) بالخلافة والإمامة.

([1]) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٢/ ٧٨.

([2]) يُنظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة دراسة تداولية)، محمد مدور(أطروحة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر- باتنة- كلية الآداب واللغات- الجزائر،٢٠١٤م: ٢٠٠، ٢٠١.

المطلب الثالث: أُسلوب الأمر:

يُعدُّ الأمر مِنْ الأدوات الأسلوبية التي تتخذ شكلاً طلبياً يلجأ إليها المتكلم ليُنشئ به قوة إنجازية يقوم بإنجازها المخَاطب وفقاً لما تقتضيه إرادة المتكلم[١] والأمرفي لغة العرب هو: "نقيضُ النّهي، والأمرُ واحدٌ من أمور النّاس. وإذا أمرت من الأمر قلت: اؤمُر يا هذا."[٢] ومنه: "يأمُرُه أمراً وإماراً فأتمر أي قبل أمره."[٣]

والأمر اصطلاحاً: هو "صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبىء عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء."[٤] ومنه هو"طلب الفعل بصيغة مخصوصة وصيغته (افعل) نحو (اذهب)."[٥]

وللأمر صيغ عدة منها: (فعل الأمر بصيغة" افعل"، وصيغة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر، واسم فعل الأمر)[٦]، وقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى المجاز، ومن أشهر معانيه المجازية: (الإباحة،

(١) يُنظر: أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن مسى (عليه السلام)، ابتسام بن خراف،(بحث)، مجلة كلية الآداب واللغات- جامعة الحاج لخضر- بانتة- الجزائر، العدد:١٢، ٢٠١٣م: ٣٥٢.
(٢) كتاب العين: ٢٩٧/٨، ويُنظر: مقاييس اللغة: ١٣٧/١.
(٣) لسان العرب: ٢٦/٤.
(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١٥٥/٣.
(٥) معاني النحو، فاضل السامرائي: ٣٠/٤.
(٦) المصدر نفسه: ٤/ ٣٠- ٣٨.

الدعاء، التهديد، التوجيه والإرشاد، الإكرام، الإهانة، الاحتقار، التسوية، الامتنان، التعجب، التكذيب، التعجيز، الإذلال).[1]

وعند إجرائي دارسة إحصائية لنّصوص احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) تبيّن أنّ الأمر جاء في ثلاثة وخمسين موضعاً، وقد كانت النسبة الغالبة لصيغة الأمر(افعل) ويُلحظ أنّ أغلب الأمر جاء حقيقياً وقد خرج في بعض المواضع لأغراض مجازية وسنبيّن ورود ذلك بجدول توضيحي.

جدول يوضح نسب ورود صيغ الأمر:

ت	صيغة الأمر	عدد مرات وروده	النسبة المئوية
١	صيغة افعل	٤٨/ ثمانية وأربعون مرة	%٩١
٢	صيغة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر	٠	%٠
٣	المصدر النائب عن فعل الأمر	٠	%٠
٤	صيغة اسم فعل الأمر	٥/ خمس مرات فقط	%٩

(١) معاني النحو، فاضل السامرائي: ٣٠/٤، ٣١، ويُنظر: البلاغة والتطبيق: ١٢٤– ١٢٨.

المجموع	/	٥٣/ ثلاثة وخمسون مرة	١٠٠%

ومن أمثلة الأمر قال مولانا الرضا (عليه السلام):" ويحك يا علي **اتق** الله **ولا تنسب** إلى أنبياء الله الفواحش **ولا تتأول** كتاب الله برأيك، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ۗ** ﴾ [آل عِمْرَان : ٧] "[١].

الأمر من الأساليب الحجاجية ذات الأفعال الإنجازية التي يُمارس فيها المتكلم سلطة توجيهية على المخَاطَب ؛لتحقيق مقاصده بما يتفق مع صيغة الأمر التي يأتي بها، فمنها ما يدلُّ على الوجوب وإلزام التنفيذ، ومنها ما يخرج لمعانٍ مجازية، ففي هذا النّص جاء الأمر بصيغة فعل الأمر(افعل) في قوله: (اتق) وسبقتها لفظة (ويحك) فيها زجرٌ وتنبيهٌ على أمرٍ فيه هلاك لعلي[٢] ؛لخطإٍ عظيمٍ أرتكبه، وزاد (عليه السلام) تنبيهه بندائه (يا علي) ؛للتأكيد عليه أنّه مبتعداً عن الصواب، وهذا السياق أخرج الأمر للتوجيه والنصح والإرشاد، ويُلحظ مجيء أسلوب النهي في قوله (عليه السلام): (لاتنسب) ؛لإتمام المعنى الإرشادي فيقول له: (عليه السلام) لا تتهم الأنبياء بالفواحش دون علمٍ أومعرفةٍ ولا تُفسر أو تأول كتاب الله وآياته برأيك دون فهمٍ ودرايةٍ.

(١) بحار الأنوار:١١/ ٧٢.
(٢) يُنظر: لسان العرب: ٢/ ٦٣٩.

وفي قوله (عليه السلام) لمحمد بن الفضل الهاشمي: "**خذ** السندي إلى الحمام **فطهره** و**اكسه** وعياله و**احملهم** جميعا إلى المدينة."[1]

تكرر الأمر في هذا النّص أربع مرات متوالية وبصيغة فعل الأمر (افعل) الدال على الإنجاز والوجوب الفعلي الحقيقي في التنفيذ فجاءت الأفعال (خذ وفطهر واكسه وأحملهم) في سياقٍ متصلٍ حيث ربطت الفاء العاطفة بين (خذ) و(فطهره) فأفادت الفاء الدقة في التفصيل والسرعة على التنفيذ وربطت الواو فعل الأخذ والتطهير والإكساء له ولعياله وهي أفادت الوصل والمشاركة، وقد أعطيت هذه الأفعال الأمرية معانٍ أخرى أضافةً للمعاني الحقيقية وهي التكريم والتشديد عليه وهذا ما كشف عنه السياق.

ومن احتجاجته مع جاثليق النصارى حول إثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وأله وسلم) قال الإمام الرضا (عليه السلام): الآن جئت بالنصفة يا نصراني! ألا تقبل مني العدل والمقدم عند المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام)؟ قال الجاثليق: ومن هذا العدل سمه لي؟قال: ما تقول في (يوحنا) الديلمي؟قال: بخ بخ ذكرت أحب الناس إلى المسيح. قال: **أقسمت عليك** هل نطق الإنجيل أن يوحنا قال: أن المسيح أخبرني بدين محمد العربي وبشرني به أنه يكون من بعدي، فبشرت به الحواريين فآمنوا

(1) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ١٠٠/٢.

به؟قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح، وبشر بنبوة رجل وأهل بيته ووصيه وأهل بيته، ولم يلخص متى يكون ذلك، ولم يسم لنا القوم فنعرفهم"[1].

ظهر الأمر في هذا النّص بصيغة اسم فعل الأمر (عليك) والذي يعني الإلزامْ[2] والتركيب في (أقسمت عليك) معناه الزمتك يا جاثليق أنْ تُخبرني عن قول يوحنا في ما جاء به الإنجيل عن محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أفاد الاستفهام بـ (هل) تحيقيق الخبر عن يوحنا، والأمر هنا على وجه الوجوب والإلزام التنفيذي وقد خرج إلى معنى بلاغي هو الإخبار.

(1) الاحتجاج: ٢٠٢/٢.
(2) يُنظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني: ١٥٥/١.

المبحث الثالث

أسلوبية العدول التركيبي

يُعدُّ العدول مِنْ أبرز المظاهر التي اهتمت بها الدراسات الأسلوبية تحت مسمياتها المختلفة كالانحراف والانتهاك والانزياح والمغايرة والمجاوزة، وهذه الأمور هي روح الأسلوبية ومكمنها، فهي لا تبحث فيما ظهر واستبان بل تذهب إلى ما خفي عن الأذهان، فالعدول هو ذلك الانحراف المقصود مِنْ المبدع أو الأديب ؛للخروج به عن النسق المألوف ؛لتحقيق أعلى دراجات الإبداع دفعاً للرتابة والملل، وقد حظي العدول بعنايةٍ خاصةٍ في الدرس اللغوي والبلاغي عند العرب قديماً وحديثاً.

والعدول في اللغة معناه: "العَدْلُ أن تَعْدِلَ الشيء عن وجهه فتميله، وعَدَلْتُهُ عن كذا، وعَدَلْتُ أنا عن الطريق ورجل عَدْلٌ، وامرأة عَدْلٌ سواء."[1] و قال ابن دريد فيه: "العَدْل: ضدّ الجَوْر، وعَدَلْتُ الشَّيْء بالشَّيْء عَدْلاً، إذا جعلته بوزنه، وعَدَلْتُ عَن الشَّيْء، إذا مِلْتَ عَنهُ."[2]

(1) كتاب العين: ٢/ ٣٩.
(2) كتاب جمهرة اللغة: ٢/ ٦٦٣.

والعدول في اصطلاح النحويين: يرى الشريف الجرجاني أنّ العدول هو "خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى."[١] ودرس سيبويه العدول ولكن تحت مسمى الإتساع في الكلام والإيجاز والاختصار والسعة، وضرب لها أمثلة وهذه التسميات كلّها تدلُّ على معنى الانحراف والخروج عن المألوف (٢)، أمّا المبرد فدرسه تحت مسمى المجاز في باب الفعل بعد أن وانقطاع الآخرعن الأول.[٣]

وأمّا ابن جني فسمّاه العدول صراحةً تحت أبواب شتّى مِنْها باب في العدول عن الثقيل إلى ماهو أثقل مِنْه لضرب مِنْ الاستخفاف وفي باب قوة اللفظ لقوة المعنى وغيرها[٤]، وقد سمّاه أيضاً الانحراف عند وصفه كلام العرب فيقول: "وكلام للعرب كثير الانحرافات ولطيف المقاصد والجهات، وأعذب ما فيه تلفته وتثنيه."[٥]

وإمّا العدول في اًصطلاح البلاغيين: فالعدول عند الجرجاني هو الانتقال مِنْ أسلوب إلى أسلوب آخر حيث يقول: "أن عَدلْتَ عن أسلوبٍ إلى أسلوب آخر."[٦] و يُعرّفه الخطيب القزويني بأنّه الانتقال مِنْ "الحقيقة إلى المجاز لغير مشاركة بين

(١) كتاب التعريفات: ١٤٧.
(٢) يُنظر: الكتاب: ١/ ٢١١- ٢١٦.
(٣) يُنظر: المقتضب: ٢/ ٣٣- ٣٦.
(٤) يُنظر: الخصائص: ٣/٢٠، ٣/ ٢٦٨- ٢٧١.
(٥) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: علي النجدي ناصف/ د. عبد الفتاح إسماعيل، وزارة الأوقاف المصرية- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة، د.ط، ١٩٩٤م: ٢/ ٨٦.
(٦) دلائل الإعجاز في علم المعاني: ١/ ٦٢.

المنقول والمنقول إليه لطلب التوسع في الكلام."[١] وقيل "هو اخراج الكلام على خلاف مقتضى الحال."[٢]

ويرى الأسلوبيين أنّ العدول: هو لفظ عربي يقابله لفظ الانزياح عند الغربيّين ومعناه الخروج عن النمط الأصلي للغة وباستعمال نفس هياكل دلالاتها وأشكال تركيبها، ويحصل الانزياح في حالة التلاعب بتلك الهياكل ؛لتوليد معاني أخرى وهذه مِنْ السمات الأسلوبية.[٣] وينقل لنا الدكتور عبد السلام المسدي مجموعة مِنْ الألفاظ المرادفة للعدول منها:(الانزياح والانحراف والتجاوز والاختلال واللحن) [٤] وقيل العدول: هو اختراق مثالية اللغة وانتهاكها والخروج بها إلى الإبداع.[٥]

ويحصل العدول في جميع مستويات اللغة (الصوتية، والتركيبية، والصرفية والدلالية) و سندرس في هذا المبحث العدول على المستوى التركيبي ويتسم في أساليب عدة أساليب منها (الالتفات، والتعريف والتنكير، والحذف، والتقديم والتأخير)

وظهر العدول في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في أسلوبي الالتفات والتعريف والتنيكر.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ١١١.
(٢) الكشاف: ١٤/١.
(٣) يُنظر: الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي: ١٦٢، ١٦٣.
(٤) يُنظر:المصدر نفسه: ١٠٠.
(٥) يُنظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب: ٢٦٨.

المطلب الأول:أسلوب التعريف والتنكير:

يُعدُّ التعريف والتنكير من الظواهر اللغوية المهمة التي تتماز بالمطاوعة والمرونة التركيبية فتمنح الباث أو الكاتب فسحةً من التنقل بين الدلالات عن طريق الانزياح والعدول.

وعند دراستنا لنّصوص الإمام الرضا (عليه السلام) الحجاجية وجدنا فيها هندسةً تركيبيةً ذات نسيجٍ متوازنٍ قائمٍ على فكرٍ توجيهي أنتج كياناً أسلوبياً جلياً تُطرح فيه الأفكار والمعتقدات بسلاسلةٍ ووضوحٍ خدمةً لعرض تلك الأفكار وتعميق دلالاتها، وهذه الأسلوبية نجدها متحققةً في التعريف والتنكير.

أولاً: أسلوب التعريف:

التعريف من الأساليب اللغوية التي تعطي للباث أو الكاتب الحرية الكافية في تشكيل تراكيب نصوصه وصياغتها ؛لبيان أثرها الدلالي وجمالها الفني عند متلقيها، والتعريف في أساسه النحوي يتعلق بوصف المبتدأ وتحديد معالمه[١] ؛لإيصال ونقل معناه إلى المخاطَب، فهو وسيلة أسلوبية يتخذها الباث أو الكاتب لتعريف الشيء وبيانه وتعيينه.[٢] وقد يتحقق العدول بالتعريف حين يعدلُ المتكلم بإستعمال نوعاً مِنْ

(١) يُنظر: نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي، غراتشيا غابوتشان، تر: د.جعفر دك الباب، مطابع مؤسسة الوحدة- دمشق- سوريا، د.ط، د.ت: ٣٩.
(٢) يُنظر: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب: ١٤٣.

أنواع أدوات التعريف والخروج به مِنْ معناه الأصلي إلى منعى في نفسه، وأدوات التعريف هي:(الضمائر، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، والتعريف بالإضافة، والتعريف بالألف واللام).[1]

وقد تحقق هذا العدول بكل ألوانه في احتجاجات الأمام الرضا (عليه السلام) مشكلاً ظاهرةً أسلوبيةً متميزةً وهذا ما سنجده في تلك النّصوص.

١. التعريف بـ (المضمر):

ومِنْ أمثلتهِ ما جاء في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع رجل زنديق في توحيد الله تعالى وصفاته فقال الرجل: "فلِمَ لا تدركه حاسة البصر؟ قال الإمام الرضا (عليه السلام): "للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار، منهم ومن غيرهم، ثم **هو** أجلّ من أن يدركه بصر، أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل. قال: فحده لي! قال: لا حد له. قال: ولِمَ؟ قال: لأن كل محدود متناه، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، **فهو** غير محدود، ولا متزايد ولا متناقص، ولا متجزي، ولا متوهم."[2]

تحقق العدول في هذا النّص عبر أسلوب التعريف بضمير الغيبة المنفصل (هو) المذكور (مرتين) إحداهما في قوله (عليه السلام): (ثُمّ **هو** أجلّ) فجيء بهذا

(١) يُنظر: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب : ١٤٣.
(٢) الاحتجاج: ٢/ ١٧٢.

الضمير للإيجاز ومنعاً لتكرار الاسم الظاهر لحالة فنيةٍ وبلاغيةٍ.[١] هي إخراجه من معناه المجرد إلى معانٍ مجازيةٍ هي التعميم والتفخيم والتعظيم والتنزيه[٢]، وبوجود قرينةً قوله: (أجلّ) أي بمعنى إنّ الله تعالى عظُم وتنزه[٣]عن مخلوقاته وصفاتهم التي خلقهم عليها فسبحانه وتعالى لا تدركه تلك الحواس من سمعٍ وبصرٍ وحدودٍ وإنما تُدرك مخلوقاته التي هي تحت تدبيره وتصرفه. أمّا العدول الثاني فقد تحقق بنفس الضمير(هو) في قوله (عليه السلام): (**فهو** غير محدود) عدل بهذا الضمير ؛لتنزيه الله تعالى عن التجسيم والتجسيد فهو لا تحده حدود ولا تصيبه زيادةٌ أو نقص، وليس له أجزاء، ولا يحيطه وَهَم، فهو سبحانه منزهٌ عن صفات مخلوقاته.

٢. التعريف بـ (الإشارة):

ومِنْ أمثلتهِ في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في مجلس المأمون في توحيد الله وصفاته، قال: "أمّا (الباطن) فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها، ولكن **ذلك** منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً، كقول القائل: بطنته بمعنى: (خبرته) وعلمت مكنون سره، والباطن منا الغاير في الشئ المستتر فيه، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى."[٤]

(١) يُنظر: شرح المفصل لابن يعيش: ٣٢٧/٢.
(٢) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني:١١/٢.
(٣) يُنظر: كتاب العين: ١٧/٦.
(٤) الاحتجاج: ٢/ ١٧٤.

تحقق العدول في هذا النّص باسم الإشارة (ذلك) ولم تكن هذه الإشارة لتُعرِّفِ السامعين بالمشار إليه بنفسه ؛لأنه معروفٌ ظاهرٌ بقدرته وبعظمة خلقه، ولكن ليعلم السامعين أنّه المقصود والمختلف عن سائر الأشياء التي نرها ونبصرها.[1] فعُدل بـ (ذلك) ؛لإخراجه عن الإشارة المجردة لمعانٍ حسيةٍ حاضرةٍ في ذهن السامع ؛لتمييزه بأكمل تمييز عن مخلوقاته[2] فاستبطانه للأشياء ليس الغور فيها كغور واستتار مخلوقاته، بل أنه خبيرٌ بها ومحيطها بعلمه وحفظه وتدبيره وحكمته، ويُلحظ أنّ (ذلك) في معانيها تدلُّ على الإشارة إلى البعيد، ولكنها جاءت في هذا النّص ؛لبيان أنّ الله تعالى عظيمٌ وقريبٌ على مخلوقاته محيطٌ بها.

٣. التعريف بـ (الموصولية):

ومِنْ أمثلتهِ احتجاجاته (عليه السلام) مع مع أبي قرة حين سأله عن اللسان الذي كلّم الله تعالى به موسى (عليه السلام) فقال له (عليه السلام): "سبحان الله عمّا تقول، ومعاذ الله أنْ يشبه خلقه، أو يتكلّم بمثل **ما** هم به متكلّمون، ولكنّه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، ولا كمثله قائل ولا فاعل"[3].

وقع العدول هنا بالاسم الموصول (ما) في قوله (عليه السلام): (أو يتكلّم بمثل **ما** هم به متكلّمون) والتي جاءت بمعنى (الذي) وأصل استعمال الاسم الموصول عند

(1) يُنظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٥٤٠/١
(2) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ١٨/٢.
(3) الاحتجاج: ٢/ ١٨٦.

البلاغيين هو الاتيان به لعدم علم وجهل المخاطب بأحوال المعرّف به[1]، فحصل العدول عن المعنى الأصلي إلى معانٍ جديدة خرجت عن مطابقة مقتضى الحال، كاسرة أفق توقع المخاطب، فجاءت للتنبيه على خطإٍ عظيمٍ قد أرتكبه، وزيادة في التقرير[2] لتنزيه الله تعالى عن كلّ شيء في هذا الوجود الذي هو مَنْ أحدثه وسواه وخلقه فليس كمثله شيء.

٤. التعريف بـ (لام التعريف):

ومِنْ أمثلتهِ في احتجاجاته (عليه السلام) في علامات الإمام أنّه قال:" للإمام علامات: يكون أعلم **ال**نّاس، وأحكم **ال**نّاس، وأتقى **ال**نّاس، وأشجع **ال**نّاس، وأسخى **ال**نّاس، وأعبد **ال**نّاس"[3].

عند التمعن في هذا النّص قراءةً أسلوبيةً نجده قد حُمّلَ بمعانٍ حقيقةٍ وأخرى مجازيةٍ متداخلةٍ ؛لتحقيق أعلى درجات الإقناع والتأثير في المتلقي، فيلُحظ وقوع عدولين أحدهما بالإضافة المتحققة بإضافة أفعل التفضيل في (أعلم) إلى كلمة (النّاس) في سياقٍ متصلٍ بهدفٍ موحدٍ هو تخصيص هذه الصفات وزيادتها في التكوين الجسدي والعقلي في كلّ إمامٍ نصبّه الله تعالى وفرده بها وميزه عن مختلف النّاس، ثُم أُلحِق بعدولٍ ثانٍ بـ (لام التعريف) والتي في أصلها تأتي للعهد أو للجنس

(1) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٢/ ١٤.
(2) يُنظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي:١/ ١٧١، ١٧٢.
(3) الاحتجاج: ٢/٢٣١.

ولكنها في موضعها هذا أُخرجت إلى معنى بلاغي مغاير هو القصر الحقيقي[1] لهذه الصفات كلّها في شخص الإمام دون غيره مِنْ الناس.

٥. التعريف بـ (الإضافة):

ومِنْ أمثلتهِ احتجاجته (عليه السلام) في مجلس المأمون حين بعث بنو هاشم إليه فأتاه فقال له بنو هاشم: "يا أبا الحسن إصعد المنبر وانصب لنا علما نعبد الله عليه، فصعد المنبر فقعد مليا لا يتكلم مطرقا ثم انتفض انتفاضة فاستوى قائما وحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على نبيه وأهل بيته، ثم قال:" **<u>أول عبادة الله معرفته</u>**، **<u>وأصل معرفة الله توحيده</u>**، ونظام توحيده نفي الصفات عنه." [2]

ظهر العدول في هذا النّص المتقدم بالتعريف بالإضافة في قوله (عليه السلام): (أول عبادة الله معرفته) و(أصل معرفة الله توحيده)،والإضافة في أصلها تأتي لتعريف المضاف ولكن يُعدل بها لمعانٍ فتأتي كأخصر طريق ؛لأحضار معنى عبادة الله في ذهن المخاطب[3] بأنْ يعرف الله ومعرفته به أساس عبادته له وأخصر طريق لإحضار معرفة الله في ذهن المخاطب هو حثه على توحيده بنفي صفات مخلوقاته عنه.

(1) يُنظر: دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني: ١/ ١٧٩.
(2) الاحتجاج: ٢/ ١٧٤.
(3) يُنظر: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي: ١٢١.

وبعد دراسة العدول على مستوى التعريف وجدنا أنّه قد شكّل ظاهرةً أسلوبيةً لايمكن إحصائها حيثُ توسمت بها جميع الأنسجة البنائية للنّصوص وقد تنوعت أدوات التعريف وكانت بنسبٍ متقاربةٍ في الإستعمال والحضور الدلالي.

ثانيا: أسلوب التنكير: لَمْ يكن للتنكير حضوراً في نصوص الإمام (عليه السلام) فلَمْ يُشكّل تلك الظاهرة الأسلوبية التي يمكننا الوقوف عليها ودراستها.

المطلب الثاني: أسلوب الالتفات:

يُعدُّ الالتفات من الظواهر الأسلوبية المهمة التي تقوم على أساس خرق الأنساق اللغوية التقليدية بالانزياح عنها للخروج من المعاني الضيقة إلى معانٍ جديدة أوسع فضاءً وأكثر تأثيراً ،فالالتفات عند العلماء: هو نقل الكلام من أسلوب لآخر لفائدة فيقول الزمخشري: الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد."[1]

وقيل: "أن الالتفات من أجلّ علوم البلاغة وهو أمير جنودها، والواسطة فى قلائدها وعقودها..... وهو العدول من أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهو العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة" [2]

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي: ٢١٢.
(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤيد العلوي: ٢/ ٧١.

وعند قراءة نصوص الإمام الرضا (عليه السلام) تبيّن أنّ أسلوب الالتفات قد شكلّ ظاهرةً أسلوبيةً واسعة الانتشار لايمكن إحصائها، فكادت تأتي في كلّ نص ومما يُلحظ أنّ الالتافت وقع في الضمائر على مختلف أنواعها لذلك ستكون محل دراستنا.

الالتفات بالضمائر: وفيه ستة أنواع:[1]

١-الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

٢-الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

٣- الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

٤-الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

٥-الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

٦-الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

ومِنْ أمثلتهِ في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع ابي الصلت الهروي في الجنة والنار فقال ابي الصلت: "يا بن رسول الله فأخبرني عن الجنة والنار: أهما اليوم مخلوقان؟" قال (عليه السلام): " نعم، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء"،قال: فقلت له: إنّ قوماً يقولون: أنّهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين؟ فقال (عليه السلام):" ما أولئك **منا** ولا **نحن منهم**، من أنكر

(1) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٢/ ٨٧- ٨٩.

خلق الجنة والنار فقد كذب النبي (صلى الله عليه وآله) **وكذبنا**، وليس من و**لايتنا** على شئ، ويخلد في نار جهنم. قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤** ﴾ [الرَّحْمَٰن : ٤٣ - ٤٤] "[1]

جاء أسلوب الالتفات في النّص مِنْ ضمير التكلم في قول الإمام (عليه السلام): (ما أولئك **منا** ولا **نحن**) في الضميرين (ناء المتكلمين ونحن ضمير العظمة) فعَدلَ إلى ضميرالغيبة (هم) في قوله (عليه السلام): (**منهم**) ردّاً على أبا الصلت في أمرِ من قال إنّ الجنة والنار غير مخلوقتين، فيُلحظ المتأمل في النّص تماسكاً نصياً ودلالياً أحدثته الضمائر فكان النّص يحمل دلالة التشديد والاستمرارية بالبراءة[2] مِنْ كلّ منكرٍ لخلق الجنة والنار حيث جاء النفي بـ (ما) واسم الإشارة (أولئك) لغاية الكلية والعموم، وهنالك عدول آخر من التكلم إلى الغيبة في قوله (عليه السلام): (**كذبنا**) و(**ولايتنا**) فكلّها ضمائر تكلم وقد سُبقت بتكرار النفي للتأكيد على البراءة من كلِّ قائلٍ لخطورة هذا القول وانحرافه، فمصير مَنْ قال بهذا القول أنه يُخلد في نار جهنم فنجد العدول إلى ضمير الغيبة المستتر(هو) في (يُخلد في النار)، أي يُخلد هو في النار لتخصيص نوع العقوبة ومدتها التي لا إنقطاع فيها.

([1]) الاحتجاج: ٢/ ١٩١.

([2]) يُنظر: التماسك النّصي في شعر أحمد مطر (قصيدة العشاء الأخير أنموذجاً)، د. تحسين،(بحث)، مجلة اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب- جامعة الكوفة، العدد: ٢٠، ٢٠١٤م :٣٥٧

وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال: "أفضل ما يقدّمه العالم من محبّينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقته، وذلّه ومسكنته، أن يغيث في الدّنيا مسكيناً من **محبينا** من يد ناصب عدوّ لله **ولرسوله**، فيقوم من قبره والملائكة صفوف، من شفير قبره إلى موضع محلّه من جنان الله، فيحملوه على أجنحتهم، ويقولون: طوبى لك طوباك طوباك يا دافع الكلاب عن الأبرار، ويا أيها المتعصب للأئمة الأخيار."[1]

جاء أسلوب الالتفات عند الإمام (عليه السلام) في النّص المتقدم في قوله: (محبينا) بضمير التكلم ثُمّ عدل (عليه السلام) إلى ضمير الغيبة في قوله: (عدوّ لله ورسوله) وفي هذا العدول سرٌ بلاغي فلم يقل (وعدوّنا) بل قال (ولرسوله) فأراد (عليه السلام) أنّ يقول نحن مِنْ ذلك الرسول وهو منّا نتبعّه ونقتدي به فعظّم أمره، فمَنْ عاداه فقد عادانا ومن عادانا فقد عادى الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله).

وفي قوله (عليه السلام) لابن الجهم في غدر المأمون له:" يا ابن الجهم **لا يغرّنّك ما سمعته** منه فإنّه سيغتالني، والله ينتقم لي منه.[2]

جاء أسلوب الالتفات عند الإمام (عليه السلام) في النّص المتقدم في قوله: (لا يغرّنّك) بأسلوب الخطاب المباشر ثم عدل(عليه السلام) إلى أسلوب الغيبة بقوله: (ما سمعته) ؛لغايةٍ بلاغية هي التنبيه والنصح والإرشاد بأنّ لا يغتر بحُسن معاملة

(1) الاحتجاج: ٢/ ٢٣٥.
(2) بحار الأنوار: ٤٩/ ١٨٠.

المأمون له، وثمة هنالك دلائل أسلوبية في غاية الدقة تكشف عن نوايا المأمون وغدره للإمام (عليه السلام) حين عدل الإمام إلى ضمير التكلم بقوله (سيغتالني) فحرف السين للمستقبل القريب أي سيقتلني قريباً فاستعمل الإمام (عليه السلام) أسلوب تقني يسمى (الاستباق الزمني) [1] للأحداث وهو الحديث والتنبأ في أمر قبل وقوعه، وهذا لا يحصل إلاّ للأولياء والأنبياء، وهو إلهاهم بأمر الله تعالى، وقد أكد مقتله على يد المأمون غدراً ووقع هذا الأمر وأستشهد مسموماً (عليه السلام).

روي عن الحسين بن خالد عن الإمام الرضا (عليه السلام) ما قاله في التشبيه والجبر: "من قال بالتشبيه والجبر **فهو** كافر مشرك، ونحن براء منه في الدّنيا والآخرة، يا بن خالد إنّما وضع الأخبار عنّا في التشبيه والجبر (الغلاة) الّذين صغّروا عظمة الله، فمن **أحبّهم** فقد **أبغضنا**، ومن **أبغضهم** فقد **أحبّنا**، ومن **والاهم** فقد **عادانا**، ومن **عاداهم** فقد **والانا**، ومن **وصلهم** فقد **قطعنا**، ومن **قطعهم** فقد **وصلنا**"[2]

حدث التحول الانزياحي في النّص المتقدم من ضمير الغيبة (هو) العائد على القائل بالتشبيه ؛لتخصيص الكفر والشرك فيه فعُدِل إلى ضمير التكلم (نحن)؛ لسر بلاغي خارجٌ عن مقتضى الحال للتخويف والتذكير [3] بشدة عقوبةِ هذا الفعل، وهي

---

(1) يُنظر: نظرية السرد من وجهة النَّظر إلى التبئير، جيرار جنيت، تر: ناجي مصطفى، دار الخطابي- الدار البيضاء- المغرب، ط١، ١٩٨٩م: ١٢٢.

(2) الاحتجاج: ٢/ ١٩٩.

(3) يُنظر: بلاغة أسلوب الالتفات في الخطاب القرآني (دراسة في المفهوم والوظيفة)، د. زينب دوادي، أ. يحيى بن مخلوف،(بحث)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الحاج لخضر- باتنة- الجزائر، العدد: ٧، ٢٠١١م: ٣٥.

برائتنا منه في الدنيا والآخرة، وقد حصل في النّص عدولاً آخراً وبأسلوب بلاغي شديد التأثير الحسي في المتلقي حتى يُشعره أنه يعيش الحدث وكأنه حقيقةً ماثلة أمامه، وهذا الأسلوب هو التقابلات الضدية، حيث يُلحظ أنه عدل (عليه السلام) من الغيبة (هم) في أوقواله (أحبهم و أبغضهم ووالاهم و عاداهم و وصلهم وقطعهم) إلى ضمير التكلم الـ (نا) في أقواله: (أبغضنا و أحبنا وعادانا ووالانا و قطعنا ووصلنا) وفي هذا العدول سرٌ بلاغي هو التشديد على التخصيص والإختيار بين أمرين أظهرته التقابلات الضدية فخلقت صوراً ذهنية ونفسية متعاكسة[1] ؛ليُميز السامع بين حقها وباطلها ويتخذ أحد الأمرين سبيلاً.

ومِنْ احتجاجاته (عليه السلام) مع الزنادقة في التوحيد فقال له أحدهم في معرفة الله: "فإذن إنه لا شئ، إذ لم يدرك بحاسة من الحواس. فقال أبو الحسن (عليه السلام): "**ويلك!** لمّا عجزت **حواسّك** عن إدراكه أنكرت ربوبيّته ونحن إذا عجزت حواسّنا عن إدراكه أيقّنا أنّه ربّنا، وأنّه شئ بخلاف الأشياء."[2]

جاء أسلوب الالتفات عند الإمام (عليه السلام) بقوله: (ويلك) و(حواسك) فالكاف لخطاب الحاضر، وفيه تهديد وتنبيه لخطإٍ لا سماح فيه هو إنكار الله تعالى، ثُم عدل (عليه السلام) إلى الغيبة بقوله: (أنكرت ربوبيته) فـ (الهاء) عائدة على ربِّ العزة

(1) يُنظر: الطباق في الصحيفة السجادية، جعفر علي عاشور، م.م هدى حسين،(بحث)، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد: ١٢، ٢٠١٢م: ٢٦٨.
(2) الاحتجاج: ٢/ ١٧١.

لبيان أنّ الربوبية له فقط لا لغيره، وهذا سرّ العدول إلى الغيبة فهو موجودٌ وإنْ لَمْ تدركه أبصارنا أو الأسماع، ثُم عدل (عليه السلام) إلى ضمير التكلم (نحن) والضمير في قوله: (حواسّنا) وفي (أيقّنا) فهذا العدول فيه سر بلاغي هو التعظيم والتشديد في الاعتقاد وإنكار وتكذيب لمن لا يعتقد بوجوده[1]، فهو موجود وأنْ لم ندركه وهذا سر إيماننا به تعالى.

([1]) يُنظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير (ت:٦٣٧هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- بيروت، د.ط، ١٤٢٠هـ:٦/٢.

الفصل الثالث

المستوى الدلالي: مدخلٌ نظريّ.

المبحث الأول: التَّكثيف الإيحائي.

المبحث الثاني: المرجعيات الدينية.

المبحث الثالث: أسلوبية الحوار.

الفصل الثالث

المستوى الدلالي مدخلٌ نظريّ

يُعَدُّ المستوى الدلالي الركيزة الأساسية التي تتكأ عليها الدراسات الأسلوبية، وهو يُمَثل الإنزياح اللغوي الذي يسلكه المتكلم (الباث) أو الكاتب في أثناء كلامهِ، فَيُفضي إلى خلقِ حالةٍ مِنْ التحفيز الفكريّ عند المتلقي ؛لإخراجه عن دائرة الكلام الرتيب. وكسر حاجز الصمت العقلي لديه، فضلاً عن مساهمته في إنشاء عنصر المفاجئة في أذهانهم؛ لتكوين علاقة تواصلية بين طرفي الكلام غايتها التأثير.

ونحن إذ نتوقف عند المستوى الدلالي فإننا لا نُريد الخوض في الدراسات الدلالية بقدر ما نريد أن نبيَّن العلاقة التي تربطها بالأسلوبية بوصفها دراسات أدبية نقدية والتي أحد مضامينها أنَّها تهدف إلى بيان أثر الدلالة في توجيه المعنى الوجهة التي يراها المتكلم ذات أثر في أحداث ردات فعلٍ عند سامعيه، فالدلالة هي النواة المحورية التي تتطلق مِنْها الأسلوبية في دراسة الأسيقة اللغوية في مستوياتها المختلفة، وسنتعرّض بشكل بسيط لمفهوم الدلالة ؛فهي مشتقة مِنْ كلمةِ (دال) التي

تعني كلمة (معنى) في أصلها، فلكلِّ دلالة قيمة معنوية كالحركة أو الصوت أو أي إشارة نستحدمها في نقل رسالةٍ أو تواصل مع الآخرين وصولًا للإفهام[١].

ويرى الدكتور محمود السعران أنَّ علم الدلالة هو غاية الدراسات الصوتية والتركيبية والمعجمية فهو علم يدرس المعنى على مستوى الصوت المفرد أو الكلمة المفردة أو التركيب السياقيّ.[٢]، وأشار الدكتور أحمد مختار عمر إلى أنَّ هنالك معاني ذات دلالات معجمية وأخرى معاني ذات دلالات أسلوبية اجتماعية وهي ما يستعلمه المتكلم مِنْ كلمات مناسبة للظروف الاجتماعية والجغرافية، ونوع العلاقة بين المتكلم والسامع ونوع اللغة ودرجتها [٣]، ومِنْ هنا نستنتج أنَّ العلاقة بين الدلالة والأسلوبية كالعلاقة بين العلّة والمعلول الذي يكشف عن أسباب علّته، كما تكشف الأسلوبية عن الدلالات اللغوية التي يقصدها المتكلم.

(١) يُنظر: علم الدلالة، بييرجيرو، تر: د. منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق- أوتوستراد المزة، ط١، ١٩٨٨م: ١٦.
(٢) يُنظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، دار الفكر العربي- القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م:٢١٣.
(٣) يُنظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، ط١، ١٩٨٥م: ٣٦،٣٧. ويُنظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر- الاسكندرية، د.ط، ١٩٩٨م: ١٠٣.

المبحث الأول

التكثيف الإيحائي

يُعدُّ التكثيف الإيحائي الأداة المعيارية التي تكشف عن مدى قيمة الإبداع لدى منشئ النّص الخطابي أو الأدبي، وقدرته على انتقاء اللفظ ونظمه وتغيير تركيبه وتحريكه في سياقاتٍ إبداعية تعبّر عن عبقريته في رسم صورةٍ جديدةٍ، يُخرج بها ماهو مألوف مبتذل إلى حيز التفنن والإبداع، بروحٍ ورؤيةٍ جديدةٍ مبتدعة تُلقي بسحر جمالها وعبق مقاصدها في أذهان متلقيها، فتحركُ فيهم مكامن انبهارهم وتُظهِر شدة تأثرهم، والتكثيف الإيحائي مصطلحٌ قديمٌ حديث، اهتمت به الدراسات البلاغية العربية قديماً، أمّا في العصر الحديث فقد اهتمت به الدراسات اللسانية والأسلوبية حيثُ رأت فيه قيمتها وكيانها.

والتكثيف لغةً: يرجع للجذر الثلاثي (كَثَفَ) فيعرّفه الخليل:" كَثُفَ كَثافةً، أي: كثر والتف، والكثيف: اسم يوصف به كثرة العسكر والسحاب والماء، وقد استكثف الشيء، أي: اشتد. وكذلك في الأمور."[1]، ومِنْه ما نقله ابن منظور فقال: "والكَثِيفُ والكُثاف

(1) كتاب العين: ٣٥١/٥. ويُنظر: جمهرة اللغة، ابن دريد:١/ ٤٢٩.

الْكَثِيرُ، وَهُوَ أَيضاً الْكَثِيرُ المُتراكِبُ المُلْتَفُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، كَثُفَ كَثَافَة وتَكَاثَفَ. وكَثَّفَه: كثَّره وغلَّظه"[1].

أمّا التكثيف اصطلاحاً: لَمْ يُعرف عند البلاغيين العرب القدماء بهذه التسمية بل تناولوه تحت مسمياتٍ مختلفة إذ سماه الجاحظ بـ (الإيجاز) وهو أنْ يأتي المتكلم بألفاظ قليلة يجمع فيها معانٍ كثيرة. [2]، ويسميه ابن رشيق القرواني (ت: ٤٦٣هـ) (الإتساع) ومعناه أنْ يأتي المتكلم بتركيب واحد بمعانٍ متعددة التأويل.[3] وأمّا عبد القاهر الجرجاني فقد أطلق عليه أسماء عدة وهي (التعريض والكناية والرمز والإشارة).[4]

واختلف المحدثون في تسميته إذ أطلق عليه عبد الرحمن الميداني لفظ (الكثافة) ويرى أنَّ الكثافة في بناء الكلام تكون في مستويات متفاوتة فيقول: "فمِنَ الكلام ما هو شديد الكثافة، وقد تشتدّ فيه حتّى يكون بمثابة قطعة مِنْ الصخر، لا تُعرف عناصرها حتّى تُكسر وتُطحن، وتُفرَّق الأجزاء عن بعضها، وتحلّل بوسائط. وبعض متون العلم المكثّفة المختصرة هي مِنْ هذا القبيل، وقلّما يسلم التكثيف الشديد في الكلام مِنْ الإخلال في الدلالة على المراد." [5]، ومِنْهم مَنْ درسه تحت مسمى

---

(1) لسان العرب: ٢٩٦/٩.
(2) يُنظر: كتاب الحيوان: ٣/ ٤١، ٤٢.
(3) يُنظر: كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن ابن رشيق القرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م: ٩٣/٢.
(4) يُنظر: دلائل الإعجاز:
(5) البلاغة العربية:٣٤/١، ٣٥.

(الإيماء والإشارة والرمز) وهي أنْ يأتي المتكلم بتركيب يحتمل التأويل بين المعنى الحرفي والمعنى المراد[١].

وقد ذكر الدكتور عبد السلام المسدي التكثيف ناقلاً المعنى المعجمي دون الإشارة إلى التعريف الاصطلاحي. [٢]

وقد عرّفت بعض الدراسات الحديثة (التكثيف الإيحائي) بأنَّه: تحميل الكلام مداليل عميقة متجاوزةً للحدود اللفظية إلى إشتغال دلائلي تحفيزي متتابع ؛لإيقاظ الشعور مِنْ الخمول والركود [٣].

ولو عدنا إلى الشق الثاني مِنْ العنوان وهو لفظة (الإيحاء) لوجدنا بينها وبين لفظة التكثيف اتساقاً وانسجاماً وتقارباً على مستوى حيز الدلالات المشتركة، فكلاهما يميلان إلى الشيء الخفي الذي يحتاج إلى كدِّ ذهن المتلقي للوصول إلى المعاني الخفيةِ، ومعنى الإيحاء لغةً: "وَحَي يَحِي وَحْياً، أي كَتَبَ يكتُبُ كَتْباً،... ومِنْه أوحى، وزكريا أوحى إلى قومه، أي: أشار إليهم، والإيحاء الإشارة."[٤]

---

(١) يُنظر: علوم البلاغة، د. محمد أحمد قاسم: ٢٥٠.
(٢) الأسلوبية والأسلوب: ١٩٢.
(٣) يُنظر: نزار قباني، دراسة جمالية في البنية والدلالة، د. عصام شرتح، دار الخليج- عمان- الأردن، ط١، ٢٠١٨م: ٣٢.
(٤) كتاب العين: ٣/ ٣٢٠.

وأمّا في المصطلح البلاغي: فهو لازمةٌ مِنْ لوازم الإيجاز ويعني به الميل إلى "الرمز والإشارة واللمحة دون التصريح و التفسير."[١]، فتكاد كلّ المعاني تصبُ في رافدٍ واحدٍ وهو الإشارة.

وقد شكّل التكثيف الإيحائي في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) ظاهرةً تستدعي أن نتتبعها ونتوقف على مضامينها ؛لمعرفة الدلالات المتأتية في ديباجاتها لذلك ستكون دراستي في ثلاثة مستويات إيحائية هي (الإيحاء التشبيهي، والكنائي، والمجازي).

المطلب الأول: الإيحاء التشبيهي (التمثيلي):

يُعد التشبيه مِنْ أهم العناصر الصورية التي يتكأ عليها علم البيان، وقد كان يُشكّل ركناً رئيسياً اتكأت عليه الصورة الشعرية والنثرية العربية، إذ يرى المبرد أنَّ أكثر كلامهم جارٍ على التشبيه ولَمْ يبتعد عنه.[٢]، وقد حُدَّ التشبيه: فهو أنْ تتشابه الأشياء في عددٍ مِنْ الوجوه وتختلف في وجوهٍ أُخرى دون مطابقةٍ كليةٍ فإذا شبه وجه الإنسان بالشمس والقمر فإنما يُراد به الضياء والرونق ولايُراد العِظَم والإحراق فيكون التشبيه معنوياً لا مادياً.[٣]

(١) الأسلوب، أحمد الشايب: ٧١.
(٢) يُنظر: الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد أبو العباس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالفكر العربي- القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م: ٧٠/٣.
(٣) يُنظر: المصدر نفسه:٤١/٣.

ويرى قدامة بن جعفر أنَّ أحسن التشبيه ما تطابقت به الصفات أكثر مما أختلفت فيه. [١]

ويرى ضياء الدين ابن الأثير (ت:٦٣٧هـ) أنَّ التشبيه يسمى التمثيل ولافرق بينهما في أصل وضعهما، فإذا شبهت شيأً بشيءٍ قد مثلته به.[٢]

وللتشبيه أركاناً يبنى عليها هي:[٣]

١- المشبه. ٢- المشبه به. ويسميان (طرفي التشبيه). ٣- أداة التشبه، وهي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة. ٤- وجه الشبه، وهو الصفة أو الصفات التي تجمع بين الطرفين.

وقد ورد التشبيه الإيحائي في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في المواضع التي تحتاجه مثل إظاهر صفات النبوة والإمامة.

ومِن أمثلته ما حاجج به الإمام الرضا (عليه السلام) خصومه ومحاججيه في الإمامة و صفات الائمة التي أودعها الله فيهم، فهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وقد خصهم بها دون غيرهم مِنْ خلقه، فاستدل بها الإمام الرضا (عليه السلام) لَمْ يكُ مِنْ مجيب.

---

(١) يُنظر: نقد الشعر:٣٧.
(٢) يُنظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير: ٣٧٣/١.
(٣) علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية- بيروت- لبنان، د.ط، ١٤٠٥هـ: ٦٤/١.

قال الإمام الرضا (عليه السلام) إنّ الإمام: " **الإمام البدر المنير**، و**السراج الزاهر**، **والنور الساطع**، **والنجم الهادي في غياهب** الدجى **والبيداء القفار** و**لجج البحار**."[١]

تُفصح الصور التشبهية بواسطة القرائن الكلامية في سياق الوصف المركب بالعطف بحرف (الواو) للإمام (عليه السلام) عن حالةْ التأكيد على المعنى وزيادة في وضوحه، وإحضاره في ذهن السامع وتصويره في مخيلته.[٢] فنجده (عليه السلام) قد شبه الإمام مِنْهم بتشبيهاتٍ متنوعةٍ تكررت ست مراتٍ توكيداً للمعاني ؛لتأخذ بعقول السامعين إلى فضاء الحقيقة التي شُوهِت عمداً وظلماً، فشبه الإمام بـ (البدر المنير) وقد أوجز (عليه السلام) بحذفه أداة التشبيه، ووجه الشبه هو الصفة المشتركة بين الإمام والبدر بمعنى (الإمام كالبدر المنير في ضياءه) وهذا مايسمى بالتشبيه البيلغ الذي يخرج فيه المعنى مَنْ الأغمض إلى الأظهر وهو في غاية حُسن التأليف والتصوير.[٣]، فتشبيه الإمام بالبدر وهو مرحلة إكتمال القمر وتمامهِ يدلُ على شدة الجمال الخَلقي والجسمي الذي أعطاه الله تعالى لمِنْ اصطفاه مِنْ خلقه فميّزه عن عامة الناس.

والتشبيه الآخر للرضا (عليه السلام) قوله: و(السراج الزاهر)، فحذفت أداة التشبيه الـ (كاف) ووجه الشبه فكان التشبيه بمعنى (الإمام كالسراج الزهار بشدة ضوئه)،

(١) الاحتجاج: ٢٢٧/٢.
(٢) يُنظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٢٤٣.
(٣) يُنظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني: ٨١.

ويُلحظ انتقاء اللفظ بدقةٍ متناهيةٍ لتقريب المعنى في أدق صوره فقال: (السراج) بمعنى (المصباح) وجعل قرينته قوله: (الزاهر) يستدل بها ولْمْ يقل المضيء لسببٍ بلاغيٍ هو أن الزاهر ما يُزهِر ضوءه في الليل[١]، فلشدة جمالهِ ووضوح صفاتهِ فهو كالمصباح في الظلمة الشديدة ليميّزه عن خلقهِ وهو فيهم.

وشبه الإمام بشبهٍ آخر في قوله: (والنور الساطع) بمعنى أنَّ (الأمام كالنور الساطع في انتشاره) وحذفت أداة التشبيه ووجه الشبه، فجيء بالتشبيه في هذا النّص لبيان مقدار وحال المشبه ورفعته، فكلما كان المشبه قريبٌ إلى المشبه به كان أقربُ إلى الكمال والقبول[٢]،واستدل بقرينةِ (الساطع) ؛لعقد المعنى في ذهن السامع، وتمكينه فالسطوع شدة وسرعة الانتشار في الأفق[٣] فتجلى ذلك التشبيه باخراج الصورة حسياً فكان طرفاه حسيان فمظاهر الإمامة مُشاهدَةً محسوسةً وسطوع النور وانتشاره مُشاهداً مرئياً.[٤]

وثمّة تشبيهٌ بليغٌ آخر في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) عند وصفه لمتقلد الإمامةِ بأنّه مثل (النجم الهادي في غياهب الدجى والبيداء القفار ولجج البحار) فأخرج المعنى مِنْ ما لَمْ تجر به العادة إلى ما جرت به العادة[٥] واستدلّ (عليه السلام)

---

(١) يُنظر: كتاب العين: ٦/ ٥٣.
(٢) يُنظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ١/ ٢٤١.
(٣) يُنظر: كتاب العين: ١/ ٣٢٠.
(٤) يُنظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، تح: د. نصر الله حاجي مفتي اوغلى، دار صادر- بيروت، ط١، ٢٠٠٤م: ١٠٣، ١٠٤.
(٥) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٢٤١.

بصورة النجم في السماء، الظاهرةُ للعين المستجلبة للنظر المرشدة والهادية للإنسان ليلاً، فهذا تعبيرٌ في غايةِ الجمال والإناقة اللفظية التي تبيّن لنا أنَّ الإمام هو مِنْ اهتدى به الناس مِنْ التيه والظلال كمَنْ اهتدى مِنْهم بمواضع النجوم في الليل شديد الظلام[١] وفي الصحارى الواسعة العِظام[٢] وفي البحار العريضة والعميقة المتلاطمة الأمواج التي لا تُرى أطرافها[٣]، فكلّها معانٍ مجازيةٍ بيّنت مقام الإمام عند الله بين خلقه فهو الهادي إليهم مِنْ كلِّ ظلال ليكون وجه الشبه بين الإمام والنجم هو الهداية.

ومِنْ أمثلته أيضاً: قول الإمام الرضا (عليه السلام) في وصف الإمام: "الإمام**السحاب الماطر**، **والغيث الهاطل**، **والشمس المضيئة**، **والأرض البسيطة والعين الغزيرة**، **والغدير والروضة**."[٤]

يَظهر التشبيه في هذا النّص بقوةٍ في إيقاع التناسب المعنوي بين المشبه والمشبه به[٥]، ولكن ببعد الممامثلة بينهما، فكلما زاد بعدها زادت جمالية الصورة التمثيلية، فذلك يجعلُ السامع والمتلقي يتدبّران المعاني ؛للوصول إلى المماثلة والتشابه بينهما، وإذا حللنا هذه الأمثلة التشبيهة سنجدها كلّها تقع في أُطر التشبيه

(١) يُنظر: لسان العرب:١/ ٦٥٣.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه :٥/ ١١٠.
(٣) يُنظر: لسان العرب:٢/ ٣٥٤.
(٤) الاحتجاج: ٢٢٨/٢.
(٥) يُنظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني: ١٧٨.

البليغ الذي يجعل نفس السامع تذهب معه في كلِّ مذهبٍ حتّى تمتثلُ في وحيه شتّى الصور [1]. وقد وقعت صور التشبية في قوله: (السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة ،والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير، والروضة) وكلّ هذه المواقع حسيةً، وهي مما تُبصَر وتُرى في العين، ثُمّ أُلبست هذه التشبيهات معانٍ عقليةٍ اتصف بها المشبه به وهو متقلد الإمامة، فهو كالسحاب والغيث الذي يمنح الحياة والنماء للأرض وفي هذا دلالةٍ على ما يحمله الإمام مِنْ خيرٍ للبشرية بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴿١٦٤﴾﴾ [البَقَرَةِ : ١٦٤]، وهو في علمهِ كالشمس المضيئة وفي عدلهِ وحكمهِ كالأرض المنبسطة، وفي كرمهِ وشجاعتهِ كعين الماء الغزيرة، وفي عطفهِ ومحبتهِ كماء الغدير الذي يُلهفُ عطشاناً مِنْ قيظِ حَيرتهِ، وكالروضةِ أي الأرض الجميلة ذات الخُضرةِ والماء التي تهواها وتطمئن إليها النفوس[2]، تدلُّ هذه التشبيهات على أنَّ الإمام هو مصدر الخير كله، ولا يمكن أنّ تخلو ألارض في كلِّ زمانٍ مِنْ حجةٍ وإمام.

ومِنْ احتجاجاته (عليه السلام) مع سليمان المروزي، نقل ابن شهر آشوب قال:"ومما أجاب (عليه السلام) بحضرة المأمون لصباح بن نصر الهندي وعمران الصابي عن مسائلهما قال عمران: العين نور مركبة أم الروح تبصر الأشياء مِنْ منظرها فقال له الإمام (عليه السلام) : "العين شحمةٌ وهو البياض والسّواد، والنّظر للروحِ، دليله أنّك

(1) يُنظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق: ١/ ١٠٥.
(2) يُنظر: لسان العرب: ٧/ ١٦٢.

تنظر فيه فترى صورتِك في وسطه، والإنسان لا يرى صورته إلاّ في ماءٍ أو مرآة وما أشبه ذلك، قال صباح: فإذا عميت العين كيف صارت الروح قائمة والنّظر ذاهب؟ قال (عليه السلام) **كالشمس طالعة يغشاها الظلام.**" [1]

نجد عند التمعن في النّص أنّه نصٌ وصفيٌ علمي، توقف فيه الإمام على حقيقة البصيرة عند الإنسان وكان مكمن احتجاج السائل هو العلاقة بين ذهاب نظر العين في العمى وبقاء الروح فأجابه الإمام الرضا (عليه السلام) إجابةً بأسلوبٍ على قدرِ استيعابه فلَمْ يأتِ بما هو ليس بمدركٍ له بل جاء (عليه السلام) بتشبيهٍ ذُكرت فيه أداة التشبيه الـ (كاف) ولَمْ يُذكر وجه الشبه في قوله: (كالشمس طالعة يغشاها الظلام) فيسمى بالتشبيه المرسل المجمل ذي البلاغة المتوسطة[2] فهذه الصورة المرسلة تُعدَ مِنْ التقنيات الأسلوبية بما يتناسب مع القدرة العقلية للمتلقي وسياق الحال في نطاق أنّ "لكلِّ مقامٍ مقال."[3] فشبه له قيام الروح في الجسد بعد أنْ تعمى العين بالشمس وقت طلوعها حيث تستر ظلام الليل وتغطيه بضيائها.

المطلب الثاني: الإيحاء الكنائي (التّعريض):

تُعدُّ الفنون البيانية مِنْ أهم فنون البلاغة التي يستقي مِنْها البلغاء والمتكلمين صور نتاجاتهم الأدبية والخطابية المؤثرة، ومِنْ تلك الصور البلاغية ذات الجمال

(1) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ١٠٣/٢.
(2) يُنظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة: ٢/ ١٧٣.
(3) يُنظر: كتاب الحيوان، الجاحظ: ٣/ ١٩.

الآخاذ التي تترك أثرها في نفس السامع هي الصور الكنائية، وقد سُمي هذا الفن بمسمياتٍ عدة والمشهورة مِنْها هي مصطلح الكناية والتّعريض.

فحدُّ الكناية: يسمي أبو هلال العسكري يسمي هذا الفن بالكناية والتعريض ويُعرّفه بأنَّه: "هو أنْ يكنى عن الشيء ويعرّض به ولا يصرح، على حسب ما عملوا باللّحن والتّورية عن الشيء."[1] وهو أنْ يأتي المتكلم بلفظٍ لايُريد المعنى الذي وضِع له بل يَقصد به معنى آخر رديفاً له.

ويعرّفها عبد القاهر الجرجاني فيقول: "أن يُريد المتكلمُ إثباتَ معنًى مِنْ المَعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ ورِدْفه في الوجود، فيومئ به إليهِ، ويجعلهُ دليلاً عليه، مثال ذلك قولُهم: "هو طَويلُ النَّجاد"، يريدونَ طويلَ القامة، "وكثيرُ رمادِ القِدْر" يَعْنون كثيرَ القِري*، وفي المرأة: "نَؤومُ الضُّحى"، والمرادُ أنها مُتْرفةٌ مخَدْومة، لها مَنْ يَكفيها أمْرَها."[2]

وقد ورد هذا الفن بمواضعٍ متعددة مِنْ احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) ؛ولإغراض بلاغية حجاجية فِي معرِض النفي والإثابت.

([1]) كتاب الصناعتين: ٣٦٨.

(*) القري من المقاري وهي القدور أو قصعة الطبخ دلالة على الكرم فهو كثير الضيوف أي مضياف)، يُنظر: لسان العرب: ١٥/ ١٧٩.

([2]) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٦٦/١.

ومِنْ شواهده ما ورد في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في صفات الإمام المتقلد للإمامة فقال: "**الإمام كالشمس الطالعة للعالم وهي في الأفق، بحيث لا تناله الأيدي والأبصار.**"[1]

إنّ مِنْ مظاهر الدراسات الأسلوبية ومحاسنها اهتمامها بكافة أركان العملية الخطابية ومتعلقاتها غير اللغوية كالنفسية والاجتماعية وغيرها، لذلك نجدها تسير باتجاهين أحدهما لغوي يبحثُ بزوايا العملية الكلامية مِنْ المرسِل والرسالة والمرسَل إليه، فتصف الرسالة بأنها عملية فيزيقية تربط نفسياً بين المرسِل والمرسَل إليه[2]، والاتجاه الآخر الذي تبحث فيه الأسلوبية هومدى التأثير والتأثر النفسي والحالي الذي تنتجه الرسالة بين المرسِل والمرسَل إليه.

وعند تحليل النّص المتقدم للإمام الرضا (عليه السلام) أسلوبياً نجده يميلُ إلى خلق حالة مِنْ التأثير اللغوي والنفسي في سامعيه باستعماله صوراً فنيةً مِنْ وحي الطبيعة الجامدة الماثلة أمام ذهن كلّ سامعٍ، فيجسد تلك الصور لمعانٍ تسدعي التأمل والتدبّر فيها، فنجده يستعمل صورة الشّمس التي هي مِنْ أبرز عناصر الطبيعة التي تجسد معاني "الرفعة والعلو والهمة والمجد والعظمة والألمعية..... فهي أشد الكواكب

(1) الاحتجاج: ٢/ ٢٢٧.
(2) يُنظر: قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، تر: محمد الولي/ مبارك حنون، دار توبقال- الدار البيضاء- المغرب، ط١، ١٩٨٨. ٢٧

توهجاً وضياءً."[1] إذ مزج (عليه السلام) وبطريقةٍ فنيةٍ بين فنين التشبيه في قوله: (الإمام كالشمس الطالعة للعالم وهي في الأفق) فشبه متقلد الإمامة بالشمس المشرقة اللامعة المتلألئة التي تملأ الأرض في ضيائها وهي بعيدةٌ في السّماءِ[2]، وجعلها مقدمةً لصورةٍ أخفى مِنْها وهي محلُ شاهدنا في قولهِ: (عليه السلام)(لا تناله الأيدي والأبصار) فجاء بصورة الكناية (لا تناله الأيدي) المعنى الظاهر هو أنَّ مِنْ المستحيل أنْ يصل أحدٌ بيده إلى الشمس ويتناولها لعلوها وبعدها فأُريد بهذا المعنى معنى خفي هو علو الإمام ورفعته فكما الأيدي لاتستطيع أنْ تصل إلى الشّمس كذلك لايستطيع أحدٌ منكم الوصول إلى مرتبة الإمام وعلو شأنه عند الله وعباده الصالحين، وثمّة صورةٌ كنائيةٌ أُخرى في قوله: (لا تناله..... والأبصار)، فكيف تنال الأبصار الشمس؟ أي لا تستطيع الأعين الباصرة مِنْ النّظر في الشمس لشدة ضيائها، فعدل بهذا المعنى تكنيةً على شدة تقوى الإمام وقربه مِنْ الله حيث لايستطيع أدراكه مِنْ لابصيرة له.

ومِنْ احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في التوحيد قوله: "وأمّا القائم فليس على معنى انتصاب **وقيام على ساقٍ في كبد** كما قامت الأشياء، ولكن أخبر انه قائم يخبر انّه (حافظ) كقولك: فلان القائم بأمرنا فلان وهو عزّ وجلّ القائم على كل

(1) مصادر الصورة الفنية ووظيفتها وآلياتها في المراثي الجزائرية القديمة، أ.بو علاوي محمد،(بحث)، جامعة المسلية- الجزائر، مجلة الباحث، العدد:٨، ٢٠١١م: ١٦٣، ١٦٤.
(2) يُنظر:كتاب العين: ١٢/٢.

نفس بما كسبت، والقائم أيضاً في كلام الناس (الباقي) والقائم أيضاً (الكافي) كقولك للرّجل: قم بأمر فلان كذا أي أكفه، والقائم منّا قائم على ساق، فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى."[1]

الكانية علاقةٌ تأويليةٌ موجهةٌ تستلزم وعياً لغوياً وثقافياً، فهي متعلقة بمدى إدراك المعاني، وهي ليس أبلغ مِنْ التصريح بزيادة المعنى بذاته، بل هي زيادة في إثباته إذ تجعله أبلغ وأشد وأوكد.[2] ويتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا النّص عن صفة قيام الله تعالى فهي ليست كقيام خلقهِ، وسلك (عليه السلام) في تمييزها أسلوب الكناية، لإستثارة ملكات السامعين العقلية وتحريكها وتوكيد معنى الإختلاف بين الخالق والمخلوق في أنفسهم فقال: (وقيام على ساقٍ في كبد) كناية عن الإنسان فلَمْ يُصرح به وإنما ترك التأويل للمتلقي، أي قيام الله تعالى ليس كقيامكم وهو وقوفكم بتلك الأقدام العاجزة وذلك القلب الصغير بل قيامه هو الاستغناء عن مخلوقاته فهو سبحانه قائمٌ بنفسه وهو القيّوم، إذ قامت به واستعانت مخلوقات فأوجدها وقدّرها تقديراً.

ومِنْ شواهد الكناية في احتجاجاته (عليه السلام) مع أبي قرة المحدّث في كلام الله تعالى فقال الإمام (عليه السلام) :" كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق.

([1]) الاحتجاج: ١٧٣/٢.
([2]) يُنظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني:٧١/١.

ولا يُلفظ بشق فمٍ ولسان، ولكن يقول له: (كن) فكان بمشيته، ما خاطب به موسى (عليه السلام) مِنَ الأمر والنهي مِنْ غير تردد في نفس."[1]

منحت الصورة الكنائية نصَّ الإمام (عليه السلام) في قوله: (ولا يُلفظ بشق فمٍ ولسان) النّص فاعليةٌ؛ لما تركته مِنْ وقعٍ نفسي في المتلقي، فنفى ودحض (عليه السلام) مفهوماً منحرفاً عن الصواب وهو أنَّ كلام الله تعالى ليس بكلامٍ بشري كما يتكلمون مع بعضهم البعض، فالكلام مِنْ مقومات الأنسان فجاءت الكناية (بشق فمٍ ولسان) تعبيراً عن الإنسان لتنزيه الله تعالى مِنْ التجسيم والتجسيد.

ومِنْ احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع عمران الصابئي في التوحيد قال:" أُخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه، فإنّه مِنْ أغمض ما يرد على المخلوقين في مسائلهم، وليس يفهمه، **المتقارب عقله**، **العازب حلمه**، ولا يعجز عن فهمه أولو العقل المنصفون."[2]

تتجسد الصورة الكنائية في قوله (عليه السلام): (المتقارب عقله، العازب حلمه) إذ حملت معاني دلالية، فلَمْ يشرْ بصراحة إلى صفات بعض الناس وإنما جاء وصفه على وجه الإشارة والإيماء وبأسلوب خطابي عام دون تخصيص ليترك تأويل الأمر سارياً في ذهن كلّ سامع، والمعنى لا يفهم الله (المتقارب عقله) كانية عن الإنسان

(1) الاحتجاج: ١٨٥/٢.
(2) المصدر نفسه:٢١٣/٢.

الـذي أدبرعقلـه عـن الحـقّ وقُصـرت رؤيتـه لـه وابَتعـد عـن الله[١]، وكـذلك لايفهمـه (العـازب حلمـه) كانيـة عـن الإنسـان الـذي بَعُدَ عن الحقيقـة، وخلـى عقلـه مِنْ الحـق وذهبت مروءته وسماحته.[٢]، فأدت الكناية هنا وظيفتين أحدهما تعبيرية فيها معاني تربوية ونفسية، والأخرى فنية فيها غايات جمالية عاطفية ووجدانية[٣].

المطلب الثالث: الإيحاء المجازي:

يُعدُّ الإيحـاء المجـازي مِنْ أبـرز صـور البلاغـة البيانيـة التـي يلجأ إليهـا أصـحاب الفصـاحة والبلاغـة ؛لإستسـقاء صـورهم الفنيـة، والميـل بكلامهـم إلـى الاتسـاع وقـوة الدلالـة، وزيـادة معـاني ألفـاظهم، فيجـذبُ إليـه النفـوس، فطـرزوا بـه خطـبهم ونثـرهم وأشعارهم، ويرى ابن رشيق القرواني أنّ "العرب كثيراً ما تستعمل المجاز، وتعده مِنْ مفـاخر كلامهـا؛ فإنـه دليـل الفصـاحة، ورأس البلاغـة، وبـه بانـت لغتهـا عـن سـائر اللغات.... والمجاز في كثير مِنْ الكلام أبلغ مِنْ الحقيقة، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع"[٤].

وحدّ الإيحـاء المجـازي فـي اصـطلاح البلاغيين : هـو "كلُّ كلمـة أريـد بهـا غيـر ماوقت لـه فـي وَضْـع واضـعها، لملاحظـةٍ بين الثـاني والأوّل، فهـي مجـاز وإن شئت

(١) يُنظر: لسان العرب: ١/ ٦٦٥، ٦٦٦.
(٢) يُنظر: لسان العرب: ١/ ٥٩٧، ٥٩٨.
(٣) يُنظر: نظرية البيان العربي (خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي- تنظير وتطبيق-)، د.رحمن غركان، دار الراني للدراسات والترجمة والنشر- سوريا- دمشق، ط١، ٢٠٠٨م: ٣٧٢.
(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢٦٥، ٢٦٦.

قلت: كلُّ كلمة جُزْتَ بها ما وقعتْ به في وَضْع الواضع إلى ما لم توضع له، مِنْ غير أن تستأنف فيها وضعاً، لملاحظةٍ بين ما تُجُوّز بها إليه، وبين أصلها الذي وُضعتْ له فيوضع واضعها، فهي مجاز." [1] أي نقل اللفظ مِنْ معناه الحقيقي الذي وضِع لإول مرّة إلى معنى آخر ولإغراضٍ بلاغية.

وورد الإيحاء المجازي في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) بشكلٍ واسعٍ فهو مادةٌ دلاليةٌ خصبة ؛لإيصال الأفكار وتعميقها، وتحقق الإيحاء المجازي عند الإمام (عليه السلام) بنوعين (عقلي ولغوي).

١ـ الإيحاء المجازي العقلي: هوالعدول والانزياح المقصود لخرق القواعد اللغوية المعتادة والخروج بها إلى مستوى تركيبي جديد لإعطاء المتلقي فسحةً مِنْ المساحةً للتدبرفي فهم مقاصد المتكلم، يُعد المجاز العقلي مِنْ الأسلوبية التي تعمق العلاقة بين المتلكم والمتلقي ؛لتُشرك الأخير في انتاج دلالات النّص الجديدة وقيل في المجاز العقلي "هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم مِنْ الحكم فيه لضرب مِنْ التأويل، إفادة للخلاف لا بوساطه وضع، كقولك: أنبت الربيع البقل، وشفى الطبيب المريض، وكسا الخليفة الكعبة."[2] فمثلاً "كسا الخليفة الكعبة" لايراد به أنه هو مَنْ

(1) أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠١م: ٢٤٩.
(2) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني:٩٠/١.

قام بعمل الإكساء بيده وإنمّا المقصود هو أنّها كُسيت بأمرٍ مِنْ الخليفة وهكذا تظهر المعاني المجازية بالمستدرك العقلي.

ومِنْ شواهده في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في التوحيد وبيان قدرة الله تعالى: "**كلّ معروف بنفسهِ مصنوع، وكلّ قائم في سواه معلول**، بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجّته، **خَلْقُ الله الخَلْقَ حجابٌ بينه وبينهم**، ومفارقته إيّاهم مباينة بينه وبينهم"[1].

إنّ الدراسات الأسلوبية ليس بعملية تفسيرية، بل هي نظرة جمالية مشتركة تتخلّق بين المتكلم الذي يصوغ كلامه وفق رؤية إبداعية، والمتلقي الذي يحاول استخلاص المعاني مِنْه، وبهذا تكون الأسلوبية عملية نقدية تتبع ظهور الدلالات وبروزها[2]، ولو قرأنا هذا النّص بروح الأسلوبية لوجدنا لوحةً فنيةً مِنْ تراكيب تحمل المتلقي على أجنحة الإنزياح فتحلق به في فضاء الدلالات ؛لإيصاله لإعمقها تأثيراً في نفسه، فحين يقول الإمام (عليه السلام) (كلّ معروف بنفسه مصنوع) فهذا مجاز يخاطب العقول ومعناه الخفي أن كلّ معرّف فهو مركّبٌ ومكوّنٌ، وله صانع، وهذا ماينطبق على المخلوقات التي خلقها الله تعالى، فهو الصانع لها وهي مِنْ مصنوعاته، وفي تصرفه، قد عرّفها باسماءها وأشكالها وحيزها، وهذه المعاني المستوحات بالإيحاء تشدُّ

(1) الاحتجاج: ٢/ ١٧٥، ١٧٦.
(2) يُنظر: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب: ٣٥٥.

ذهن السامع إليها وتسري إلى أعماق مشاعره، ونرى أنَّ الإمام (عليه السلام) قد وظّف المجاز واعطاه القدرة على ملامسة الإحساس وتحريكه نحو المعاني المقصودة، فحين يقول (عليه السلام): (وكلّ قائمٌ في سواه معلول) فهذا تعبيرٌ مجازي في سلسلة المجازات المتواترة، فالإمام لا يُريد القيام بمعنى الوقوف بل ضمّن هذا اللفظ معنى خفي هو أنَّ كلّ مَنْ احتاج إلى غيره فهو قائمٌ عليه، معلول به، وهذا ما ينطبق على المخلوقات فهي بحاجة لله وهو غنيٌ عنها، ومِنْ ثَمّ يظهر تعبيراً مجازياً بليغاً في سياق الإيجاز والمجاز أتى به الإمام (عليه السلام) بقوله: (خَلق الله الخَلْقَ حجابٌ بينه وبينهم)، وبالنّظر إلى سياق الكلام ورؤية القرائن المعينة يظهر معنى مجازي آخر أحدثه لفظٌ، فنُدرك به فضيلة مِنْ فضائل الإيجاز والتمحور المعنوي فيه [1]وهذا اللفظ هو قوله: (حجابٌ) والمعنى الذي يتبادر للذهن أنَّ الحجاب هو الغطاء الساتر ومِنْه غطاء رأس المرأة[2]، وهو مادي محسوس، ولكن وظّفه الإمام بطريقة فنية عالية الجودة لمعنى مجازي لاتدركه الحواس بل يُدرك بالعقل، فتتكوّن صورة في ذهن المتلقي لوجود غطاء ساتر بينه وبين خالقه، دون تحديد كُنهه، والمعنى المقصود هو إيصال المتلقي إلى قناعة بحقيقة أنَّ الله تعالى ليس كخلقه بل هو منزهٌ عنهم.

(1) يُنظر: التصوير المجازي والكنائي تحرير وتحليل، د.صلاح الدين محمد أحمد، مكتبة سعيد رأفت- مصر، ط1، ١٩٨٨م: ٢٢٩.
(2) يُنظر: لسان العرب: ١/ ٢٩٩، ٣٠٠.

ومِنْ احتاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في صفات الإمام قوله: "الأمين الرفيق، **والوالد الشفيق**، و**الأخ الشقيق**، ومفزع العباد في الداهية."[1]

عند وضع النّص تحت منظار الأسلوبية نجد فيه تكثيفاً وعنايةً في المعنى حتّى قيل "إنّ خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق مِنْ لفظه إلى سمعك."[2]، وهذا ما وجدناه في سياقه حين يقول (عليه السلام): إنَّ الإمام (الوالد الشفيق) فهذا مجاز عقلي لأن ؛الإمام ليس بالوالد الحقيقي وأنمّا وظّف (عليه السلام) هذ اللفظ لتعبير مجازي لبيان رأفته ورحمته وعطفه على رعيته كأنه والدٌ لهم، وأيضاً في قوله: (الأخ الشقيق) فهذا تعبير مجازي عن قرب الإمام وعطفه برعيته كعطف الأخ لأخيه، وقربه لهم كقرب الأخ مِنْ أخيه وهذه مِنْ الصور المجازية المعبّرة عن ضرورة الإمام والإمامة الملازمة للعباد والمُخلصَة لهم مِنْ طوارق الزمان.

٢. الإيحاء المجازي اللغوي: هو نوعٌ مِنْ الانزياح الأسلوبي الذي يقوم على تأويلات المتلقي لمقاصد المتكلم لانتاج مفاهيمٍ دلاليةٍ جديدة، وقد قيل في المجاز اللغوي "هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح به التخاطب، مع قرينة مانعة عن إرادته، أي إرادة معناها في ذلك الاصطلاح."[3]

([1]) الاحتجاج: ٢٢٨/٢.
([2]) أسرار البلاغة في علم البيان، الجرجاني: ١٠٧.
([3]) كتاب التعريفات: ٢٠٤.

ومنْ أمثلتهِ في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع الفقهاء والمتكلمين في الإمامة فقال (عليه السّلام): "**فما مِنْ مؤمنٍ إلاّ وله فراسة ينظر** بنور اللّه على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه وقد جمع الله للأئمة مِنا ما فرقه في جميع المؤمنين."[1]

إنّ القراءة الأسلوبية للنّص كشفت لنا عن دلالةٍ مجازية في حيز المستدرك اللغوي وباستعمال الصورة الاستعارية ففي قوله (عليه السلام): (فراسة ينظر بنور الله) إذ استعار النّظر وهو لازمة العين البشرية وأعطاه للفراسة، فأقامها مقام تلك العين وجعلها باصرة، وهذه الصورة المركبة ممِنْ هو مدرك محسوس وممِنْ هو خارج عن الإدراك وصفت ماتراه العين وتدركه ؛لأن كلام المتكلم بني على ماهو محسوس ومشاهَد بالصبر[2]، فمنحت المتلقي القدرة على المشاركة في انتاج الدلالة المقصودة بانتقال الصورة المجازية عبر أحاسيسه ومدركاته إلى حقيقة متجسمة في ذهنه.

ومِنْ أمثلته أيضاً احتاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في صفات الإمام: "الماء العذب على الظلماء، والدال على الهدى، والمنجي مِنْ الردى."[3]

---

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٣٤/٢٥

(2) يُنظر: التصوير البياني في شعر القطامي دراسة وتحليل، مزروقة عبد الله السفياني (رسالة ماجستير)، جامهة أم القرى- كلية اللغة العربية- المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م: ١٣٨.

(3) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ١٩٧/٢.

وقع المجاز في النّص بقوله (عليه السلام) يصف متقلد الإمامة: بـ (الماء العذب على الظماء) فهو مجازٌ لغوي عبّر عن المعنى بطريقة أسلوبية فريدة ومميزة هي المشابهة، فربطت المعنى الحقيقي بالمجازي[1] ومعناه أنَّ الإمام كالماء العذب الذي يرتوي به الإنسان الظمآن أي العطشان في شدة عطشه، وهذا المعنى المدمج بين الحقيقة والمجاز أخرج لنا معنىً حقيقياً جديداً بطريقة المجاز وهذا المعنى هو أنّ الإمام لا يُمكن الاستغناءعنه في أي حالٍ مِنْ الأحوال، فهو المُخلصُ والمنقذ كالماء العذب الذي يُنقذ العطشان مِنْ الموت المحقق، وأظهر سياق التركيب تلك الحقيقة حين قال (عليه السلام): (الدال على الهدى والمنجي مِنْ الردى) أي أنَّ الإمام هو دليل هداية النّاس، وهو الذي يُنجيهم مِنْ الانزلاق في مهاوي الخطيئة، فهذه كلّها دلالات استدلّ (عليه السلام) بها ؛ليحُث الناس على معرفة الإمام واتباعه.

(1) يُنظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق: ١/ ١٥٦.

المبحث الثاني

المرجعيات الدّينية

يُعدُّ توظيف المرجعيات الدّينية وبمختلف أنواعها مِنْ الأساليب الإستدلالية التي يلجأ إليها منشئ الأثر الأدبي أوالخِطابي لتضمينها في نصوصهِ، متزوداً مِنْها قوة الأسلوب وسبك النظُم وسمو اللفظ وعذوبة المعنى وجمال الصورة ورقّة التعبير، وهذه الأمور لها أثرٌ إقناعي في المتلقي إذ تساعده على فهم خلفية المتكلم الدّينية والمعرفية، وتساهم في فهم النّصوص متثيرةً في نفسه تفاعلاً وتأملاً واعجاباً مشكلةً في مخيلته صوراً حيويةً فعّالة تعبّر له عن العلاقة التي تربط بين مضمون نص المرسِل وبين النّصوص الدّينية التي وظّفت فيه. إنَّ الأصل اللغوي للفظ (المرجعيات) مشتق مِنْ الجذر الثلاثي (رَجَعَ) رجع هو الرجوع الى الشيء ومراجعته وترجيعه رده [1]، ومِنْه قول ابن منظور:"رَجَع يَرْجِع رَجْعاً ورُجُوعاً ورُجْعَى ورُجْعاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعةً: انْصَرَفَ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ [العَلَق : ٨]، أي الرُّجوعَ والمَرجِعَ، مَصْدَرٌ عَلَى فُعْلى؛ وَفِيهِ: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [المَائِدَة : ٤٨] أَي رُجُوعكم"[2].

(1) يُنظر كتاب العين: ١/ ٢٢٥، ٢٢٦.
(2) لسان العرب: ١١٤/٨.

أمّا تحديد مفهوم المرجعيات اصطلاحاً، فلم نجد له تعريفاً مفصلاً؛ لحداثة هذا المفهوم، لكننا نجد إشارات إشارات في بعض معاجم المصطلاحات الأدبية والبلاغية إلى تعريفه إذ قيل فيه بأنّه: "العلاقة بين العلامة وما تُشير إليه."[1] وقيل: هي الرجوع إلى أُمَّهات الكتب لإستقاءِ المعارف مِنْها، كالمعاجم ودور المعارف.[2]

وأقول أنّ المرجعيات الدّينية هي رجوع المتكلم في خِطابه إلى المصادر الدّينية التي آمن بها متخذاً مِنْها سبيلاً لإستدعاء المعاني ودمجها بألفاظه في بنيةٍ جديدةٍ واحدة مكوناً خطاباً جديداً غرضه سرعة وقوة التأثير في المتلقي، وهذا ما نجده في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) فقد اتكأ في نصوصه إلى المرجعيات الدّينية واعتنى بها أشد عناية إذ اتخذ(عليه السلام) مِنْ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والكتب السماوية وأقوال الأنبياء (عليهم السلام) أدلةً برهانيةً دامغة وقطعيّة لا يمكن دحضها أو تفنيدها، وقد شكّل رجوع الإمام (عليه السلام) إلى المراجعيات الدّينية ظاهرةً أسلوبية دلالية متميزة وواسعة الإنتشار أعطت لنّصوصه خاصية الأطمئنان النفسي والتعلق الذهني لسامعيها، وسندرس المرجعيات الدّينية تحت عنوان التوظيف الدّيني وبمختلف المرجعيات.

(1) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتب اللبناني- بيروت- لبنان، سوشبريس- الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥م: ٩٧.
(2) يُنظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان- بيروت، ط٢، ١٩٨٤م: ٣٥١، ٣٥٢.

ومعنى التوظيف لغةً: "وظّف: الوَظائِفُ جمع الوَظيفة، والوَظيفةُ في كل شيء، ما يقدم كلَّ يوم مِنْ رِزقٍ أو طَعامٍ أو عَلَف أو شراب، وقيل: وقد وَظَّفْتُ له توظيفاً، ووظَّفْتُ على الصَّبيِّ كلَّ يومٍ حفظ آياتٍ مِنْ كتاب اللهِ توظيفاً."[١] وعرّف ابن منظور المفهوم فقال: "وَظَفَ فُلَانٌ فُلَانًا يَظِفُه وَظْفاً إِذَا تَبِعَهُ، مأْخوذ مِنْ الوَظِيف."[٢]

وأمّا التوظيف اصطلاحاً فعرّفه الدكتورعبد السلام المسدي بأنه:" هو كلّ عملية تكتسب بموجبها الظاهرةُ وظيفةً جديدة في دلالاتها أو إيحائها أو تأثيرها الإنشائي.[٣] وبعد البحث والاستقصاء في احتجاجات الإمام الرضا وجدنا أنّ المرجعيات التي وظّفها (عليه السلام) تنقسم إلى:

المطلب الأول: التوظيف القرآني :

١. التوظيف القرآني المباشر:

ويتسم هذا التوظيف عبر استحضار النّص القرآني بلفظه دون تغيير كما هو في القرآن الكريم مع الإشارة بـ (قال تعالى)، وهذا ما يسمى بالإستشهاد أو الشاهد القرآني وهو الاحتجاج والإستدلال للرأي أو المذهب أو أي أمر آخر بآيات القرآن الكريم[٤] وقد وظّف الإمام الرضا (عليه السلام) الآيات القرآنية المباركة بصورةٍ واضحةٍ ومكثفةٍ إذ

(١) كتاب العين: ١٦٩/٨، ١٧٠.
(٢) لسان العرب:٩/ ٣٥٨.
(٣) الأسلوبية والأسلوب: ٢٠٧.
(٤) يُنظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير نجيب اللبدي، موسسة الرسالة- دار الفرقان، ط١، ١٩٨٥م: ١١٩، ١٢٠.

وردت في سبعة وستين موضعاً، مُحقِقاً وظيفةً دلاليةً ونفسية، فهي تمثل أدلةً قطعيّةً تدعم البنية الفكرية للنّص وتؤكد حيثياته، فالتوظيف القرآني يُبعد الشكُ عن ذهن المتلقي ويدفعه للإستسلام والإذعان للحجة المؤكدة والصادقة.

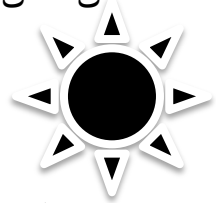

ومِنْ شواهده ما روي أنّ المأمون قال:" أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴿٣٢﴾﴾ [فَاطِر : ٣٢] ، فقالت العلماء: أراد الله الأمة كلها. فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟، فقال الإمام الرضا (عليه السلام):" لا أقول. كما قالوا ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة (عليهم السلام): وقال المأمون: وكيف عنى العترة دون الأمة؟ فقال الإمام الرضا (عليه السلام): لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة، لقول الله: ﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فَاطِر : ٣٢] ، ثُمّ جعلهم في الجنة، فقال عزّ وجلّ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴿٢٣﴾﴾ [الرَّعْد : ٢٣]. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم، ثم قال الرضا (عليه السلام): ثُمّ الذين وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾ [الاحْزَاب : ٣٣] وهم الذين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إني مخلف فيكم

الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا على الحوض انظروا كيف تخلفوني فيهما، يا أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم مِنْكم)).[1]"[2]

أورد الإمام (عليه السلام) أدلةً قرآنية مباشرة لإثبات مفهوم الآية التي سأل عنها المأمون دون أنّ يُكْملها لغايةٍ في نفسهِ، قد أظهرها قول العلماء، فاستدلّ الإمام الرضا (عليه السلام) بسياق الآية كاملاً فأخرج بها الأمة مِنْ الوراثة وخصَّ بها العترة الطاهرة، ثُمْ استدلّ عليهم بقوله تعالى: ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴿٣٣﴾﴾ لتكون هذه الآية مثالاً حياً وفاصلاً، فالعترة هم أول خلق الله تعالى في الجّنة وهم الشفعاء لعباد الله يوم الوقوف بين يديه وهم الصراط المستقيم، ثمّ استدلّ (عليه السلام) بآية التطهير لعقد معنى الوراثة والاصطفاء المخصوص بهم والفوز بالجّنة دون حسابٍ فالله قد عصمهم عن ذنوب الخلق فأبعد عنهم رجس الشيطان وخصَّهم بالتطهير المطلق الذي لَمْ يخصّ به غيرهم، ورفعهم في أعلى الدرجات وأقربها له، فرفع الإمام الرضا (عليه السلام) وهَمَ مَنْ تَوهَم أنّه قد خُصَّ بهذه الآيات وهو مِنْ السفهاء ومِنْ قتلة الائمة والأنبياء، ومِنْ ثمة استدلّ (عليه السلام) بحديث الثقلين للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للتأكيد على دلالة أنّ العترة هم أخصّاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته وأحبائه وهم الوسيلة إلى النجاة مِنْ عذاب الله وإنالة رضاه، وقد أورد هذا

(1) وسائل الشيعة، الفقيه المُحْدّثِ الشيخُ مُحمّدْ بن الحسن الحُر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، مؤسّسة آل البيتِ عليهم السلام لإحياء التُّراثِ، ط١، ١٤٠٩هـ: ٢٧/ ١٨٩.
(2) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢/ ٢٠٨.

الحديث ليقطع به حجة كلِّ كذّابٍ مفترٍ ومدعي القرابة مِنْ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويضمر في جوفه له ولأهل بيته العدواة والبغضاء.

ومِنْ احتجاجاته (عليه السلام) في التوحيد وبيان قدرة الله تعالى قال أنّ الله: " **ضادّ النّور بالظلمة والجسو بالبلل** و**الصرد بالحرور** ، **مؤلّفٌ بين متعادياتها ومفرّقٌ بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها وبتأليفها على مؤلّفها** وذلك قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذَّارِيَات : ٤٩] "[1].

عند قراءة النّص نجد أنَّ الإمام الرضا (عليه السلام) أعتمد نمط الثنائيات التقابلية في صياغة سياق كلامه وبأسلوب بلاغي قائم على ضدية المعاني لكشف القِيّم التعبيرية لها[2]، كقوله (عليه السلام): (ضاد النور بالظلمة و الجسو بالبلل والصرد بالحرور)، فكلها معاني متضادة أراد بها إثبات قدرة الله وحكمته ونعمه في جعل الوجود كله يسير على النقيض كالجنة والنار والحق والباطل ؛ليتدبّر الإنسان بخلق الله وقدرته وقد استدلّ (عليه السلام) لإثبات أقواله بالحجة الدامغة بقوله تعالى في النّص أن الله تعالى قد خلق زوجين مِنْ كلّ مخلوقاته الحيّة وغير الحيّة والحسية والمعنوية.

ومِنْ احتجاجاته (عليه السلام) في مجلس المأمون مع سليمان المروزي في البداء بمعنى الظهور، لتغيّر المصلحة، فقال:" وما أنكرت مِنْ البداء يا سليمان، والله عزّ

(1) الاحتجاج: ٢/ ١٧٧.
(2) يُنظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي، د. محمد عبد المطلب، دار المعارف- القاهرة- مصر، ط٢، ١٩٩٥م: ٦٩

وجلّ يقول: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مَرْيَم : ٦٧]، ويقول عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴿٢٧﴾﴾ [الرُّوم : ٢٧]، ويقول: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴿١١٧﴾﴾ [البَقَرَة : ١١٧] ويقول عزّ وجلّ: ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ ﴿١﴾﴾ [فَاطِر : ١]، ويقول: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السَّجْدَة : ٧]، ويقول عزّ وجلّ: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التَّوْبَة : ١٠٦]، ويقول عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ ﴿١١﴾﴾ [فَاطِر : ١١]." [1]

لجأ الإمام (عليه السلام) في احتجاجه في هذا النّص (عليه السلام) إلى تكرار ذِكر الآيات القرآنية المباركة في سبع مراتٍ وفي سياقٍ متصلٍ في النّص نفسه، لضرورةٍ فكرية وهي أمر البداء الذي يُعدُّ مِنْ القضايا العقائدية والإيمانية في الدين الإسلامي، والبداء هو "إنّ اللّه سبحانه يقدّر لعبده تقديراً طبقاً لمقتضى معين، ثم يبدل اللّه تقديره طبقاً لمقتضٍى جديد يظهر في العبد نتيجة عمل معين يقوم به، مع علمه السابق في كلا الأمرين والحالين"[2] ومِنْ أمثلتهِ زيادة عمر الإنسان أو تأخير أجله، أو دفع البلاء عنه وقد استدلّ بهذه الآيات المباركة لدلالات عدة مِنْها:

(1) الاحتجاج: ٢/ ١٧٨، ١٧٩.
(2) البداء، تطبيق شبكة الإمام علي (عليه السلام)،(مقال)، مجلة اليقين- النجف الأشرف، العدد: ٦٣.

- دلالـةٌ حجاجيـةٌ حاليـة فـأورد هـذه الآيـات رداً علـى منكـري البـداء مِـنْ خصـومه وبضـغط نفسـي أحدثتـه كثـرة الأدلـة القرآنيـة التـي لا تقبـل التأويـل أو التحريـف فمقاصدها واضحة جلّية حتّى أقرّهم بانحرافهم واستنطقهم بماهو حقّ.
- دلالةٌ عقائدية لرفع المحدودية عن الذات الإلهية المقدسة التي تَوهَم وشكّ بعض المتوهمين في أنّ قدرته ومشيئته محدودة بحدودٍ معينة، وهذا خلاف الحقيقة الأزلية وهي أنّه تعالى هو المدبّر القادر على كلّ شيء[1].
- دلالـةٌ تربويـة ونفسـية إذ حـث (عليه السلام) الإنسـان علـى التوجـه إلـى الله تعـالى والتوكل عليه في كلّ الأمور وأنّ لا يُصيب الإنسان اليأس مِنْ رحمة وعطفه به، وحتّى لاينقطع العبد عن التضرع إلى الله وطاعته في السراء والضراء بجريرة مِنْ شكك وتوهم بالله تعالى[2].

٢. التوظيف القرآني غير المباشر:

إنَّ هذا النوع مِنْ التوظيف هو أكثر الأنواع انتشاراً وظهوراً عند الإمام الرضا (عليه السلام) في احتاجاجته، ويقع تحت مسمى الاقتباس القرآني وهو "أنّ يضمّن

(١) يُنظر: شرح أصول الكافي، لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت:٣٢٩هـ)، شرح المولى محمد صالح المازندراني (ت:١٠٨١هـ)، تعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٠م: ٤/٢٣٦- ٢٤١.

(٢) يُنظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٤/ ٢٣٦- ٢٤١.

الكلام شيئاً مِنْ القرآن الكريم أو الحديث، لا على أنه مِنْه."[1] حيث يستمد المتكلم مِداد كلاماته مِنْ ألفاظ القرآن فيُنير بها خطابه ونصوصه ويُشرفها بتلك الألفاظ الإلهية، حتّى يستقيم كلامه بها ويستديم، ونجد أنّ الإمام (عليه السلام) يميل إلى هذا التوظيف الجميل العَطِر الذي أضاف لنّصوصه قوةً وبهجةً، فأستعذب به الأسماع وأذعنت له العقول واستسلمت له النفوس فأقرت وآمنت.

جاء في احتجاجه (عليه السلام) مع رجل زنديق في صفات الله تعالى فقال له (عليه السلام): "إنّي لمّا نظرت إلى جسدي فلم يمكنّي فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة إليه علمت أنّ لهذا البنيان بانياً؛ فأقررت به مع ما أرى مِنْ دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك مِنْ الآيات العجيبات المتقنات، علمت أنّ لهذا مقدّراً ومنشئاً."[2]

وظّف الإمام (عليه السلام) في هذا النّص ألفاظاً مِنْ القرآن الكريم بطريقةٍ هندسية كأنها لوحةً فنيةً تُفيض بعبق جمالها معانٍ ودلالاتٍ حيةٍ تدخل القلب فيخشع لها، ويستنير بها العقل، فلهذه الألفاظ عذوبة في الأسماع وتأثير في النفوس وقوة في الإقناع[3] ومَنْ ذلك التوظيف الجميل إفتتاح النّص بإشارات قرآنية دون تصريح بلفظٍ مباشرٍ في (إنّي لمّا نظرت إلى جسدي فلم يمكنّي فيه زيادة ولا نقصان في العرض

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي: ٣٣٢/٢.
(2) الاحتجاج: ٢/ ١٧١، ١٧٢.
(3) يُنظر: إعجاز القرآن للباقلاني: ١٤.

والطول، ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة إليه) للدلالة على أنّ الإنسان لا يمكنه فعل شيئٍ أو تغييره أو تقديمه وتأخيره إلاّ بمشيئة الله وقدرته، وهذه إشارة إلى قوله تعالى:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان : ٣٠] ومِنْ ثُمّ وظّف (عليه السلام) قوله: (وإنشاء السحاب) للدلالة على قدرة الله وعظمته وتفرده ووحدانيه، فهذا اللفظ مقتبس مِنْ قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ [الرَّعْد : ١٢]، ومِنْ دلالات قدرة الله وجود آياته في خلقه ومِنْها (تصريف الرياح) وهذا اللفظ مقتبس مِنْ قوله تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البَقَرَة : ١٦٤]، ومِنْ آيات الله الدالة عليه في قول الإمام الرضا (عليه السلام) (ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك مِنْ الآيات العجيبات المتقنات) فهذه كلّها ألفاظ قرآنية مقتبسة مِنْ قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرَّعْد : ٢] فقد استدلّ الإمام على وجود الله بهذا الكم ا مِنْ آياته لتكون خير دليل وخير برهان لمِنْ أراد التقوى والإيمان.

وفي احتجاجه (عليه السلام) مع رأس الجالوت في نبوة نبي الله عيسى (عليه السلام) فقال:" يا رأس الجالوت فما يمنعك مِنْ الاقرار بعيسى بن مريم وقد كان يحيى الموتى

ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق مِنْ الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله؟ قال رأس الجالوت: يقال إنه فعل ذلك ولم نشهده، قال الرضا (عليه السلام): وكذلك أمرُ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما جاء به وأمرُ كل نبي بعثه الله ومِنْ آياته أنه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً لم يتعلم كتاباً ولم يختلف إلى معلم، ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء وأخبارهم حرفاً حرفاً وأخبار مِنْ مضى ومِنْ بقي إلى يوم القيامة".[1]

يُحاجج الإمام (عليه السلام) في هذا النّص رأس الجالوت اليهودي في عدم إقراره بنبوة عيسى (عليه السلام) و قد جاء بمثل ما جاء به موسى (عليه السلام) مِنْ معجزاتٍ خارقات، فذكرها له (عليه السلام) بألفاظ قرآنية مقتبسة مستدلاً عليه بها، ففي قوله عن عيسى (عليه السلام): (وقد كان يُحيى الموتى ويُبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق مِنْ الطين كهيئة الطير، ثُمّ ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عِمۡرَان : ٤٩] استدلّ على رأس الجالوت بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو الذي جاء بالقرآن العظيم الذي حوى قصص الأنبياء السابقين

(1) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٢/ ٨٤.

وأخبارهم ولم يترك صغيرةً وكبيرةً إلاّ وذكرها، على الرغم مِنْ أنّه كان يتيماً فقيراً (لم يتعلم كتاباً ولم يختلف إلو معلم)، وهذا مستوحى مِنْ قولهِ تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضُّحَى : ٦ - ٨]، وهذا الاستدلال يؤكد صحة نبوة النبي المصطفى(صلى الله عليه وآله). ومِنْ احتجاجاته (عليه السلام) مع أبي قرة قال:" فأين الله؟ **فقال أبو الحسن** (عليه السلام): **الأين مكان، وهذه مسألة شاهد عن غائب، والله تعالى ليس بغائب، ولا يَقدِمه قادم، وهو بكلِّ مكان موجود، مدبّر صانع حافظ ممسك السماوات والأرض.**" **فقال أبو قرة: أليس هو فوق السماء دون ما سواها؟ فقال أبو الحسن** (عليه السلام):"**هو الله في السماوات وفي الأرض، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء، وهو معكم أينما كنتم، وهو الذي استوى إلى السماء وهي دخان، وهو الذي استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سماوات، وهو** الذي استوى على العرش، قد كان ولا خلق، وهو كما كان إذ لا خلق، لم ينتقل مع المنتقلين"[1].

إتسمت اللفظة القرآنية بقوة السبك ورصانة الشكل ودقة التعبير، فكلّ لفظة تؤدي دورها البياني المرسوم لها، فإذا نظرت فيها وجدها وحدة متكاملة ولوجدتها في قمة

(1) بحار الأنوار: ١٠/ ٣٤٦.

الأدب والفن[1]، ونجد أنّ الإمام (عليه السلام) في هذا النّص قد غرف مِنْ عذب تلك الألفاظ المباركة وتعابيرها إذ وظّف الإمام جملةً مِنْ الألفاظ القرآنية في الرّد على أبي قرة الذي تسائل عن مكان الله تعالى، فكان جواب الإمام له في غاية الدقة والتفصيل ليُزيل به كلّ شكٍ ووَهَم، فقال له (عليه السلام): (هو الله في السماوات وفي الأرض، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) فهذه ألفاظ مقتبسة مِنْ قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزُّخْرُف : ٨٤] للدلالة على أنّ الله تعالى موجودٌ في كلّ مكان قائمٌ في كل زمان، وأمّافي قوله (عليه السلام): (وهو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء) ففيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٦] وهنا في هذه الآية الكريمة دلالة علمية استدلّ بها (عليه السلام) لبيان عظمة الله تعالى ، إذ وصفت قدرته على خلق ما يشاءُ في أرحام الأمهات مِنْ ذكرٍ أو أنثى، أسودٍ أو أبيض كيف ما أشاء وأراد، وفي قوله (عليه السلام): (وهو الذي استوى إلى السماء وهي دخان) ففيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فُصِّلَت : ١١] فهو سبحانه الذي يسيطر عليها والمتمكن منها و هي تحت طوعه وتصرفه، وفي قوله (عليه السلام): (وهو الذي استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سماوات، وهو الذي استوى على العرش)

(1) يُنظر: التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان- الأردن، ط٤، ٢٠٠٦م: ١٥، ١٦.

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البَقَرَة : ٢٩] أي هو وحده الذي أوجدكم وخلقكم مِنْ العدم، وهو الذي خلق السماوات السبع بقدرته فلا شريك له ولا معين في خلقه، وهذه دلالات تُنزه الله عن محدودية المكان والزمان وفيها كذلك دلالات الوحدانية والتفرد.

٣. التوظيف القرآني المعنوي الإشاري:

وهذا النوع مِنْ التوظيف يكون باقتباس روح المعاني القرآنية فيُزين بها الكلام، وتفهم بالإيماء مِنْ سياقه ومتعلقاته، وقد ورد هذا النوع مِنْ التوظيف كثيراً عند الإمام الرضا (عليه السلام) حتّى كادت أنْ تكون مضامين نصّوصه كلّها قرآنية، إذ استمد (عليه السلام) معاني القرآن ونقلها إلى نصّوصه للمساهمة في توسيع دلالة احتجاجاته وللمساهمة في تقوية مايُريد اثباته للطرف الآخر.

ومِنْ أمثلته في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في دلائل الإمامة، فقال رأس الجالوت: وما الدليل على الامام؟ قال (عليه السلام):" أن يكون..... تقياً نقيًا مِنْ كلِّ دنس طاهراً مِنْ كل عيب، عادلاً منصفاً، حكيماً رؤوفاً، رحيماً غفوراً، عطوفاً صادقاً، مشفقاً بارّاً، أميناً مأموناً ،**راتقاً فاتقاً**." [1]

(1) بحار الأنوار: ٨٠/٤٩.

عند قراءة النّص نجد أنّ هذا التوظيف يُشكّل علاقة وثيقة بين المدلول القرآني ومعنى النّص المراد تحقيقه بطريقة الإيماء إلى ذلك المعنى المستوحى مِنْ القرآن، ونجد ذلك في قول الإمام الرضا (عليه السلام): (راتقاً فاتقاً) وفي هذا النّص إيماء إلى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأَنبِيَاء : ٣٠] ومعنى الآية جاء واضحاً لبيان القدرة الإلهية فسبحانه قد فتق السماء بإنزال المطر مِنْها، ورتق الأرض بإنباتها[1]، فوظّف (عليه السلام) الآية لبيان أنّ الإمام يجب أنّ يكون قادراً متمكناً عليماً حليماً وهذه الصفات الكثيرة والمقومات اللازمة عبر عنها (عليه السلام) بـ (راتقاً فاتقاً).

ومِنْ احتجاجاته (عليه السلام) مع عمران الصابئي عندما سأله عمران فقال:" أخبرني عن الكائن الأول وعما خلق؟، قال (عليه السلام): سألت؛ فافهم الجواب! أمّا الواحد فلم يزل كائناً واحداً، لا شئ معه، بلا حدود، ولا أعراض، ولا يزال كذلك، ثُمّ خلق خلقاً مبتدعاً، مختلفاً، بأعراض وحدود مختلفة، لا في شئ أقامه، ولا في شئ حده، ولا على شئ حذاه ومثله، فجعل الخلق مِنْ بعد ذلك صفوة وغير صفوة لله، واختلافاً وايتلافاً، وألواناً، وذوقاً، وطعماً، لا لحاجة كانت مِنْه إلى ذلك، ولا لفضل

(1) يُنظر:الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٧م. ١٤/ ٢٨٠.

منزلة لم يبلغها إلاّ به، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً، تعقل هذا يا عمران؟ قال: نعم والله يا سيدي."[1]

قد يلجأ المتكلم إلى الإختصار المفهِم للمعاني بالإيماء إلى الشيء فيُغني ذلك عن الكشف والإفصاح عند ذوي الألباب[2]، وفي هذا النّص جعل الإمام (عليه السلام) معانيه متسقة مع المعاني القرآنية بالإشارة والإيماء فقوله: (عليه السلام) (أمّا الواحد فلم يزل كائناً واحداً، لا شئ معه) مأخوذ بالمعنى مِنْ قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البَقَرَةِ : ١٦٣] ' للدلالة على أنّ الله واحدٌ لاشريك له وهذه الوحدانية أزلية مستمرة لا تغيّر فيها، وفي قوله تعالى: (فجعل الخلق مِنْ بعد ذلك صفوة وغير صفوة لله، واختلافاً وائتلافاً، وألواناً، وذوقاً، وطعماً) ودلالة هذا النّص مأخوذة مِنْ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فَاطِر : ٢٧ - ٢٨] للدلالة على تنوع واختلاف مخلوقاته بألونها وأشكالها وأصنافها، حتّى يقع الاختلاف في الجنس نفسه فالناس أجناس متنوعة منهم أبيض ومِنْهم أسود ومِنْهم العرب والهنود وغيرهم، وكذلك اختلاف

(1) الاحتجاج:٢/٢١٣.
(2) يُنظر: الكامل في اللغة والأدب، المبرد: ١/٢٧.

الحيوانات والنباتات والجمادات وهذه كلها بقدرة وتدبيره وحكمته، وأيضاً هنالك إشارة دلالية قرآنية في قوله (عليه السلام): (لا لحاجة كانت مِنْه إلى ذلك، ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلاّ به، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادةً ولا نقصاناً) إذ نقل الإمام في هذا النّص المتلقي إلى قوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذَّارِيَات : ٥٦ - ٥٧]: قد خلق الله تعالى هذه المخلوقات كلّها وهو في غنى عنها وليس له بها مِنْ حاجةٍ بل خلقها سبحانه لطاعته وعبادتي لا إلى حاجة له بهم.

المطلب الثاني: توظيف الكتب السّماوية:

ويكون هذا النوع مِنْ عبر نقل وتوظيف مضامين الكتب السّماوية للديانات التي سبقت الإسلام بأزمانٍ مضت، لا يعلمها إلاّ الله والذين اصطفاهم لعلمه، و معلومٌ أنّ هذه الكتب قد حُرفت عن مواضعها وفُقِدَت حتّى عند أهل تلك الأديان، حتّى صار مِنْ الصعوبة اطلاع عامة النّاس على مضامينها، ولكن هنالك مِنْ خصَّهم الله بعلمهِ وغيبهِ وهم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) وهذا ما وجدناه عند الإمام الرضا (عليه السلام).

ومِن شواهدها في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع رأس الجالوت في إثبات نبوة النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) في التوراة فقال (عليه السلام): "هل تنكر

أنّ التوراة تقول لكم: جاء النور مِنْ جبل طور سيناء، وأضاء لنا مِنْ جبل ساعير واستعلن علينا مِنْ جبل فاران، قال رأس الجالوت: أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها."[1]

وفي احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع رأس الجالوت ومِنْ معه في إثبات نبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في زبور داوود قال (عليه السلام):" وقد قال داوود في زبوره وأنت تقرء: "اللهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة، فهل تعرف نبيا أقام السنة بعد الفترة غير محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال رأس الجالوت: هذا قول داوود نعرفه ولا ننكره ولكن عني بذلك عيسى، وأيامه هي الفترة."[2]

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) لرأس الجالوت: "جهلت أن عيسى لم يخالف السنة وقد كان موافقا لسنة التوراة حتّى رفعه الله إليه، وفي الإنجيل مكتوب: إن ابن البرة ذاهب والبار قليطا جاء مِنْ بعده وهو الذي يخفف الآصار، ويفسر لكم كل شئ، ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال، وهو يأتيكم بالتأويل أتؤمن بهذا في الإنجيل؟! قال: نعم لا أنكره."[3]

عند قراءة النّصوص المتقدمة أسلوبياً وبتمعن نجدها مضامين مِنْ الكتب السماوية المقدسة قبل تحريفها نُزّلت مِنْ الله تعالى على الأنبياء (عليهم السلام) (موسى في توراتهِ وداوود في زبورهِ وعيسى في إنجيلهِ) فإستشهد بها الإمام الرضا (عليه السلام)

(1) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٢/ ٨٢.
(2) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٢/ ٨٣.
(3) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٢/ ٨٣.

في احتجاجاته على أصحاب تلك الأديان وعلمائها، فمِنْ أقوى أدلة الاحتجاج وأكثرها إرباكاً للخصم إنّك تحاججه بأدلته ومحجوجاته لا بأدلتك وبراهينك، وهذا ما نجده عند الرضا (عليه السلام)؛ فحَمّل ما استشهد به مِنْ كتبهم دلالاتٍ متعددة مِنْها أنّه قد علّمهُ الله بعلمهِ فلَمْ ير نبياً ولَمْ يرَ كُتباً وقد حَفظها وعَلِمَ آياتِها وأحكامِها وهو عالمٌ بما وقع وبما سيقع بدلالة قول الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) "مبلغ علمنا على ثلاثة وجوهٍ: ماضٍ وغابرٍ وحادثٍ فأمّا الماضي فمُفسَّرٌ، وأمّا الغابرُ فمزبورٌ * وأمّا الحادثُ فقذفٌ في القلوب، ونقرٌ في الاسماع، وهو أفضل علمنا، ولا نبي بعد نبيِّنا."[1] فهذه دلالة ليكون كلامه عليهم حجةٌ فهو إمامٌ منصبٌ مِنْ الله، والدلالة الأخرى والتي بُنيِت على الدلالة الأولى فكانت أساسها المنطقي وهي إني أنقلُ اليكم مِنْ كُتُبِكُم وعن لسانِ أنبيائِكم الذين قد أقروا بنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقروا بإمامة أهل بيته، فهل أنتم منكرون؟ وهذا أسلوب حجاجي في غاية الحنكة والدربة وفيه تقنية حوارية تسمى بالاسترجاع الزمني، وهو نقل أحداث ماضية وقديمة وربطها بالحاضر؛للاستدلال بها مما يشدُّ نفس المتلقي إليها ويُحرك مشاعره تجاه الأحداث الجديدة فتنتج رؤية مغايرة[2] فكلذُ الأنبياء الذين سبقوا رسول الله (محمد صلى

(1) شرح أصول الكافي، المازندراني: ٦/ ٤٩.
(*) (بمعنى مكتوب ومتقن)، يُنظر: لسان العرب: ٤/ ٣١٥.
(2) يُنظر: الزمن في الرواية العربية (١٩٦٠- ٢٠٠٠)، مها حسن يوسف عوض الله، (أطروحة دكتوراه)، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م: ١٨٦- ١٨٩.

الله عليه وآله وسلم) قد تعلقت أديانهم ولَمْ تكتمل ألاّ بدين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقرَّ علماء تلك الأديان بهذه النتيجة الحتميّة التي لامفرّ مِنْها.

المطلب الثالث: توظيف أقوال الأنبياء (عليهم السلام)

ينقلُ الإمام الرضا (عليه السلام) لرأس الجالوت قول نبي الله شعيا* (عليه السلام) فقال: "رأيت راكبين أضاء لهما الأرض أحدهما راكب على حمار، والآخر على جمل. فمَنْ راكب الحمار ومَنْ راكب الجمل؟! قال رأس الجالوت: لا أعرفهما فخبرني بهما قال (عليه السلام): أمّا راكب الحمار فعيسى بن مريم وأمّا راكب الجمل، فمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أتنكر هذا مِنْ التوراة، قال لا ما أنكره."[1]

وقال الأمام الرضا (عليه السلام) لرأس الجالوت يحاججه هل تعرف حيقوق* النبي؟ فإنّه قال وكتابكم ينطق به: "جاء الله بالبيان مِنْ جبل فاران، وامتلئت السماوات مِنْ تسبيح أحمد وأمته، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس – يعني بالكتاب القرآن – أتعرف هذا وتؤمن به. قال رأس الجالوت: قد قال ذلك حيقوق (عليه السلام) ولا ننكر قوله."[2]

(*) (شعيا بن أميصا وهو أحد رسل بني إسرائيل)، يُنظر: كتاب المتفق والمفترق، للخطيب البغدادي: ١/ ١٧١٧.

([1]) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٢/ ٨٢.

(*) (أحد رسل بني إسرائيل الذي ذُكر في كتاب التورارة، وقيل حبقوق بالباء وقد سبق عيسى عليه السلام بأكثر من ٦٠٠ سنه)، يُنظر: بحار الأنوار: ١٤/ ١٦١.

([2]) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٢/ ٨٢، ٨٣.

في هذين النّصين المتقدمين نجد أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) استدلّ على رأس الجالوت والمتكلمين والفقهاء بتوظيف أقوال الأنبياء السابقين (عليهم السلام) الذين لَمْ يرهم ولَمْ يسمعهمِ، ليُثبت أولاً أنّه إمام فعلمه تكويني في حيز الإرادة الإلهية وهذا مِنْ المُسلّمات والدلائل الظاهرة حيث لايسطيع أحدٌ غيره الإتيان بما أتى به مِنْ البراهين، وهذا الإثبات مقدمة منطقية لإثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولو نظرنا إلى النّص الأول نجده قولاً لنبي الله شعيا الذي ذكر فيه، نبي الله عيسى (عليه السلام) والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبَشّرَ به كما بَشّرَ به الأنبياء السابقين، ولاشك أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) عالمٌ بكلِّ أقوال النبي شعيا في محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فاختيار هذا القول هو لغايةٍ دلالية هي أنّ النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أفضل الأنبياء وله الولاية عليهم أجمعين، وثمة نكتة لابدّ مِنْ الوقوف عندها وهي ألاّ ترى أيها القارى إنَّ الله سخّر مخلوقاته لعباده، وكان قد ميّزها في خلقها عن بعضاها باختلاف ألونها وأشكالها وتكوينها، فالحمار ليس كالجمل في تركيبه الفسيولوجي والإيثولوجي، فهو كوسيلة نقل لاتتناسب مع مقام وقدسية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عند الله، لسلوك هذا الحيوان الغير منتظمة ومِنْها صوته فهو أنكر الأصوات، وأمّا الجمل فمنظبطٌ بسلوكه وخصائصه، وهنا نجد أنّ الرسول أفضل مِنْ الأنبياء بل هو نبيهم وسيدهم.

وعند النّظر إلى النّص الثاني وظّف (عليه السلام) قولاً لحيقوق النبي فاستدلّ على رأس الجالوت في إثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وإمامة أهل بيته (عليهم السلام) وكتابه القرآن العظيم وهذه كلّها أدلة واقعية لايمكن إنكارها حتّى أذعن لصدقها رأس الجالوت وأقرّ بها.

المطلب الرابع: توظيف أقوال النبي محمد (صلى الله عليه وأله وسلم) **والائمة المعصومين** (عليهم السلام).

وهذا النوع مِنْ التوظيف يكون عن طريق الإستشهاد وباقتباس النّص بلفظه ومعناه مباشرةً دون تغيير مع الإشارة إلى قائله نحو (قال رسول الله) فينقل أقوال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقوال أئمة أهل البيت (عليه السلام) وقد ورد هذا النوع مِنْ التوظيف في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في مواضعٍ عدة.

ومِنْ أمثلته ما روي عن الحسين بن خالد قال: قلت للرضا (عليه السلام):" يا بن رسول الله إنّ قوماً يقولون: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (إن الله خلق آدم على صورته). [1]، فقال (عليه السلام): "قاتلهم الله! لقد حذفوا أوّل الحديث، إنّ رسول الله مرّ برجلين يتسابّان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: (قبّح الله وجهك ووجه مِنْ

(1) شرح أصول الكافي، المازندراني: ١٢٦/٤.

يشبهك) فقال له (صلى الله عليه وآله): (يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك! فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته)."[1]

قام الإمام الرضا (عليه السلام) في هذا النّص بالاستدلال بطريقة التصحيح لصيانة الأحاديث مِنْ التحريف، ورفع وهَمْ الواهمين فهنالك مِنْ يضمر العداوة والبغضاء لرسول الله وأهل بيته ويتحين الفرص للطعن بهم وكيل التهم إليهم، حتّى وصلت بهم الضغينة للقول على الرسول وتحريف ما يقوله، وسياق الحوار بين السائل والإمام أثبت أنّ قوماً استقطعوا قولاً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لدس المغالطة والإيهام بدين الله تعالى ودليل ذلك أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) دعا عليهم بقتالٍ مِنْ الله فما أشده مِنْ دعاء، وردّ عليهم(عليه السلام) بأكمال القول وأثبت معناه الذي أراده جده رسول الله وهو فإنّ الحذف مِنْ الحديث فيه اتمام دلالة الحديث فالرسول نهى عن السب بتقبيح الوجه ؛لأنه قد شرّف آدم وكرّمه بالاصطفاء وليس بالمشابهة.[2] فالله تعالى منزهٌ عن التجسيم والتصوير.

وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) في ذم الغلاة قال: "إنّ مِنْ تجاوز بأمير المؤمنين (عليه السلام) العبودية فهو مِنْ المغضوب عليهم ومِنْ الضالّين، وقال: أمير

(1) الاحتجاج: ١٩٢/٢.
(2) يُنظر: بحار الأنوار المجلسي: ١٣/٤.

المؤمنين (عليه السلام):(لا تتجاوزوا بنا العبوديّة، ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وإيّاكم والغلوّ كغلوّ النصارى فإنّي برئ مِنْ الغالين).[1]"[2]

عند قراءة النّص المتقدم نجد الإمام الرضا (عليه السلام) يذمُ المغالين في أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) الذين بالغوا فيه أشد مبالغةً حتّى أوصوله إلى الربوبية واتخذوه معبوداً مِنْ دون الله تعالى فوصفهم (عليه السلام) بالضالّين وهم مِنْ المغضوب عليهم والخارجين عن دين الله الأقوم، وقد استدلّ على قوله لتوكيد معناه في ذهن المتلقي بقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذم المغالين فيه وهذا الاستدلال جاء للردّ على المتربصين بأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) حتّى لاينسبوا إليه المغالين، ويرمون التيشع بالتهِم ويكيدون له المكائد، فأمير المؤمنين (عليه السلام) بريئٌ مِنْهم ومِنْ جهلهم، وقد قطع هذا الاستدلال دابر المتربصين والمبغضين وألجم أفواههم.

([1]) هذا القول لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد أختلفت صيغ نقله ولم أجد هذه الصيغة إلاّ في الاحتجاج كما مشار إلى النّص، وفي بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ٢٧٤/٢٥.

([2]) الاحتجاج: ٢٣٣/٢.

المبحث الثالث

أسلوبية الحوار

الحوار طريق خطّهُ ربُّ العزّة لخلقهِ أُولي الألباب فسُبحانه مِنْ ربٍّ حكيم سنّ سُننه حين حاور الملائكة عند خلق آدم (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البَقَرَة : ٣٠]، نقلت الآية المباركة الحوار الذي دار بين الخالق ومخلُوقاته إذ أعطاهم سبحانه فيه مشرُوعيّة التحاور والاستدلال، بدليل قولهم: إنَّ الإنسان يفسُدُ في الأرض ويسفكُ الدماء، فردَّ عليهم بقوله عزّ وجلّ أنَّهُ يعلمُ ما لا يعلمُونه بصيغةٍ حوارية، ثُمّ قال تعالى في آيةٍ أُخرى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [إِبْرَاهِيم : ٤] إنّ اللّه عزّ وجلّ أرسل الرسُل بلسان أقوامهم لإقامة الحُجَجَ والبراهين لهم في دينه وشرعهِ بالمُحاورة والإقناع لا بالقُوّة والإكراه، وفي قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النَّحل : ١٢٥]، وهنا في هذه الآية الكريمة أمر اللّهُ تعالى نبيّهُ محمد

(صلّى اللّهُ عليه واللّهُ وسلم) بالحوار الحسِن والرّفق واللّين وإقامة الحُجج بالمُناظرة والجدل بحُسن الخطاب.[١]

ولو رجعنا إلى الجذر اللغوي لمفردة للحوار لوجدناها تدلّ دلالات مُتقاربة وهو الرُّجُوعُ والمُراجعة في الكلام أي المُحاورة، قال الخليلُ: "حور: الحورُ: الرُّجوعُ إلى الشّيء وعنه. والغُصّةُ إذا انحدرت. يُقال: حارت تحُور، وأحار صاحبها، وكلّ شيء تغيّر مِنْ حال إلى حال، فقد حارّ يحُور حورا... والمُحاورةُ: مُراجعة الكلام، حاورتُ فلاناً في المنطق، وأحرتُ إليه جوابا وما أحار بكلمةٍ، والاسم: الحوير، تقُول: سمعت حويرهما وحوارهما. والمحورةُ مِنْ المُحاورة، كالمشورة مِنْ المُشاورة."[٢] ونقل الزّمخشريّ "حاورته: راجعته الكلام، وهُو حسن الحوار، وكلمتُه فما رُدّ عليّ محورة، وما أحار جوابا أي ما رجع."[٣]

والحوار في الاصطلاح لهُ معانٍ فنية أسلوبية حيثُ ارتبط بطريقة المُحاور وأساليبه لبحاصة، فنجد ميخائيل باختين يستعمل مصطلح الحوار والحوارية للدلالة على أيّة علاقة قائمة بين تعبيرين أو أكثر، وهذه التعبيرات هي علاقات حوارية

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت:٧٧٤هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت، ط١، ١٤١٩هـ: ٤/ ٥٢٦.
(٢) كتاب العين: ٢٨٧/٣.
(٣) أساس البلاغة: ٢٢١/١.

تُشكل علاقات دلالية في إطار التواصُل اللفظي التعبيري.[١] ويُعرّف الدكتور طه عبد الرحمن الحوار على بأنَّه: "مجال لممارسة القوّة الاستدلالية للإنسان، فعن طريقهِ تستطيعُ أن تُظهر قوّتك العقلية وقدرتك الاستدلالية، وبقدر ما تستطيعُ تملُّك آليات الاستدلال، فإنّك تمتلك سير الحوار، وهكذا فإن الحوار هبة إلهيّة للإنسان تمكّنه مِنْ تطوير أساليب استدلالاته على الأشياء."[٢]، ويقُول الدكتور طه عبد الرحمن: أنَّ الحوار قائمٌ على بناء المحاور لنظرية عرضيّة بآليات خِطابية وبطرقه الخاصة لعرض ما يمتلكه مِنْ استدلالات للمعروض عليه دون إكراه أو قمع وصولاً للإقناع.[٣]

وتتعامل الأسلُوبية مع النّص كخطاب حواريّ إبداعي مادّته اللغة التي تمثّل حلقة الوصل بين المبدع والمتلقي للكشف عن أعماق دلالات ما وراء النّص وتحليل الظواهر النّصية اللغوية ليدركها المتلقي بطريقة موضوعية منهجية.[٤]

وعند اطلاعنا على النّصوص الحجاجية للإمام الرضا (عليه السلام) وجدنا أنَّ أسلوبية الحوار لديه قد اتسمت بالانفتاح الفكري والثقافي، وتقبل الآراء ونبذ التعصب،

(١) يُنظر: المبدأ الحواري، تزفيتان تودوروف ،نقد ميخائيل باختين، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط٢، ١٩٩٦م: ١٢١- ١٢٢.

(٢) الحوار أُفقا للفكر، د. طه عبد الرحمن، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٣م: ٢٨-٢٩.

(٣) يُنظر: في أُصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي- بيروت،ط٢، ٢٠٠٠م: ٣٨.

(٤) يُظر: المنهج الأسلوبي في تحليل الخطاب الإبداعي، أ. ميس عودة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات- العدد الخامس والعشرون- أيلول ٢٠١١م: ١٦٣.

والميل إلى الدلائل والبراهين، والحجج المبنية على العلم والمنطق، وعلى الرغم مِنْ علمه (عليه السلام) بنوايا المأمون الخبيثة، والمبنيّة على الخداع والغدر لإحراج الإمام (عليه السلام) أمام أهل المملل والأديان المختلفة، والزنادقة والمنافقين، للقدح بأحقية أهل البيت (عليه السلام) بالإمامة، ورغم علمه (عليه السلام) بأنّه سُيقتل مسموماً على يد المأمون لكنه لم يخشى ذلك الأمر وظل صامداً في حواراته مع كلّ مَنْ حضر فأقرّ الجميع بحججه العلمية، وأقنعهم حتّى فشِل المأمون في مخططه.

ووجدنا بعد تتبع نصوص الإمام الحجاجية أنّه (عليه السلام) اتخذ أساليب الحوار الحجاجي في مجلس المأمون لإثبات ثلاث قضايا عقائدية تُمثل محور الدّين الإسلامي هي:

أولا: الحوار في إثبات التوحيد.

ثانيا: الحوار في إثبات النبوة.

ثالثاً: الحوار في إثبات الإمامة.

ومِنْ الأساليب الحوارية في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام)، هي:

١ـ **أسلوب الحوار الإستدراجي:** وهذا النوع مِنْ الأساليب الحوارية التي تقوم بين طرفين، يميل أحدهما إلى الاستفهامات المتكررة ؛لتوليد حوار تُنشَّط فيه أفكار الطرف الثاني (المخاطَب) ؛لاستدراجه للوصول إلى الحقيقة، والحوار الاستدراجي هو

فن "التوصل إلى وصول الغرض مِنْ المخاطَب، والملاطفة له لبلوغ المعنى المقصود، مِنْ حيث لايشعر به، وفي ذلك مِنْ الغرائب، ما يوثق السامع، ويطربه"[1]، فغاية الحوار إقناع الخصم ؛ليخضع ويذعن للمحاوِر، و هنالك نوعٌ مِنْ الاستدراج يكون عن طريق الاعتراض على أمرٍ في أدوات الخصم الحجاجية حتّى تثير انفعاله ودفاعه، وتوقعه في شِباك ضعف حجته أو خطئها، ولابدّ أنّ تكون مدعوماً بالأدلة حتّى يقر ويعترف بها.

وتمثل ذلك في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع أبي قرة المحدّث فقال أبو قرة: **فإنّا روينا: أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين، فقسّم لموسى (عليه السلام) الكلام، ولمحمد (صلى الله عليه وآله) الرؤية.** فقال أبو الحسن (عليه السلام): **فمَنْ المبلّغ** عن الله إلى الثقلين الجن والإنس أنّه لا تدركه الأبصار، ولا يُحيطون به علماً، وليس كمثله شئ. **أليس محمّد** (صلى الله عليه وآله)؟ قال: بلى. قال أبو الحسن: فكيف يجئ رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم: أنّه جاء مِنْ عند الله، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: أنه لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علماً، وليس كمثله شئ، ثم يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر، **أما تستحيون؟!** ما

(1) كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم مِنْ الكلام والمنثور، ابن الأثير ضياء الدين، تح: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي- بغداد- العراق، د.ط، ١٣٧٥هـ: ٢٣٥.

قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا: أن يكون أتى عن الله بأمر ثمّ يأتي بخلافه مِنْ وجه آخر."[1]

دار الحوار في هذا النّص أبو قرة بقوله: (فإنّا روينا: أنّ الله قسّم الرؤية والكلام...إلخ) وبين الإمام الرضا (عليه السلام) الذي ردّ عليه بأسلوبٍ فني مبني على الحوار الاستفهامي المتراكم بقوله: (فمَنْ المبلّغ عن الله إلى الثقلين... أليس محمّد) و قوله: (فكيف يجئ رجل إلى الخلق جميعاً) وقوله: (أما تستحيون؟!) كرر الإمام (عليه السلام) الاستفهامات التقريرية التي تهزُ أعماق الأعطاف وتأسر القلوب فتُربك الخصم وتُفقده المبادرة في الكلام حتّى يتحير ويُستدرج إلى قبول الحق والإذعان له[2]، ودلالة النّص أنّ الإمام (عليه السلام) قد نفى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأتي عن الله بأمرٍ ثم يُخالف ذلك الأمر، واستنكر على أبي قرة في قوله (عليه السلام): (أما تستحيون؟!) فدحره وضيّق مساحة دفاعه عن معتقداته وكشف للحضور مغالطاته فأقرّ بحجج الإمام واستسلم، وكان لطريقة حوار الإمام بالغ الأثر في ردِّ الآخر.

(1) الاحتجاج: ٢/ ١٨٦.
(2) يُنظر: الحجاج في الحطاب الديني مقاربةٌ في مناظرات الإمام الرضا (عليه السلام)، زهرة علاوي الناجي، جمعية العميد العلمية والفكرية- كربلاء- العراق، د.ط، ٢٠٢١م: ١٠٢.

٢ـ **أسلوب الحوار الخطابي الموجه:** وهو كلّ خطاب، أو نداء، أو سؤال يوجه إلى المخاطبين لحضّهم على الإجابة عليه أو لينبههم على أمرٍ مخالف ومنحرفٍ، أو يأمرهم بأمرٍ أو ينهاهم عنه ؛ليوقظ عواطفهم وأحاسيسهم ووجدانهم(١).

ومِنْ الأمثلة على هذا النوع مِنْ أساليب الحوار ما ورد في احتاجاته (عليه السلام) مع الهربذ الأكبر* في النبوة فدعاه. فقال له الرضا (عليه السلام): "أخبرني عن زردشت** الذي تزعم: أنَّه نبيّ ما حجّتك على نبوته؟ قال: إنّه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله، ولم نشهده، ولكن الأخبار مِنْ أسلافنا وردت علينا بأنّه: أحلّ لنا ما لم يحلّه لنا غيره فاتّبعناه، قال (عليه السلام): أفليس إنَّما أتتكم الأخبار فاتّبعتموه؟ قال: بلى، قال (عليه السلام): فكذلك سائر الأمم السالفة، أتتهم الأخبار بما أتى به النبيّون، وأتى به موسى وعيسى ومحمد (صلى الله عليه وآله)، فما عذركم في ترك الاقرار بهم، إذ كنتم إنّما أقررتم بزردشت مِنْ قبل الأخبار الواردة بأنّه: جاء بما لم يجئ به غيره؟ فانقطع الهربذ مكانه(٢).

نجد أنَّ الخطاب الحواري في هذا النّص موجه مِنْ الإمام الرضا (عليه السلام) إلى الهربذ الأكبر بطريقة الأمر بقوله: (أخبرني) عن حجتك في زعمك أنّ زردشت نبيّ،

(١) يُنظر: التربية بالحوار، د. عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر- دمشق، ط١، ٢٠٠٠م:٦٩.
(*) (المرجع الأعلى للمجوس ويأتي بمعنى القائد)، يُنظر: حياة الإمام الرضا (عليه السلام)، الشيخ باقر شريف القرشي: ١/ ١٤٩.
(**) (قيل: هو نبي من الأنبياء، وقيل: هو رجل دين ومصلح فارسي توفي حوالي(٦٠٠ق.م) مؤسس الديانية الزرادشتية في بلاد فارس)، يُنظر: كتاب تاريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد إبراهيم الفيومي: ٣٣٨.
(٢) الاحتجاج: ٢/ ٢١٢.

فردّ الهربذ فقال: أنّه أتى ولكن لم نشهده بل وصلت لنا أخباره عن اسلافنا، فهذا الكلام لا حجة فيه، فانتقل خطاب الإمام (عليه السلام) إلى أسلوب حواري جديد عبر الاستفهام التقريري إذ قال: (أفليس إنّما أتتكم الأخبار فاتّبعتموه) ؛لتحديد إجابات الخصم وحصرها فلَمْ يترك له مساحةً للتهرب أو تشتيت الحوار، فقال بلى، ثُم أقام الإمام (عليه السلام) حجته عليه بإنّ كل الأمم السالفة أتتهم الأخبار عن أنبياهم ولم يشهدوهم كما أتتكم الأخبار عن زردشت فلماذا تركتم الإيمان بهم وكلهم سواء، حتّى تحيّر وسكت فلم يجد سبيلاً إلاّ الإقرار للإمام والإذعان للحق.

٣ـ **أسلوب الحوار الإطنابي المفخم (الوصفي):** إنّ هذا النوع مِنْ الحوارات يقوم بين شخصين متكلميَن أو أكثر، وتكون مادته اللغوية وصفية تصف الأشياء والأحداث لتقريب الصور ونقلها إلى الشعور الداخلي للطرف المتلقي أو القارئ ؛لتوليد حالة مِنْ التأثير العاطفي السريع تجاه تلك الأحداث ؛ليهتدي بصحتها ويبتعد عن خطأئه ووهمه ويُصصح سلوكه[١] ، ويُلحظ أنّ هذا النوع مِنْ الأساليب يكون بنصوص أو خطب طويلة تصل إلى صفحات أحياناً وقيل "أفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلاّ بالاستقصاء."[٢] وثمّة خصيصةٌ أسلوبية رافقت حوار الاطناب الوصفي هي أنّه كان ذا عبارات موجزة ومسبوكة مفخمة المعاني مشبعة الصور متعددة الدلالات وهذا الحوار يكون بأسلوب الوصف

(١) يُنظر: التربية بالحوار، د. عبد الرحمن النحلاوي: ٢٦
(٢) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ١٩٠.

لتثبيت مضامين الخطاب في أذهان السامعين وشدهم إليها، وهذا النوع مِنْ الأساليب الحوارية انتشر بصورةٍ واسعة في احتجاجت الإمام (عليه السلام).

ومِنْ أمثلته في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في التوحيد وبيان قدرة الله تعالى قال: "ولا يتغيّر الله بتغيّر المخلوق، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود، أحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلّي لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مباين لا بمسافة، قريب لا بمداناة"[1].

يظهر هذا الأسلوب الحواري بكثرة في ثنايا نصوص الإمام (عليه السلام) ويأتي به في المواضع التي تستدعيه لمطابقته مقام الحال والموقف الحجاجي المراد إثباته، فعند قراءة النّص المتقدم وهو جزء مِنْ نص طويل يصف فيه الإمام (عليه السلام) قدرة الله تعالى واختلافه وتنزهه عن مخلوقاته التي هو خلقها، فيقول (عليه السلام): إنَّ الله تعالى منزه عن التغيير فلا يتغيّر كما تتغيّ مخلوقاته، ومنزه عن المحدودية فلا تحده الحدود، وهو واحدٌ بلا عدد وظاهرٌ بلا واسطة، وموجودٌ بلا نظر إليه، باطن بلا ستار، ولا يُقاس وجوده بمسافاتٍ فقريبٌ إلى خلقه بلا مجاورةً أو مقاربة.

٤. **أسلوب الحوار الاستدلالي (البرهنة):** وهذا النوع مِنْ الحوارت يقوم على الأسئلة والأجوبة بين طرفين متاحورين مدعوماً بالبراهين والأدلة المنطقية ؛لإثبات صحة

(1) الاحتجاج: ٢/ ١٧٦، ١٧٧.

الحجج، مما يُلزم المخَاطَب الإقرار بالأمر الذي صيغَ الحوار مِنْ أجل إقناعه وهدايته به[1]، وقد ورد هذا النوع كثيراً بصورةٍ ملفتةٍ للنَّظر في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) وقد أشرنا سابقاً أنّ احتجاجات الإمام (عليه السلام) بُنيَت على تقديم الأدلة والبراهين العلمية والمنطقية.

ومِنْ شواهده ما روي عن عبد العظيم بن عبد الحسني عن إبراهيم بن أبي محمود قال: "سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البَقَرَة : ٧]، قال(عليه السلام): "الختم هو: الطبع على قلوب الكفار عقوبةً على كفرهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٥﴾ [النِّسَاء : ١٥٥] "[2].

جرى الحوار في هذا النّص بين إبراهيم بن أبي محمود والإمام الرضا (عليه السلام) بطريقة الأسئلة ولأجوبة وكان الإمام هو مِنْ يُدير الحوار ويُظهر الدلالات، وعندما وجه إبراهيم سؤلاً للإمام الرضا (عليه السلام) عن قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ أجابه (عليه السلام) بأنَّ الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبةً ؛لهم بسب كفرهم، ومِنْ ثُمّ برهن واستدلَّ على صحة قوله مستعيناً بالقرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا

(1) يُنظر: التربية بالحوار، د. عبد الرحمن النحلاوي: ٢٣.
(2) الاحتجاج: ٢/ ١٩٧.

﴿يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٥﴾ [النِّسَاء : ١٥٥] فالحوار هنا قائم على تقديم الأدلة والبراهين المنطقية التي تُلزم المتلقي بصدق تلك الأمور التي صيغ مِنْ أجلها الحوار البرهاني، فالنتيجة أنّ كلّ كافر يَختم الله على قلبه فلا يدخله الإيمان، وهذا في مقام التحذير مِنْ عاقبة الكفر في الدنيا الذي هي الطبع على القلوب والأبصار، ومقدمةً لعذابٍ شديد ينتظرهم في الآخرة، ولهذه الحوارات تأثيرٌ في تخويف النّفوس واستمالتها للإيمان بالله تعالى.

٥ـ **أسلوب الحوار النقدي التوجيهي:** ويقوم هذا النوع من الحوارات على نقد الانحرافات والمخالفات الدينية والعقائدية بصورةٍ توجيهيةٍ لتصحيحها والعودة إلى جادة الصواب والحقّ، وقد وردت هذه الحوارات في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) وكانت توجه إلى الأتباع والمحبين لتنبيههم عن غفلتهم أو لتقصيرهم تجاه مذهبهم وأئمتهم.

ومِنْه ما وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه دخل عليه خادمه آذنه فقال:" إنّ قوماً بالباب يستأذنون عليك، يقولون: (نحن مِنْ شيعة علي (عليه السلام)). فقال: أنا مشغول فاصرفهم! فصرفهم إلى أن جاءوا هكذا يقولون ويصرفهم شهرين، ثم أيسوا مِنْ الوصول فقال علي بن موسى (عليهما السلام): إئذن لهم ليدخلوا، **فدخلوا عليه فسلموا عليه فلم يرد عليهم، ولم يأذن لهم بالجلوس، فبقوا قياماً**. فقالوا: **يا بن**

رسول الله ما هذا الجفاء العظيم، والاستخفاف بعد هذا الحجاب الصعب، أي باقية تبقى مِنَا بعد هذا؟ فقال الرضا (عليه السلام): اقرؤا: ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ** ﴿٣٠﴾ [الشُّورَى : ٣٠] ، **والله ما اقتديت إلّا بربي عزّ وجلّ وبرسوله وبأمير المؤمنين ومِنْ بعده مِنْ آبائي الطاهرين** (عليهم السلام)، **عتبوا عليكم** فاقتديت بهم. قالوا: لماذا يا بن رسول الله؟ قال: **لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين! ويحكم إنّ شيعته: الحسن والحسين وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، ومحمد بن أبي بكر الذين لم يخالفوا شيئا مِنْ أوامره، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون**، وتقصرون في كثير مِنْ الفرائض وتتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا تجب التقية، وتتركون التقية حيث لا بدَّ مِنْ التقية، لو قلتم: إنكم مواليه ومحبوه، والموالون لأوليائه والمعادون لأعدائه، لم أنكره مِنْ قولكم، ولكن هذه مرتبة شريفة ادعيتموها إن لم تصدقوا قولكم بفعلكم هلكتم، إلا أن تتداركم رحمة ربكم. قالوا:" يا بن رسول الله! فإذا نستغفر الله ونتوب إليه مِنْ قولنا بل نقول كما علمنا مولانا: نحن محبوكم ومحبوا أوليائكم، ومعادوا أعدائكم. قال الرضا (عليه السلام): **فمرحباً بكم إخواني، وأهل ودي، ارتفعوا! فما زال يرفعهم حتّى ألصقهم بنفسه**."[1]

([1]) الاحتجاج: ٢/ ٢٣٧.

عند قراء النّص نجد أنّ هنالك مقدمات قد سبقت الحوار الذي دار بين قوماً مِنْ شيعة أمير المؤمنين علي أبن أبي طالب (عليه السلام) والإمام الرضا (عليه السلام) وتلك المقدمات هي رفض الإمام (عليه السلام) مقابلتهم وبأكثر مِنْ مرّة وهذا الأمر يحمل دلالة عدم رضا الامام عنهم فهو لم يستقبلهم وزاد عدم رضاه عند دخولهم عليه وسلامهم، إذ لم يردّ السلام عليهم ولم يأذن لهم بالجلوس، هذا نوعٌ مِنْ أساليب الخطاب الإشاري الذي يدلّ على العتاب والزعل مِنْ أمرٍ ما ؛لتجعل المخاطَب يُدركُ تقصيره، وقد بدأو الحوار مع الإمام بسؤآلهم عن سبب معاملته لهم بهذه الجفوة، فردّ (عليه السلام) عليهم بالقرآن الكريم، أي أنَّ ما أصابكم بسبب أعمالكم وقول الله تعالى مصداقاً لعملكم، والله أني مقتدي بالله والرسول وبأمير المؤمنين علي وآبائي مِنْ بعده وقد عتبوا عليكم ؛لأنهم شيعته، ثُمّ نقد موقفهم لتوجيههم وتنبيههم عن تقصيرهم وغفلتهم عن أئمتهم حتّى قال لهم (ويحكم) التي تستعمل للتنبيه عن خطإٍ قد ارتكبوه وهو مخالفتهم لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وبيّن لهم أنّ شيعته هم الذين لم يخالفوا أوآمره، وهم الحسن والحسين (عليهم السلام) وأبو ذر وغيرهم، وأنتم مخالفون له ومتهاونون بحقوق أخوانكم باتباعكم التقية في غير محلها، وهذه كلها أساليب حوارية نقدية تصحيحية لتغيير المسار، والدليل على ذلك أنّهم عندما اسْتَغْفَروا الله رحب بهم وأنزلهم منزلة الإخوة ورفعهم حتّى ألصقهم بنفسه.

أنواع الحوار في احتجاجات الإمام الرضا(عليه السلام):

أولاً: الحوار الخارجي: وهذا النوع مِنْ الحوارات يدور بين متكلمٍ ومتلقٍ مستمع يُجيب على أسئلة المتكلم[١]، ويكون على نوعين هما:

١. الحوار المباشر: ويدور هذا الحوار بين شخصيتين أو أكثر في إنشاء الحديث أو العملية الكلامية ويكون بطريقة تقابلية مباشرة، فينطلق الكلام مِنْ الشخصية (س) موجه إلى الشخصية (ص) فترد الشخصية (ص) ويستمر الحوار وصولاً إلى النتيجة.[٢]

ومِنْ أمثلتهِ ما روى خالد بن الهيثم الفارسي قال:" قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام): **إنّ الناس يزعمون: أنّ في الأرض أبدالاً** فمَنْ هؤلاء الأبدال؟ قال: **صدقوا، الأبدال هم: الأوصياء،** جعلهم الله في الأرض بدل الأنبياء إذا رفع الأنبياء وخُتم بمحمد (صلى الله عليه وآله)."[٣]

جرى الحوار في هذا النّص بشكلٍ خارجي مباشر بين طرفين خالد بن الهيثم الفارسي والإمام الرضا (عليه السلام) وقد كان بطريقة نقل الخبر الذي هو قول خالد بن الهيثم (إنّ الناس يزعمون: أنّ في الأرض أبدالاً)، ومِنْ ثُمّ السؤآل بالاستفهام عن دلالة ذلك الخبر بقوله: (فمَنْ هؤلاء الأبدال؟)، فالحوار هنا مقدمة تقود إلى طلب

(١) يُنظر: الحوار القصصيّ تقنياته وعلاقاته السردية، فاتح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩م: ٤١.
(٢) يُنظر: الحوار القصصيّ تقنياته وعلاقاته السردية، فاتح عبد السلام: ٤١.
(٣) الاحتجاج: ٢/ ٢٣١

معرفة دلالة الخبر واثباتها مِنْ الطرف الثاني الإمام (عليه السلام) فيُلحظ هنالك تطابق صيغي بالأساليب إذ كان جوابه (عليه السلام) بطريقة الإخبار أيضاً، حيث أثبت صحة ذلك القول بدلالة قوله: (صدقوا) ومَنْ ثُمّ جواباً على السؤآل بقوله: (الأبدال هم الأوصياء) ويستمر بالحديث ؛ليثبت أنّ الأوصياء هم الأئمة (عليهم السلام) بذكره محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا نبي مِنْ بعده ؛لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، و يدلّ السياق على أنّ الاوصياء في الأرض جاءوا بعد إنّ رفع الله تعالى مِنْها الأنبياء وآخرهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والذين مِنْ بعده هم أهل بيته (عليهم السلام) لاغيرهم.

٢ـ الحوار غير المباشر: ويكون هذا الحوار بطريقتين الأولى يُطلق عليها (النقل غير المباشر) حيث تُضغط وتُنتقى فيه الأحداث ويُختصر زمن الحوار، والثانية يطلق عليها (المنقول المباشر) حيث يعتمد على حوارات ماضية يتم استدعائها حرفياً مع المحافظة على صيغها الزمنية.[١]

ومِنْ الحوار بالطريقة المنقولة غير المباشرة، احتجاج الإمام الرضا (عليه السلام) مع أبي قرة المحدّث في الكتب السّماوية، قال أبو قرة: "وإنّا روينا: أنّ الكتب كلّها تجئ يوم القيامة والنّاس في صعيد واحد، صفوف قيام لربّ العالمين ينظرون حتّى ترجع فيه، لأنّها مِنْه وهي جزء مِنْه، فإليه تصير. قال أبو الحسن (عليه السلام): فهكذا قالت النصارى في المسيح أنّه روحه، جزء مِنْه ويرجع فيه، وكذلك قالت المجوس في

(١) يُنظر: الحوار القصصيّ، فاتح عبد السلام: ٩١، ٩٢.

النّار والشمس أنّهما جزء مِنْه ترجع فيه، تعالى ربّنا أن يكون متجزّياً، أو مختلفاً، وإنّما يختلف ويأتلف المتجزّي، لأنّ كلّ متجزٍّ متوهّم، والكثرة والقلّة مخلوقة دالّة على خالق خلقها."[1]

نجد أنّ الحوار في هذا النّص دار بشكلٍ خارجي بين طرفين متقابلين هما أبو قرة المحدّث، والإمام الرضا (عليه السلام) وكان (عليه السلام) هو مَنْ يُدير الحوار و بطريقة نقل الحدث بصورة غير مباشرة، حيث سرّع الزمن وعرض أحداث ماضية بشكل مضغوط وأشار إلى أقوال قد قيلت في حالةٍ ومكانٍ وزمانٍ قد مضى فاستحضره واعطاه وجوداً مادياً[2] حين قال: (فهكذا قالت النصارى في المسيح أنّه روحه، جزء مِنْه ويرجع فيه، وكذلك قالت المجوس في النّار والشمس أنّهما جزء مِنْه ترجع فيه)، فعقد بين دلالة قول أبي قرة في الكتب السماوية إنَّها ترجع إلى الله يوم القيامة فهي جزء مِنْه، وبين دلالة قول النصارى في عيسى (عليه السلام) بأنّه جزء الله مِنْ فيرجع إليه، وقول المجوس في النار إنّها جزء مِنْه وترجع إليه ؛ليكون الهدف موحد أي أنّكم لا تختلفون يا أبا قرة عنهم بشيءٍ، فكلكم على خطأ ؛لأن الله تعالى منزهٌ عن التجزئة والائتلاف والوهّم، ومنزهٌ عن الكثرة والقلّة فكلّها مخلوقة ترجع إلى خالق وحاشا لله أنْ يكون مخلوقاً.

([1]) الاحتجاج: ٢/ ١٨٦.
([2]) يُنظر: الحوار القصصي، فاتح عبد السلام: ٩٢، ٩٣.

ومِنْ أمثلة الحوار بالطريقة المنقولة المباشرة، احتجاج الإمام الرضا (عليه السلام) مع أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي في التوحيد، "قال أبو الصلت: قلت: **يا بن رسول الله فما معنى الخبر الّذي رووه: أنّ ثواب لا إله إلّا الله النَّظر إلى وجه الله؟** فقال (عليه السلام) : **يا أبا الصلت فمَنْ وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبياءه ورسله وحججه عليهم صلوات الله، هم الّذين بهم يتوجّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى دينه ومعرفته،** فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧**﴾ [الرَّحْمَٰن : ٢٦ - ٢٧]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۝٨٨**﴾ [القَصَص : ٨٨] فالنَّظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه (عليهم السلام) في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين، وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله): **(مَنْ أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة)** وقال (صلى الله عليه وآله): **(أن فيكم مَنْ لا يراني بعد أن يفارقني).** يا أبا الصلت إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان، ولا يدرك بالأبصار والأوهام."[1]

نجد الحوارات الخارجية قد شاعت وبصورة كبيرة في نصوص الإمام (عليه السلام) لأنها حوارات موضوعية واقعية فهي تتحدث عن حقائق يُراد بها التغيير والتصحيح، ففي هذا النّص قام الحوار الخارجي بين أبي الصلت الهروي والإمام الرضا (عليه السلام) وقد كان حواره (عليه السلام) مبنياً على المنقول غير المابشر والمتضمن نقلاً

(1) الاحتجاج: ٢/ ١٩٠.

مباشراً حيث تداخلت الطرق الحوارية لإنتاج دلالات جديدة تُناسب الأحداث الجارية، فحين يقول أبو الصلت: (يا بن رسول الله فما معنى الخبر الّذي رووه: أنّ ثواب لا إله إلّا الله النَّظر إلى وجه الله؟) فهذا منطلق الحوار وأوله الذي يحتاج إلى رد مِنْ الإمام (عليه السلام) ولا يكون بقدر السوآل بل يزيده ؛لأن الموقف يستدعي التفصيل والاستدلال فقال له (عليه السلام): (يا أبا الصلت فمَنْ وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبياءه ورسله وحججه عليهم صلوات الله، هم الّذين بهم يتوجّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى دينه ومعرفته) وهذا حوارٌ منقول غير مباشر حيث بيّن إنّ الله منزهٌ عن التجسيم فلا وجه له ومَنْ كان له وجه جسّمه وشبّهه بمخلوقاته وهذا كفر بطبيعة الخالق وهذه نتيجة حوارية أساسية، والنتيجة الأخرى أنّ وجه الله هم الأنبياء والأئمة فهم حجج الله وهذا تعبير مجازي عن الهداية إليه التي جعلها سبحانه فيهم، ثُمّ ضَمّنْ الإمام (عليه السلام) حواره غير مباشر بحوارٍ مباشرٍ عبر نقلِ أدلةٍ بصيغتها البنائية والزمنية دون تغيير بطريقة التناص التلفظي[1] واستدلّ بآيات القرآن الكريم والآحاديث النبوية الشريفة ؛لتوليد دلالات تتطابق مع صحة قوله، ومِنْ تلك الاستدلالات أنه أثبت أنّ مَنْ يجافي أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنّه لايرى وجه النبي الذي فيه وجه الله تعالى وهدايته.

(1) يُنظر: المبدأ الحواري، تزفيتان تودوروف ،نقد ميخائيل باختين: ١٢١، ١٢٣.

ثانياً: الحوار الداخلي: وهو الحوار الذي يجري بين المتكلم ونفسه، فلا يتطلب مشترك خارجي وقد يقوم على التخيل أو مناجاة النفس.[1]

وهذا النوع مِنْ الحوارات لَمْ يكن له حضور في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) فكانت كل حوارته خارجية تستدعي حضور طرفٍ ثانٍ وهذا ما ينسجم مع طبيعة العملية الخطابية ذات الأبعاد الحجاجية وحالها.

أغراض الحوار عند الإمام الرضا (عليه السلام):

١ـ الغرض الفني: وهو ما يتعلق بعملية الإيصال والتواصل المشترك بين المتكلم والمتلقي وماوراء تلك العملية مِنْ أثر تفاعلي نفسي كالسكوت أو الإقرار والإقناع وغيره.

٢ـ الغرض الدّيني: وهو ما يتعلق بإثبات العقائد الصحيحة كالواحدنية لله تعالى وكذلك دفع الشبهات ورفع التحريف وإبطال العقائد المزيفة.

٣– للتعبير عن أفكار المتحاورين وآرائهم ويكشف عن الثقافة الفكرية التي يحملونها، ويكشف عن النفس وخبايها، من غضبٍ وطيبةٍ وغيرها.

٤– يكشف عن طبيعة العلاقة بين المتحاورين إن كانوا متصالحين أو متخاصمين.

(١) يُنظر: نظرية السرد، جيرارجينيت: ١٠٨، ١٠٩.

٥- تأكيد التفات الآخر/ المخاطَب للمتكلم والتأكيد على إيصال الرسالة بشكلٍ صحيحٍ وكاملٍ.

٦- غرض تربوي كما في قول القوم الذين قالوا نحن من شيعة عليٍ أمير المؤمنين فحوارهم الإمام (عليه السلام) بحوارٍ ذات أبعادٍ تربوية أخلاقية.

ونستنتج مما تقدّم أنّ احتجاجات الإمام (عليه السلام) قد بُنيَت على الحوارات المتعددة الأساليب والتي توافق الدلالات المقصودة للنّصوص المصاغة، وقد أهتمت بعاملي الزمان والمكان، وكذلك تنوع الشخصيات التي لها دور كبير في تحديد مسار الخطاب الحواري ودلالاته.

الخاتمة

النتائج

أحمدُ الله وأشكره لمَنّه عليّ بدراسة تراث أحد أوليائه وأصفيائه، وأحمدهُ سبحانه على نعمه أنْ جعلني على نهجهم و ولايتهم.

انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج هي:

- قدّمَ الإمام الرضا (عليه السلام) نتاجًا فكريًا تمثّل باحتجاجاته التي شكّلت نقطة تحوّل فكرية وعقائدية في تاريخ الدين الإسلامي، فكانت منهجاً دفاعياً وإقناعياً متعدد الأساليب والرؤى، كان له بالغ الأثر في تغيير الواقع، وانبثاق عهداً جديداً؛ لذلك لما شعر المأمون بخطورة تأثير الإمام (عليه السلام) على الواقع الاجتماعي المتراجع نتيجة انحراف السلطة آنذاك، عمد إلى اغتيال الإمام الرضا (عليه السلام).
- شكّلت ظاهرة النّبر الصوتي في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) أداةً أسلوبيةً فعالةً، إذ كشفت المقاطع اللسانية الكلامية المنبورة عن دلالات النّص التي تُفصح عن المقاصد التأويلية للمنطوق اللساني، فكانت وسيلة تنبيهيه ناجعة.
- استخدم الإمام (عليه السلام) المزدوجات الصوتية التسجيعية بأنواعها المختلفة؛ للمساهمة في كشف المقاصد الدلالية للنصوص الاحتجاجية، وقد وزّع تلك الأنواع بنسب متقاربة في مختلف نصوصه، ولم نلحظ هيمنة نوع على الأنواع الأخر، ولم تكن غاية توظيف هذه التقنية في احتجاجات الإمام (عليه السلام)

أظهار البراعة أو التزويق كما جرت العادة في كثير من النّصوص، إنما وظفها (عليه السلام) في مواضع السرد الحواري العلمي الإقناعي.

- مثّل التكرار الصوتي مظهراً أسلوبياً مميزًا وأساسيًا في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام)، كان له أثرٌ مهم في كشف المقاصد الدلالية للوحدات الصوتية المتكررة لمناسبتها مع المعاني المحمولة الموجهة؛ لتكوين حالة مِنْ الضغط النفسي والشعوري في أعماق المتلقي واستقطابه نحو ذلك القصد.
- أهتمّ الإمام الرضا(عليه السلام) أشد الاهتمام بنسِج تراكيب احتجاجاته، وأولى عناية خاصة لانتقاء الأدوات اللغوية واختيار الأساليب المؤثرة؛ لتحقيق أعلى درجات الاتصال اللغوي والدلالي، فنجده (عليه السلام) ركّز في احتجاجاته على أسلوبي (النفي والتوكيد)، ومعلومٌ أنّ أسلوب النفي يُمثل العامل الحجاجي الأول والأقوى الذي يُسيّر عملية الحوار، ويَرسِم أهداف المتكلم؛ لما فيه مِنْ معاني فورية وقطعية تحدد المسارات الدلالية، ويؤسس لدلالات جديدة مغايرة، ويأتي أسلوب التوكيد بالمرتبة الثانية بعد النفي في بناء الاحتجاجات وتوجيه دلالاتها وحصرها، وخاصة التوكيد بأسلوب القصر الذي يرافق سياق النفي، وهذا ما نجده جلياً في احتجاجات الإمام (عليه السلام) مستثمراً تلك الأساليب و محققاً أعلى درجات التأثير في المتلقي وهذا ما شهدناه عند سكوت خصومه وإقرارهم له.

- وجدتُ عند إحصائي لأسلوبَي النفي والتوكيد أنهما قد شكّلا ظاهرةً أسلوبيةً تكررت في أغلب نصوص الإمام (عليه السلام) و لم يكن التكرار في هذه الأساليب عشوائيًا، إنما جاء منسجمًا مع الحاجة لمواجهة الانحراف الفكري العميق الذي ساد لدى الخصوم والمحاججين آنذاك، فكان سببًا في توظيف الإمام (عليه السلام) لهذا السيل مِنْ الأساليب وأدواتها.
- شكّلت أساليب (الاستفهام والنداء والأمر) في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) أدواتًا فعالةً أضفت ديناميكية فكرية ودلالية ساهمت بوضوح في أقناع المتلقي في قبول مضامين النصّ، وقد انمازت هذه الأساليب بالانزياحات المجازية التي جاءت في سياقاتها اللغوية والحالية، كذلك ساهمت تلك الأساليب التركيبية بالكشف عن الأبعاد الأسلوبية التي تميّز بها نصّ الإمام الاحتجاجي.
- استخدم الإمام الرضا (عليه السلام) في نصوصهِ الاحتجاجية بشكل مكثف ومطّرد أساليب (الاستفهام والنداء والأمر) والسبب في ذلك حاجته لتنويع وسائل الخطاب مع الآخر؛ لعمق الاختلاف العقائدي بينهما؛ ولأن النجاح في الاحتجاجات يكون لصاحب الدليل الأبلغ والأقوى، وقد تحقق له (عليه السلام) ما أراد؛ لقوة حجّته المدعومة بالأساليب المتنوعة و المُقنعة.
- استطاع الإمام (عليه السلام) أن يعبّر عن غاياته التعبيرية المجازية عبر توظيف أسلوب العدول التركيبي في احتجاجاته، إذ ساهم هذا الأسلوب في كشف

المضامين المستترة خلف النسيج التركيبي المعدول له، وهذا ما نجده في أسلوب التعريف والتنكير الذي زاد مِنْ مساحة تأويل الدلالات وتوجيهها بما ينطبق مع دلالات النّص المقصودة، كذلك حقق العدول بأسلوب الالتفات قيمة تعبيرية ساهمت في اتساع الدلالات الحوارية للنّص الحجاجي، كما كان للضمائر أثرٌ واضح في تنويع الأثر الدلالي الاقناعي.

- تمثل البنية الدلالية القيمة المعنوية والخلاصة التعبيرية للنّص، وهذا يتجلى بالانزياحات الدلالية التي كسرت القواعد التركيبية المألوفة، وساهمت في توسيع معاني الألفاظ المعجمية؛ لتخرج دلالات مجازية مؤثرة، وهذه الثيمة الاتساعية في المعاني التي كانت موجودة في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) كشفت عن عمق بناء النّصوص التي حاول عبرها الإمام (عليه السلام) فرض واقع جديد يمكنه مواجهة التيار الفكري المنحرف السائد آنذاك.
- شكّل التكثيف الإيحائي المتمثل بـ (الإيحاء التشبيهي والاستعاري والكنائي والمجازي) في احتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) عاملاً تصويرياً تجسيدياً، نقل الأبعاد التعبيرية الكلامية في نصوصه (عليه السلام) إلى صورٍ حيةٍ ، حاول (عليه السلام) عبرها أن يحوّل ذهن المتلقي تجاهها؛ لما تمتلكه تلك الصور من خصوصية تعبيرية و قدرةٍ تأثيرية مميزة تجعل المتلقي يشعر بأنه يرى تلك

الأحداث والصّور، وقد رأينا نتائج هذا الأسلوب في نهاية أغلب احتجاجاته (عليه السلام).

- نجح الإمام الرضا (عليه السلام) في توظيف المرجعيات الدينية في احتجاجاته، إذ جعل منها عنصراً أسلوبياً استدلالياً مهمًا اتكأت عليه نصوصه، مستمدًا منها طاقة حجاجية مؤثرة في البرهنة والإقناع، فضلًا عن قيمتها الجمالية التعبيرية، خاصةً توظيف آيات القرآن الكريم وأحاديث نبيه الكريم وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) سواءً كان التوظيف نصّاً أو لفظاً أو معنى، فلا يكاد يخلو منها أي نص حجاجي له (عليه السلام)؛ لأنها كانت تمثل ثوابته ومنطلقاته الفكرية.
- لجأ الإمام الرضا (عليه السلام) في احتجاجاته إلى أسلوب الحوار المبني على احترام الآخر، وعدم الانتقاص مِنْ أي شخصٍ مهما كان مستواه الفكري، كما انمازت حواراته بكونها علمية ودينية ارتكزت على الأدلة والبراهين العقلية والمنطقية، وقد تنوعت أساليب الحوار لدى الامام (عليه السلام) بتنوع المواضيع المراد التحاجج فيها، فتارةً يستعمل الحوار المباشر وتارةً يستعمل الإخبار وتارةً أخرى أسلوب الحوار القائم عل السؤال والجواب ومرةً يستعمل الأسلوب النقدي التوجيهي، وينم هذا التنوع في أساليب الحوار على دراية عالية بهذه التقنية التخاطبية، فضلًا عن أنها تدلل على قدرة علمية خاصة تميّز بها الإمام الرضا (عليه السلام).

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا وشفيعنا محمد (صلى الله عليه وآله واسلم) وعلى آله الغر الميامين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

📖 **القرآن الكريم.**

(أ)

- الإتصال الخطابي وفن الإقناع، د.كريمة أحسن شعبان، دار أسامة للنشر والتوزيع- الأردن- عمان، ط١، ٢٠١٥م.
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكرجلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٧٤م.
- الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، تعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان- النجف الأشرف، د.ط، ١٩٦٦م.
- إحصاء العلوم، لأبي نصر الفارابي، تح: د. علي ابو ملحم، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر -بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- الأزهية، علي بن محمد النحوي الهروي(ت: ٤١٥هـ)، تح: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية- دمشق، ط٢، ١٩٩٣م.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تح: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د. صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة- مصر، ط١، ١٩٨٦م.
- أساليب بلاغية (الفصاحة- البلاغة- المعاني)، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات- الكويت، ط١، ١٩٨٠م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغين، د.قيس اسماعيل الأوسي، المكتبة الوطنية- بغداد، د.ط، ١٩٨٨م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، د.عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتب الجديد المتحدة- بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
- أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان،ط١، ٢٠٠١م.
- أسرار الترادف في القرآن الكريم، د.علي اليمني دردير، دار ابن حنظل- الفيوم- مصر، د.ط، ١٩٨٥م.
- أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لاصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط٨، ١٩٩١م.
- الأسلوبية، بييرجير، تر: منذر عياشي، دار الحاسوب للطباعة – حلب، مركز الإنماء الحضاري، ط٢، ١٩٩٤م.
- الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب- تونس، ط٣، د.ت.

- الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع – عمان، ط١، ٢٠٠٧م.
- الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي، مركز انماء الحضاري- حلب- سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.
- الأصوات اللغوية، د عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع- عمان- الأردن، ط٢، ٢٠١٤م.
- الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٥م.
- أصول الإنشاء والخطابة، العلامة محمد الطاهر بن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ)، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المناهج- الرياض، ط١، ٢٠١٢م.
- إعجاز القرآن للباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط٥ ،١٩٩٧م.
- إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت:٤٠٣هـ)، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف- مصر ، ط٥، ١٩٩٧م.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد بن مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص- سورية، (دار اليمامة- دمشق- بيروت)، (دار ابن كثير- دمشق- بيروت) ط٤، ١٤١٥هـ.
- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تح: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات- بيروت- لبنان، د.ط، ١٩٨٣م.

- أفانين الخطاب الإقناعي في كتاب سيبويه دراسة تأصيلية، د. رجاء عجيل الحسناوي، مكتبة العلامة أبن فهد الحلي- كربلاء المقدسة- العراق، ط١، ٢٠١٦م.
- أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب(ت:٦٤٦هـ)، تح: د. فخر صالح سليمان ، دار عمان- الأردن- دار الجيل- بيروت، د.ط، ١٩٨٩م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري(ت:٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية- بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين المدني علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني (ت: ١١١٩هـ)، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان- النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٩م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن جلال الدين القزويني (ت: ٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل- بيروت، ط٣، د.ت.

(ب)

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء- بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.
- بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة- مصر، د.ط، ٢٠١٣م.

- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (ثم صوّرته دار المعرفة– بيروت– لبنان، ط١، ١٩٥٧م.
- البلاغة العربية تأصيل وتجديد، د.مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف– الاسكندرية– مصر، د.ط، ١٩٨٥م.
- البلاغة العربية،عبد الرحمن بن حسن حبنّكة الميداني الدمشقي (ت:١٤٢٥هـ)، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليث، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق– بيروت– لبنان، د.ط، ١٩٩٩م.
- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون– بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
- البلاغة والتطبيق، د.أحمد مختار عمر و د. كامل حسين البصير، مطابع بيروت الحديثة– بيروت– لبنان، ط٤، ٢٠١٥م.
- بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي، د. محمد عبد المطلب، دار المعارف– القاهرة– مصر، ط٢، ١٩٩٥م.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال – بيروت، د.ط، ١٤٢٣هـ.

(ت)

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بملاتضى الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية- الكويت، د.ط، ١٩٦٥م.

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني البغدادي (ت: ٦٤٥هـ)، تح: د. حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، د.ت.
- التربية بالحوار، د. عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر- دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.
- التصوير المجازي والكنائي تحرير وتحليل، د.صلاح الدين محمد أحمد، مكتبة سعيد رأفت- مصر، ط١، ١٩٨٨م.
- التطور النحوي للغة العربية، بر جشتراسر، تح: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.
- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان- الأردن، ط٤، ٢٠٠٦م.
- تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت:٧٧٤هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- التفكير الأسلوبي، سامي محمد عبابنة، عالم الكتب الحيث للنشر والتوزيع، إربد- عمان، ط٢ ،٢٠١٠م.

- التقابل النصي في رائية المهلهل بن ربيعة، د.أحمد عبد العال سعيد، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، المجلد: ١٤، العدد:٤١، ٢٠١٨م.
- التكرار في شعر محمود درويش، فهد ناصر عاشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.
- التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية قراءة نافع أنموذجا، د. فضيلة مسعودي، دار الحامد- عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.
- التكرير بين المثير والتأثير، د.عز الدين علي السيد، عالم الكتب- بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.
- التمهيد في علم التجويد، شمس الدين أبو الخير بن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف(ت:٨٣٣هـ) ، تح: د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف الرياض- الرياض، ط١، ١٩٨٥م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- توجيه اللمع، أحمد بن الحسين بن الخباز، تح: د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع- مصر، ط٢، ٢٠٠٧م.

(ج)

- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري(ت:٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد بن سليم الغلاييني(ت:١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط٨، ١٩٩٣م.

- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير ضياء الدين، تح: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي- بغداد- العراق، د.ط، ١٣٧٥هـ.

- جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د.ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر ،وزارة الثقافة والاعلام العراقية- بغداد، د.ط، ١٩٨٠م.
- جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي- دمشق، ط٢، ١٩٩٩م.

- جمالية التلقي في القرآن الكريم أدبية الاعجاز القرآني نموذجا، شارف مزاري، إتحاد الكتاب العرب- دمشق- سوريا، د.ط ، ٢٠٠٩م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- الجنى الداني في حروف المعاني،أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي(ت: ٧٤٩هـ)، تح: د فخر الدين قباوة- الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط، ١٤١٣هـ.
- الجناس- بلاغة- أدب- نقد، علي الجندي، دار الفكر العربي- مصر- القاهرة، د.ط، د.ت.
- جناس الجناس في علم البديع، العلامة صلاح الدين الصفدي، مطبعة الجوائب- قسطنطينية، ط١، ١٨٨١م.
- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، د. عبد السميع النيراني، دار الغوثاني- دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.

- جـواهر البلاغـة فـي المعـاني والبيـان والبـديع: أحمـد الهاشـمي، تـح: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، د.ط ، د.ت.
- جـواهر الكـلام فـي شـرائع الإسـلام، الشـيخ محمـد حسـن النجفـي، دار إحيـاء التراث العربي، ط٧، ١٩٨١م.

(ح)

- الحجـاج بـين النظريـة والأسـلوب عـن كتـاب نحـو المعنـى والمبنـى، باتريـك شـاردوا، تـر: د. أحمـد الـوردني، دار الكتـب الجديـد المتحـدة- بيـروت- لبنان ،ط١، ٢٠٠٩م.
- الحجـاج فـي التواصـل، فيليـب بروطـون، تـر: محمـد مشـبال و عبـد الواحـد التهـامي، الهيئـة العامـة المصـرية للكتـب- مصـر- القـاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
- الحجـاج فـي الحطـاب الـديني مقاربـةٌ فـي منـاظرات الإمـام الرضـا عليـه السـلام، زهـرة عـلاوي النـاجي، جمعيـة العميـد العلميـة والفكريـة- كـربلاء- العراق، د.ط، ٢٠٢١م.
- حـروف المعـاني والصـفات، عبـد الـرحمن بـن إسـحاق النهاونـدي الزجـاجي (ت: ٣٣٧هـ)، تـح: علـي توفيـق الحمـد، مؤسسـة الرسـالة- بيـروت، ط١، ١٩٨٤م.
- الحـوار أُفقـا للفكـر، د. طـه عبـد الـرحمن، الشـبكة العربيـة للأبحـاث والنشـر، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٣م.
- الحـوار القصصـيّ تقنياتـه وعلاقاتـه السـردية، فـاتح عبـد السـلام، المؤسسـة العربية للدراسات والنشر- بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

(خ)

- الخـرائج والجـرائح، أبـو الحسـن سـعيد بـن هبـة الله قطـب الـدين الراونـدي (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيـق ونشـر: مؤسسـة الإمـام المهـدي عليـه السـلام- قـم المقدسة، ط١، ١٤٠٩هـ.
- خزانـة الأدب وغايـة الأرب، ابـن حجـة الحمـوي تقـي الـدين أبـو بكـر بـن عبـد الله الحمـوي الأرزي(ت٨٣٧هـ)، تـح: عصـام شـيقو، دار ومكتبـة الهـلال – بروت – لبنان، ط الأخيرة، ٢٠٠٤م.
- الخصـائص، أبـو الفـتح عثمـان بـن جنـي الموصـلي، الهيئـة المصـرية العامـة للكتاب، ط٤، د.ت.

(د)

- دراسـات فـي اللغـة، د. كمـال بشـر، دار غريـب للطباعـة والنشـر والتوزيـع- القاهرة- مصر، د.ط، ١٩٩٨م
- دراسـة الصـوت اللغـوي، د.أحمـد مختـار عمـر، عـالم الكتـب – مصـر- القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م.
- دلالة الالفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٦م.
- دلائـل الإعجـاز، أبـو بكـر عبـد القـاهر بـن عبـد الـرحمن بـن محمـد الجرجـاني، تـح: محمـود محمـد شـاكر، مطبعـة المـدني بالقـاهرة- دار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٢م.
- ديـوان المبتـدأ والخبـر فـي تـاريخ العـرب والبربـر ومـن عاصـرهم مـن ذوي الشـأن الأكبر،عبـد الـرحمن بـن محمـد بـن محمـد، ابـن خلـدون أبـو زيـد، ولـي الـدين الحضـرمي الإشـبيلي، تـح: خليـل شـحادة، دار الفكـر- بيـروت، ١٩٨٨م.

(س)

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي(ت٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
- شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية، محمد توفيق محمد سعيد، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، ط١، ١٤٢٢هـ.
- شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أبو عبد الله أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي http://alhazme.net.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري(ت: ٧٦٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، ١٩٨٠م.
- الشرح المختصر على نظم الآجرومية أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي http://alhazme.net:.
- شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله بن مالك جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ)، تح: د. عبد الرحمن السيد/ د. محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر، ط١، ١٩٩٠م.
- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان، تح: أحمد حسن مهدلي/.علي سيد علي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

- شرح المفصل للزمخشري، تأليف: يعيش بن علي بن يعيش(ت: ٦٤٣هـ)، تح: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠١.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح : أحمد محمد شاكر، دار المعارف– القاهرة– مصر، د.ت.

(ص)

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين– بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

(ط)

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي المؤيد العلوي(ت: ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية– بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.

(ع)

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي أبو حامد بهاء الدين السبكي(ت٧٧٣هـ). تح: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر– بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (ت:٣٨١هـ)، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد– الرياض– السعودية، ط١، ١٩٩٩م.
- علم ألاسلوب مبادئه وإجراءته، د.صلاح فضل، دار الشروق – القاهرة– مصر، ط١، ١٩٩٨م.

- علم الأصوات بتريل مالبرج، تر: د.عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب- القاهرة- مصر، د.ط، د.ت.
- علم الأصوات، د.كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، د.ط، د.ت.
- علم البديع، عبد العزيز عتيق (ت:١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، د.ط ، د.ت.
- علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية- بيروت- لبنان، د.ط، ١٤٠٥هـ.
- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.
- علم الدلالة، بييرجيرو، تر: د. منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق- أوتوستراد المزة، ط١، ١٩٨٨م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، دار الفكر العربي- القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.
- علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، د. عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني- بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، أحمد بن مصطفى المراغي (ت:١٣٧١هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٩٣م.
- علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، د.محمد أحمد قاسم- د. محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب- طرابلس- لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن ابن رشيق القرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.

- العميد في علم التجويد، محمود بن علي بن بسة المصري(ت١٣٦٧هـ)، تح: محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة- الإسكندرية- مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
- عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، تصحيح وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي- بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

(ف)

- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د.طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي- بيروت،ط٢، ٢٠٠٠م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي- بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.

(ق)

- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، ط٨، ٢٠٠٧م.
- قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، تر: محمد الولي/ مبارك حنون، دار توبقال- الدار البيضاء- المغرب، ط١، ١٩٨٨م.

(ك)

- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد أبو العباس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالفكر العربي- القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر ، ط٣، ١٩٨٨م.
- كتاب أدوات الأعراب، ظاهر شوكت البياتي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٣م.
- كتاب التوحيد، للشيخ الصدوق، تح: السيد هاشم الحسيني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، د.ط، د.ت.
- كتاب الجامع الكبير في علم التجويد، نبيل بن عبد الحميد بن علي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر- مصر، ط١، ٢٠٠٥م.
- كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، دارالكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- كتاب شرح حماسة أبي تمام دراسة موازنة في منهجها وتطبيقها، أبو القاسم زيد بن علي الفارسيّ(ت:٤٦٧هـ)، تح: محمد عثمان علي، دار الأوازعي- بيروت، ط١، د.ت.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى مهران العسكري، تح: علي محمد الجباوي/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية- بيروت، د.ط، ١٤١٩هـ.

- كتاب العين،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د.مهدي المخزومي/ د.إبراهيم السامرائي،مؤسسة الأعلمي- بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- كتاب الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- قم المقدسة- الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام- مشهد المقدس، ط١، ١٤٠٦هـ.
- كتاب في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، د.سعد مصلوح، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية- القاهرة- مصر، ط١، ١٩٩٣م.
- كتاب كشف شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بمن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي(ت:٧٣٠هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.
- كتاب متن الآجرومية، ابن آجُرُّوم، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي أبو عبد الله (ت: ٧٢٣هـ)، دار الصميصعي- الرياض- السعودية، د. ط ، ١٩٩٨م.
- كتاب الموسيقى الكبير، الفيلسوف أبي نصر الفارابي (ت: ٣٣٩هـ)، تح:غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر- القاهرة، د.ط، د.ت.
- كتاب من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي بدوي (ت:١٣٨٤هـ)، نهضة مصر- القاهرة، د.ط، ٢٠٠٥م.

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي التهناوي (ت:١١٥٨هـ)، تح: د.علي دحروج، مكتبة لبنان- ناشرون – بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- الكلمة دراسة لغوية معجمية، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر- الاسكندرية، د.ط، ١٩٩٨م.

(ل)

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري(ت:٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د .طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي – بيروت – لبنان، ط١ ،١٩٩٨م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦م
- اللغة والابداع، مبادئ علم ألاسلوب العربي، د.شكري محمد عياد، دار انترناشيونال برس- القاهرة- مصر، ط١، ١٩٨٨م.
- اللغة والحجاج، د.ابو بكر العزاوي، العمدة في الطبع- الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.

(م)

- المبدأ الحواري، تزفيتان تودوروف ،نقد ميخائيل باختين، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير (ت:٦٣٧هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- بيروت، د.ط، ١٤٢٠هـ.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميدلني النيسابوري(ت: ٥١٨هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة- بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: علي النجدي ناصف/ د. عبد الفتاح إسماعيل، وزارة الأوقاف المصرية- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة، د.ط، ١٩٩٤م.
- المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، الصاحب بن عباد (ت:٣٨٥)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب- بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار- عمان الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط ٣، ١٩٩٧م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:٩١١ هـ)، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

- مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت: ١٤٠٥هـ)، تح: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، د.ط، د.ت.
- مسند الأمام الرضا عليه السلام، عزيز الله عطاردي الخبوشاني، مكتبة الصدوق، طهران، ط١، ١٣٩٢هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.
- معاني الحروف، علي بن عيسى بن عبد الله ابو الحسن الرماني، تح: الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، د.ط، د.ت.
- معاني النحو، د. فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- الأردن ، ط١، ٢٠٠٠م.
- معجم علم الأصوات، د. محمد علي الخولي، مطابع الفرزدق التجارية- الرياض- السعودية، ط١، ١٩٨٢م.
- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، التعاضدية العالمية للطباعة والنشر صفاقس- تونس،ط١، ١٩٨٦م.
- معجم المصطلحات الأدبية، نواف نصار، دار المعتز للنشر والتوزيع- عمان- الاردن، ط١، ٢٠١١م.

- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتب اللبناني- بيروت- لبنان، سوشبريس- الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان- بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير نجيب اللبدي، موسسة الرسالة- دار الفرقان، ط١، ١٩٨٥م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبوالحسين(ت:٣٩٥)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- دمشق- سوريا، د.ط، ١٩٧٩م.
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية- القاهرة، دار الدعوة، د.ط، د.ت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت:٧٦١هـ)، تح: د.مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، دار الفكر- دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت:٦٢٦هـ)، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دار الشامية - دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- مقامات الحريري، أبو محمد القاسم بن علي الحريري (ت: ٥١٦هـ)، مطبعة المعارف- بيروت، د.ط، ١٨٧٣م.

- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأسدي أبو العباس المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.

- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر– القاهرة، مطبعة الرسالة، د.ط، ١٩٥٥م.
- من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، د. جميل حمداوي، أفريقيا الشرق– المغرب، د.ط، ٢٠١٤م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد بن حسن ابن حازم القرطاجني أبو الحسن (ت:٦٨٤هـ)، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب– تونس، ط٣، ٢٠٠٨م.
- المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، مكتبة الجامعة الأزهرية– مصر، د،ط ، د.ت.
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمديّ، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف– بيروت– لبنان ، ط٤، ١٩٦٠م.

- موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٢ ،١٩٥٢م.
- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

(ن)

- النحو المصفى، د. محمد عيد، عالم الكتب– القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

- النحو الوافي، عباس حسن (ت: ١٩٧٨م)، دار المعارف- مصر، ط ٥، د.ت.
- نزار قباني، دراسة جمالية في البنية والدلالة، د. عصام شرتح، دار الخليج- عمان- الأردن، ط١، ٢٠١٨م.
- نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي، غراتشيا غابوتشان، تر: د.جعفر دك الباب، مطابع مؤسسة الوحدة- دمشق- سوريا، د.ط، د.ت.
- نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشروق – القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- نظرية البيان العربي (خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي- تنظير وتطبيق-)، د.رحمن غركان، دار الراني للدراسات والترجمة والنشر- سوريا- دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.
- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، تر: د. الحسين بنو هاشم، دار الكتب الجديد المتحدة – بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٤م.
- نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، جيرار جنيت، تر: ناجي مصطفى، دار الخطابي- الدار البيضاء- المغرب، ط١، ١٩٨٩م.
- النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، د. إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة- عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج، مطبعة الجوائب- قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.

- النكت في إعجاز القرآن الكريم، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني، تح: محمد خلف الله- د. محمد زغلول سلام، دار المعارف- مصر، ط٣، ١٩٧٦م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري (ت: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، تح: د. نصر الله حاجي مفتي اوغلى، دار صادر- بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- النهاية في غريب الحدبث والأثر، مجد الدين أبو السعادات محمد بن محمد ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية- بيروت، د.ط، ١٩٧٩م

(هـ)

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية- مصر، د.ط، د.ت.

(و)

- الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محي الديب مستو، دار الكلم الطيب/ دار العلوم الإنسانية- دمشق، ط٢، ١٩٩٨م.

الأطاريح والرسائل الجامعية

- أدب الإمام الجواد (عليه السلام)، دراسة أسلوبية، مينا رضا كاظم حسين (رسالة ماجستير)، جامعة بابل- كلية العلوم الإسلامية- لغة القرآن، ٢٠١٨م.
- أدوات التوكيد في المعلقات السبع (دراسة نحوية دلالية تطبيقية)، علي السماني يوسف آدم (رسالة ماجستير)، جامعة أم درمان، كلية اللغة العربية- السودان، ٢٠٠٦م.
- أساليب التوكيد في صحيح مسلم (دراسة نحوية، تطبيقية، تحليلية)، عصام الدين سد الختم (رسالة ماجستير)، جامعة أم درمان الإسلامية- كلية اللغة العربية- السودان، ٢٠٠٤م.
- أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية، علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي (رسالة ماجستير)، اللملكة العربية السعودية- جامعة أم القرى- كلية اللغة العربية، ١٩٩١م.
- الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة دراسة تداولية)، محمد مدور(أطروحة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر- باتنة- كلية الآداب واللغات- الجزائر،٢٠١٤م.
- تحولات بنى الخطاب القرآني في مشاهد القيامة والقص دراسة أسلوبية، بلقيس كولي محمد الخفاجي (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية- قسم اللغة العربية- جامعة بغداد، ٢٠٠٥م.
- التصوير البياني في شعر القطامي دراسة وتحليل، مزروقة عبد الله السفياني (رسالة ماجستير)، جامهة أم القرى- كلية اللغة العربية- المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م.

- خطب نساء أهل البيت (عليهم السلام) بعد واقعة الطف دراسة أسلوبية، خنساء مهدي حمود (رسالة ماجستير)، كلية الآداب- جامعة البصرة، ٢٠١١م.
- الزمن في الرواية العربية (١٩٦٠- ٢٠٠٠)، مها حسن يوسف عوض الله، (أطروحة دكتوراه)، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م.
- المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) دراسة أسلوبية، إدريس طارق حسين (رسالة ماجستير)، كلية التربية- جامعة بابل، ٢٠٠٦م.

البحوث

- أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن مسى عليه السلام، ابتسام بن خراف، مجلة كلية الآداب واللغات- جامعة الحاج لخضر- بانتة- الجزائر، العدد:١٢، ٢٠١٣م.
- بلاغة أسلوب الالتفات في الخطاب القرآني (دراسة في المفهوم والوظيفة)، د. زينب دوادي، أ. يحيى بن مخلوف، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الحاج لخضر- باتنة. الجزائر، العدد: ٧، ٢٠١١م.
- التماسك النصي في شعر أحمد مطر (قصيدة العشاء الأخير أنموذجاً)، د. تحسين فاضل عباس، مجلة اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب- جامعة الكوفة، العدد: ٢٠، ٢٠١٤م.
- التماسك النصي ودوره في إنتاج الدلالة، د. إبراهيم محمد أحمد الدسوقي، كلية اللغة العربية- جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية- ماليزيا،٢٠١٨م.

- الطباق في الصحيفة السجادية، جعفر علي عاشور، م.م هدى حسين مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد: ١٢، ٢٠١٢م.
- مصادر الصورة الفنية ووظيفتها وآلياتها في المراثي الجزائرية القديمة، أ. بو علاوي محمد، جامعة المسلية- الجزائر، مجلة الباحث، العدد:٨، ٢٠١١م.
- المنهج الأسلوبي في تحليل الخطاب الإبداعي، أ. ميس عودة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات- العدد الخامس والعشرون- أيلول ٢٠١١م.
- النفي في الجملة العربية وعلاقته بالمعنى، د. محمد حسين النقيب، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد: ٨، العدد: ٣، يونيو ٢٠١٤م.
- البداء، تطبيق شبكة الإمام علي (عليه السلام) (مقال)، مجلة اليقين- النجف الأشرف، العدد: ٦٣.
- حجاجية عامل النفي في الخطاب التفسيري ابن عاشور أنموذجاً (مقال)، أ. ميلود عباس، جامعة المدية، مجلة المدوّنة، المجلد: ٥، العدد: ١، ٢٠١٨م.
- ظاهرة التكرار الصوتي في نهج البلاغة (المثل أنموذجا) (مقال)، د. عبد الهادي الحكيم، ينابيع الحكمة، ٢٠١٨م.
- لسان الحال في أدب الطف بين المشروعية والمنع (مقال)، الشيخ مشتاق طالب الساعدي، مؤسسة وارث الأنبياء، مجلة الإصلاح الحسين، المجلد: ٨، العدد: ٣ ، ٢٠١٣م.

- معـــاني (إنّمـــا) أم معـــاني الحصـــر بهـــا (مقـــال)، د. أبـــو أوس إبـــراهيم الشمســـان، مؤسســـة الجزيـــرة للصـــحافة والطباعـــة والـــنشر- الســـعودية، ١٤/١٢/ ٢٠١٣م.

- الهندسـة الصـوتية للتكـرار وأثرهـا فـي المتلقـي (مقـال)، د.عبـد الفتـاح أحمـد يوسف، الموسوعة الإسلامية، ١١/ تموز/ يوليو ٢٠٢٢م.

ABSTRACT

Praise be to God who taught by the pen, taught man what he did not know, and blessings and peace be upon the greatest prophet and the guide to the straight path of God, and the envoy as a mercy to the worlds, and upon his family the pure arguments and the manifest truth.

But after:

The Ahl al-Bayt (peace be upon them) has a heritage at all levels, and it was forcibly disappeared for quite a long period of time. There was a common desire with my respected professor, Dr. Supervising Dr. Ali Al-Sharifi, to shed light on that heritage in order to show the literary and artistic values and the true religious and ideological goals behind it. Entering the depths of the pilgrimage text of Imam al-Ridha (peace be upon him) to reveal its moral and aesthetic connotations, and how to use linguistic elements in establishing conversational relationships at the highest levels of intellectual and aesthetic awareness of influence, so it was characterized by uniqueness and distinction.

The thesis has taken from stylistic studies a way to reveal themerits of that precious heritage in a study called (Protests of Imam al-Rida (peace be upon him) a stylistic study) to create a state of communication and amalgamation between heritage and modernity, and the texts of the Imam (peace be upon him) were a beacon to that study.

After exploring and extrapolating the scientific research material, I relied on God to draw up his plan, which was organized into an introduction, a theoretical preface, three chapters, a conclusion, a list of

sources and references, and a summary in English. .

The first chapter, marked with (phonetic level), consisted of a theoretical introduction and four sections. The first topic was a study of (the phenomenon of phonetic stress), which is manifested in (verbal stress and sentence stress), and in the second topic, I studied (acoustic pairs), and in the third topic, I studied (In the fourth topic, I studied (the phenomenon of vocal repetition).

The second chapter was marked with (the syntactic level) and I started it with a theoretical approach, and three sections, so I studied the first topic (the declarative method) and it was manifested by my methods (negation and affirmation), and in the second topic I studied (the structural method) and it was manifested by the methods of demand (interrogation, appeal, and command), and in the third topic I studied (stylistics of structural reversal) and it was manifested by (definition, denial and the phenomenon of turning around).

The third chapter was marked with (the semantic level) and I started it with a theoretical entrance, and three sections. The first topic was called (religious references), in which the study of (Quranic employment, the noble Prophet's hadith, and the sayings of the infallible imams (peace be upon them) as well as the study of the employment of the heavenly books and the sayings of the prophets) was presented. Peace be upon them)), and the second topic was characterized by (suggestive intensification), in which I studied (similarity, allegorical suggestion, metaphorical suggestion, and metaphorical mental suggestion), and the third topic was characterized by (stylistic dialogue).

.....ABSTRACT.....

The researcher who takes stylistic studies as a method in his research must determine the stylistic paths on which his study was based. In my study, I relied on the pairing of different types of stylistics to produce realistic results. The first chapter (Vocal Level) proceeded on the phonemic stylistic approach, which was concerned with revealing vocal phenomena and expressive stylistics. that reveal the intended semantics of those acoustic phenomena.

In the second chapter (the synthetic level) statistical stylistics were adopted, which was concerned with the inventory and counting of synthetic tools such as interrogative tools and others to determine the goal of their repetition, and then used expressive stylistics to reveal the emotional and semantic impact of those structures and their tools.

As for the third chapter (the semantic level), the formative stylistics were adopted, which searches for the hidden metaphorical and indicative aesthetic meanings such as simile and others, and expressive stylistics stand by it to reveal the impact of that aesthetic in the process of persuasion and rhetorical communication.

In the end, I can only say praise be to God, Lord of the Worlds, who has blessed me with studying the words of the best son of his creation, Muhammad al-Mustafa and Ibn Ali al-Murtada, Imam al-Ridha (peace be upon them).

I extend my heartfelt thanks to my respected professor and teacher, Dr. Ali Hassouni Al-Sharifi, for his supervision of the preparation of my

thesis, for he did not delay me by providing advice and scientific guidance, and facilitating and clarifying important sources and references.

researcher

Mohamed Hassan Kaittan.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University of Babylon

College of Islamic Science/Department of

Qur’an Language/ Graduate Studies.

The arguments of Imam Reza (peace be upon him) (a stylistic study)

A letter submitted by the studen

Mohammed Hasan Kaittan

to the Council of the Department of Qur’anic Language at the College of Islamic Sciences / University of Babylon, which is part of the requirements for obtaining a master’s degree in the language and miracles of the Qur’an.

supervised by

Prof. Dr. Ali Hassouni Shlaka Al- Sharifi

2022 A.D 1444A.H